

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية

إعداد

ديانا أيمن راشد حاج حمد

إشراف

أ. د. عبد الستار قاسم

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2012م

أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية

إعداد

ديانا أيمن حاج حمد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/6/19م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

.....

1. أ. د. عبد الستار قاسم / مشرفاً ورئيساً

.....

2. د. أيمن طلال / ممتحناً خارجياً

.....

3. د. نايف أبو خلف / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى سيد المرسلين وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من وضعها على طريق العلم خطواني الأول

أمي وأبي

إلى من واكبوا تقدمي دعماً ونصرة

إخوتي وأخواتي

إلى من شدد أزرني إصراراً وعزيمة

زوجي

إلى من سلن القلب والعين والوجدان

إبني زين

إلى من وقف جنبي وأزرني خطوة بخطوة

عثمان كرسوع

إلى كل من أحب

صديقائي

إلى كل ذرة من ثرى الوطن الإنسان التاريخ

العفيدة الانتماء

الشكر والتقدير

إلى رحم العلم والثقافة الفلسطينية

سبدي

جامعة النجاح الوطنية

وذروة سنام عطائها

عمادة الدراسات العليا

إلى من أضاء طريق رسالتي هذه توجيهاً وإرشاداً ورعايةً

الأستاذ الدكتور عبد الستار فاسم

وإلى كل من له عليّ فضل

ديانا حج حمد

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالبة:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ط	الملخص
1	مقدمة الدراسة
2	مشكلة الدراسة
3	أهمية الدراسة
4	أسئلة الدراسة
5	فرضيات الدراسة
5	أهداف الدراسة
5	حدود الدراسة
5	منهج الدراسة
6	الدراسات والأدبيات السابقة
9	الفصل الأول: الخلفية التاريخية للعولمة
10	المبحث الأول: الإطار النظري
15	المبحث الثاني: جذور وأصول العولمة
17	المبحث الثالث: جذور العولمة الثقافية
20	الفصل الثاني: مفهوم العولمة ومؤسساتها
21	المبحث الأول: مفهوم العولمة وأبعادها
22	المطلب الأول: البعد الاقتصادي
26	المطلب الثاني: البعد السياسي
29	المطلب الثالث: البعد الثقافي
37	المطلب الرابع: أهداف العولمة الثقافية
39	المبحث الثاني: مؤسسات العولمة
39	المطلب الأول: مؤسسات العولمة الرئيسية

الصفحة	الموضوع
39	أ- صندوق النقد الدولي
41	ب- البنك الدولي
42	ت- منظمة التجارة العالمية
44	ث- الشركات متعددة الجنسيات
46	المطلب الثاني: مؤسسات العولمة الثانوية
46	أ- المنظمات غير الحكومية
53	ب- الإعلام
58	ت- اللغة الإنجليزية
62	المبحث الثالث: تقنيات العولمة الثقافية
62	المطلب الأول: الإنترنت
67	المطلب الثاني: الفضائيات
70	المطلب الثالث: الهاتف المحمول
72	الفصل الثالث: مسارات العولمة في فلسطين
74	المبحث الأول: المسار السياسي
74	المطلب الأول: الدور الأمريكي في رعاية عملية السلام
79	المطلب الثاني: مشروع الشرق الأوسط الكبير (الموسّع)
83	المبحث الثاني: المسار الاقتصادي
87	المبحث الثالث: المسار الثقافي
93	الفصل الرابع: العولمة الثقافية في فلسطين
96	المبحث الأول: ملامح العولمة الثقافية
96	المطلب الأول: النخب الفلسطينية المعولمة
101	المطلب الثاني: الديمقراطية
105	المطلب الثالث: النسوية
109	المطلب الرابع: البرامج التعليمية
110	أ- المنهاج المدرسي الفلسطيني
114	ب- برامج التعليم العالي
119	المبحث الثاني: تقنيات العولمة الثقافية
119	المطلب الأول: شبكة الإنترنت

الصفحة	الموضوع
124	المطلب الثاني: الهاتف المحمول
125	المطلب الثالث: محطات التلفزة والإذاعة المحلية
130	المبحث الثالث: انعكاسات العولمة الثقافية على مجتمع الضفة الغربية
134	المطلب الأول: التغريب والاعتراب
135	المطلب الثاني: انتشار المدارس والجامعات الأجنبية
137	المطلب الثالث: المشاكل الاجتماعية والأخلاقية
141	المبحث الرابع: آثار العولمة الثقافية في الضفة الغربية
141	المطلب الأول: الآثار الإيجابية
142	المطلب الثاني: الآثار السلبية
142	أ- الثقافة الاستهلاكية
142	ب- انتشار القيم والعادات الغربية
142	ت- ازدياد معدلات الهجرة
143	ث- إضعاف مشروع الدولة الفلسطينية المستقبلية
144	ج- صهيئة وأمركة المفاهيم الوطنية الفلسطينية
144	ح- محاربة اللغة العربية
146	النتائج والتوصيات
150	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية

إعداد

ديانا أيمن حاج حمد

إشراف

أ. د. عبد الستار قاسم

الملخص

تعتبر العولمة الثقافية من أهم أبعاد العولمة المختلفة، كونها تحمل في طياتها نموذجين أولهما موضوعي لا مفر للإنسان من التعامل مع بعض السلوكيات المرافقة لاستعمال المخترعات التقنية كالسيارة والتلفاز والحاسوب وغيرها، والثاني يتمثل بالأمركة الذي يسوق الثقافة الأمريكية بوسائل عدة من ضمنها وسائل النموذج الموضوعي، ويهدف إلى إحلال الثقافة والفكر الأمريكيين محل الثقافة العالمية المتنوعة باستخدام ثلاثة محاور رئيسية: الديمقراطية وحقوق الإنسان ومكانة المرأة. وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية لخلق نمط ثقافي واحد بهدف السيطرة على دول العالم المختلفة، ولإيجاد مجتمعاً عالمياً له عاداته وتقاليده وسلوكه وذوقه الواحد في جميع دول العالم، مع اختفاء الخصوصية المحلية الوطنية المتنوعة لمجتمعات الدول المختلفة وخاصة الدول النامية ومن ضمنها فلسطين مستخدمةً بذلك سياسة العصا والجزرة.

من هنا نشأت فكرة الدراسة (الأطروحة) لبيان آثار العولمة الثقافية على مختلف مرافق الحياة لمواطني الضفة الغربية- كنموذج عن المجتمع الفلسطيني- للأهمية التي تشكلها تلك الآثار على النسيج الاجتماعي والثقافي الفلسطيني.

ولدراسة أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية تم اعتماد المنهج الوصفي لاستعراض ووصف مفهوم العولمة والعولمة الثقافية وبيان فلسفتها وأهدافها. والمنهج التحليلي لبيان أدوات ووسائل وآثار العولمة الثقافية المختلفة على مواطني الضفة الغربية وتحليلها بما يتناسب مع موضوع الدراسة. كما أنه ليس من السهل قياس أثر العولمة الثقافية إحصائياً، وإنما تم إبراز مواطن تأثير العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية والأدوات المستخدمة في ذلك.

وترتب على ذلك، تأثر المواطن الفلسطيني-الضفة الغربية- بالثقافة والفكر الأمريكيين، وعليه شاعت مظاهر التغريب والاعتراب بين الأفراد، وشيوع العادات والتقاليد الغربية كاستحداث الأعياد والمشاركة في برامج الواقع عبر الفضائيات العربية، وشيوع الثقافة الاستهلاكية والجنسية بين الشباب خاصة، وصهينة وأمركة المفاهيم الوطنية الفلسطينية، مما دفع الكثير منهم وخاصة من حملة المؤهلات العلمية للهجرة خارج فلسطين بحثاً عن وضع معيشي أفضل. وبالتالي فإن فصول الدراسة ومواضيعها أثبتت صحة وصدق فرضيتها، وهي: "العولمة الثقافية تغزو الضفة الغربية وتحدث تأثيرات في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع الفلسطيني" و"العولمة الثقافية تحل تدريجياً محل الثقافة العربية في الضفة الغربية".

وبناءً عليه، توصي الباحثة بضرورة البدء بالعمل على تطوّر العقل الفلسطيني الجمعي، وهو الوحيد القادر على مواجهة آثار العولمة ثقافية كانت أم سياسية. وهذا لا يعني الانغلاق، وإنما المحافظة على الخصوصية ضمن الانفتاح على الثقافات العالمية.

مقدمة الدراسة

شهد العالم في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين تشكيلاً لنظام عالمي جديد اتضحت معالمه وآلياته تدريجياً حتى وصلت في تجلياتها العليا إلى ما يطلق عليه مصطلح (Globalization) وقد ترجمه بعضهم إلى العربية "العولمة" وبعضهم الآخر بـ"الكوكبة" وآخرون "الكونية". أصبحت العولمة- فيما بعد- الإطار الذي يفترض أن تتحرك فيه وتتأثر به كل أشكال الحراك الاجتماعي على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، كما اعتبرت آلياتها هي الناظمة لكل ما سبقها من إنجازات المجتمع الدولي الاقتصادية والسياسية والثقافية بحيث أصبحت هذه الإنجازات مسخرة إلى حد كبير لخدمة أهداف العولمة سلبية كانت أو إيجابية.

وعليه، أصبحت هذه الظاهرة منذ تسعينيات القرن العشرين، محور الأنشطة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لدى صناع القرار في الكثير من دول العالم، ناهيك عن أن الأفراد قد أخذوا بالتعامل معها بصورة متزايدة، وهي أصبحت جزءاً من حياة العديد من الناس وخاصة من جيل الشباب.

والعولمة مخرج من مخرجات النظام الرأسمالي، وتعتبر ظاهرة معقدة طوقت العالم كله، فهي ذات أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وثقافية وتقنية (تكنولوجية) وبيئية، شملت مرافق الحياة كلها، لذلك فهي حظيت باهتمام جميع المفكرين والباحثين والأكاديميين والدارسين في مختلف أنحاء العالم، محاولين التعرف على ماهية العولمة وأشكالها وأدواتها وأهدافها وتأثيراتها على حياة الأفراد والمجتمعات.

ومن الجدير بالذكر أنه لا يمكن فصل أو عزل أي بعد من أبعاد العولمة عن الآخر، فهي مكتملة ومتممة بعضها لبعض، والحديث بمفهوم العولمة بشكل واسع يحتاج لحقل من الدراسات والبحوث، حيث أنه لم يتم الإجماع على تعريف واحد جامع لمفهوم العولمة، ويختلف تعريفها بحسب المفكر الذي يحاول تعريفها، فهناك عدة أشكال للعولمة منها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتركيز الدراسة هنا حول شكل واحد من الأشكال ألا وهو "العولمة الثقافية".

فبعض المفكرين وصفوا العولمة الثقافية أنها ظاهرة الأمركة؛ أي نشر الثقافة والفكر الأمريكيين محل الثقافة العالمية المتنوعة بحيث تغلب عليها وتعمل على إذابتها، بشتى الوسائل سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم ثقافية تقنية (تكنولوجية)، بينما يرى فريق آخر أنها تسعى نحو التجانس والتشابه الثقافي وتكون الشخصية العالمية ذات الطابع الانفتاحي على ما حولها من مجتمعات وثقافات مختلفة، وأصحاب هذا الاتجاه يفضلون أن تكون هناك ثقافة عالمية مع الاحتفاظ بالثقافة المحلية الخاصة.

والعولمة الثقافية تمس كافة مجتمعات دول العالم من مختلف الاتجاهات ولكن بدرجات متفاوتة، فبعض الدول والشعوب تتحفظ على مسألة العولمة وتتخوف منها، على اعتبار أنها تعمل على إذابة الثقافة المحلية الوطنية لتحل مكانها الثقافة والفكر الأمريكيين، ومن بين تلك الدول والشعوب الدول العربية التي تأثرت بالعولمة بكافة أبعادها وخاصة العولمة الثقافية، والمجتمع الفلسطيني جزءاً من المجتمعات المتأثرة بالعولمة الثقافية بحيث له عاداته وتقاليده وأنشطته الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، كونه مجتمعاً خاضعاً للاحتلال الإسرائيلي، وجاءت هذه الدراسة لتوضيح أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية (نموذجاً من المجتمع الفلسطيني).

مشكلة الدراسة

تحاول الولايات المتحدة الأمريكية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي في أواخر القرن العشرين، الاستمرار في بسط سيطرتها على العالم بوسائل عدة، ولكنها أدركت أن القوة العسكرية ليست السبيل الوحيد لتحقيق هدفها؛ وإنما اتخذت من الجانب الثقافي وسيلة لتحقيق مرادها، فصنعت وطوّرت وسائل التقنية (التكنولوجيا) المختلفة ووسائل الإنتاج والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية المنتشرة في جميع أنحاء العالم، وسخرتها لبحث ثقافتها على شعوب العالم، لتجعلها الثقافة الوحيدة بالعالم، أو ما يعرف بالأمركة، بهدف التحكم والضيظ لسلوك الشعوب في العالم، مما يسهل السيطرة عليه.

وبناءً على ما سبق فإن العولمة الثقافية وسيلة بيد الطرف الأقوى في الساحة الدولية مثل أمريكا، تهدف من خلالها بسط السيطرة على العالم من خلال عدة وسائل عملت على تصديرها للعالم وخاصة الدول النامية ومن ضمنها الدول العربية- وبالتالي- فلسطين موضوع الدراسة، فهي تتدخل في ذوق المواطن سواء في مأكله أو مشربه أو ملبسه، وتسعى جاهده لأن يتناسب ذوق المواطن مع ما تنتجه اقتصادياً أم سياسياً كان أو ثقافياً، ليسهل تشكيله كيفما تشاء. والعولمة الثقافية لها تأثيرات جمّة في حياة المواطن الفلسطيني سواء كانت من الناحية الاقتصادية المتمثلة بالبطالة والتنمية، أو من الناحية الاجتماعية كتأثيرها على الأخلاق والسلوك والعادات والتقاليد وغيرها، كما أن لها تأثير على الناحية السياسية كالهجرة والاعتراب و بروز حركات التطرف، كما أن لها تأثير واضح على الناحية التعليمية كالتدخل في المناهج الدراسية ومحاربة اللغة العربية وانتشار التعليم التجاري والأهم من ذلك وأخطرها هو التأثير على الأكاديميين والباحثين في نشر ثقافة وفكر أمريكا بين الأفراد من خلال إعداد نشرات وكتيبات تبين ثلاث محاور رئيسية تهتم بها أمريكا وهي: الديمقراطية وحقوق الإنسان ومكانة المرأة، وبذلك تأتي هذه الدراسة لتبين آثار العولمة الثقافية على مختلف مرافق الحياة على مواطني الضفة الغربية - نموذج عن المجتمع الفلسطيني- للخطورة التي تشكلها تلك الآثار على النسيج الاجتماعي والثقافي الفلسطيني.

أهمية الدراسة

تعتبر العولمة الثقافية من أهم أبعاد العولمة الأخرى؛ كونها تحمل في طياتها نموذجين أولهما موضوعي أي لا مفر للإنسان من التعامل بمنجزاتها حيث أصبح من الضرورة اقتناء منجزات العولمة الثقافية مثل: الهاتف المحمول، الانترنت، الفضائيات وغيرها. أما النموذج الثاني وهو الذاتي (الأمركة)، وهو إحلال الثقافة والفكر الأمريكيين محل الثقافة العالمية المتنوعة، وإعادة ترتيب العالم بطريقة تنسجم مع النظام السياسي والاقتصادي الأمريكي. وهنا تكمن الخطورة، حيث أن الأمركة تهدف إلى خلق نمط ثقافي واحد، تكون هي المسيطر الوحيد عليه، بحيث تتحكم بطبيعة المنتجات التكنولوجية المنتجة والمصدرة إلى الدول النامية ومن

ضمنها الدول العربية وفلسطين، فهي تسعى لتكوين مجتمعاً عالمياً له عاداته وتقاليدته وسلوكه وذوقه الواحد في جميع دول العالم، مع اختفاء الخصوصية المحلية الوطنية المتنوعة لمجتمعات الدول المختلفة، لذلك تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على العولمة الثقافية وبيان أثرها إيجابياً كان أم سلبياً على مواطني الضفة الغربية في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كونها تعد أهم بعد من أبعاد العولمة الأخرى، بالإضافة أنها حلقة الوصل بين أبعاد العولمة الأخرى السياسية والاقتصادية.

أسئلة الدراسة

إن مشكلة الدراسة تتمحور حول السؤال المركزي التالي: ما هو أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية؟ ويتفرع عن السؤال المركزي الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يوجد تعريف واحد شامل جامع لمفهوم العولمة والعولمة الثقافية في مختلف دول العالم؟
- ما هي أهداف العولمة الثقافية؟
- ما هي وسائل وأدوات العولمة الثقافية؟
- ما هي الآثار الإيجابية للعولمة الثقافية؟
- ما هو دور الباحثين والأكاديميين في ظل العولمة الثقافية في الضفة الغربية؟
- كيف تعمل المنظمات غير الحكومية على نشر الثقافة والفكر الأمريكيين في الضفة الغربية؟
- كيف تعمل العولمة الثقافية على خلق حركات التطرف في الضفة الغربية؟
- هل تعمل العولمة الثقافية على محاربة اللغة العربية في الضفة الغربية؟
- ما هو أثر العولمة الثقافية على المسيرة التعليمية في الضفة الغربية؟
- هل ساهمت العولمة الثقافية في زيادة الشعور بالاغتراب بين مواطني الضفة الغربية؟

- ما هو تأثير العولمة الثقافية في أذواق وقيم وسلوك المواطنين في الضفة الغربية؟
- ما هي انعكاسات العولمة الثقافية على المرأة في الضفة الغربية بشكل خاص؟
- ما هي آليات التصدي للحد من الآثار السلبية للعولمة الثقافية في الضفة الغربية؟

فرضيات الدراسة

- العولمة الثقافية تغزو الضفة الغربية وتحدث تأثيرات سلبية في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع الفلسطيني.
- العولمة الثقافية تحل تدريجياً محل الثقافة العربية في الضفة الغربية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية/ فلسطين، كون العولمة الثقافية من المواضيع المهمة والتي تحظى باهتمام كثير من الدارسين والباحثين، ولكون الدراسات التي اختصت بهذا النوع من البحوث قليلة، جاءت هذه الدراسة لتضيف إلى مكتباتنا معلومات جديدة بهذا الموضوع. ولبيان أدوات ووسائل وأهداف العولمة الثقافية في الضفة الغربية/ فلسطين، بالإضافة إلى وجود رغبة شخصية تسعى الباحثة لتزويد نفسها بها.

حدود الدراسة

تتعلق حدود الدراسة من عام 1994 وحتى وقتنا الحاضر من العام 2011، لبيان أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية، وتم استثناء قطاع غزة بسبب الحصار.

منهج الدراسة

انتهجت الباحثة في دراستها لأثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية منهجين بحثيين، وبما يتلاءم مع طبيعة المشكلة وأهداف الدراسة، وهما:

- 1) المنهج الوصفي، والذي يمكن الباحثة من استعراض ووصف مفهوم العولمة والعولمة الثقافية وبيان فلسفتها وأهدافها، وبيان ووصف تفاصيل الفصول الأخرى المكونة للدراسة.
- 2) المنهج التحليلي، فمن خلال هذا المنهج البحثي تستطيع الباحثة أن تقدم من التحليل ما لم تحتويه الدراسات والأدبيات السابقة المتعلقة بموضوع العولمة الثقافية وآثارها المختلفة .

الدراسات والأدبيات السابقة

إن البحث والدراسة لموضوع العولمة الثقافية وأثرها على مواطني الضفة الغربية يتطلب دراسة مفهوم العولمة ومستواه الفلسفي وكذلك دراسة المستوى الإجرائي للعولمة المتمثل بآثار العولمة وانعكاسها على الأفراد.

لقد تنوعت الدراسات والأدبيات السابقة التي ستستعين فيها الباحثة في دراستها هذه، التي خاضت في مفهوم العولمة بشكل عام ومفهوم العولمة الثقافية بشكل خاص، وبيان جذور العولمة والعولمة الثقافية وفلسفتها وبيان آثارها ووسائلها وأهدافها، ويتوزع التنوع لهذه الدراسات والأدبيات السابقة من حيث تناول موضوع العولمة والعولمة الثقافية على النحو التالي:

أولاً: يرى حسن حنفي¹ أن العولمة ليست ظاهرة جديدة، بل قديمة قدم الاستعمار الذي بلغ ذروته في القرن التاسع عشر والذي انحسر في القرن العشرين. ولكن عاد الاستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي من جديد في صور العولمة بالاقتصاد الحر والمنافسة والربح والعالم قرية واحدة، والتبعية السياسية وتجاوز الدولة القومية، ونشر القيم الاستهلاكية مع الجنس والعنف.

ويُرجع حسن حنفي سبب ظهور العولمة إلى عدة حوادث متسارعة؛ كانهيار الاتحاد السوفييتي والنظم الاشتراكية في أوروبا الشرقية، وانفراد النظام الرأسمالي بالعالم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. فالعولمة بأبعادها المختلفة ما هي إلا شكلاً من أشكال الهيمنة، تؤدي في

¹ حنفي، حسن، "العولمة بين الحقيقة والوهم"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، دمشق: دار الفكر، 1999.

النهاية إلى التركيز في الدول الصناعية الكبرى، والفقير والتهميش والتبعية للأطراف (الدول النامية).

ثانياً: يرى محمد عابد الجابري¹ أن العولمة تعني تعميم النمط الحضاري الأمريكي على بلدان العالم أجمع وتعبّر عن إرادة الهيمنة الأمريكية على العالم وأمركته، كما يرى أنه ليس هناك ثقافة عالمية واحدة بل هناك ثقافات متعددة ومتنوعة، منها ما يميل إلى الانغلاق والانكماش، ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع، ومنها ما يعزل حيناً وينتشر حيناً آخر، ووصف الجابري الثقافة والنمط الحضاري التي تحاول أمريكا نشره وتعميمه على العالم بأنها "ثقافة الاختراق" التي تهدف إلى التطبيع وتكريس الاستتباع الحضاري.

ثالثاً: يرى صادق جلال العظم² أن العولمة هي تسليع كل شئ بصورة أو بأخرى، وفي كل مكان، فالعولمة كما يقول هي: "حقة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".

وهو بذلك يرى أن العولمة تحقق الانتصار لنمط معين من إنتاج الثروة وتوزيعها وتداولها وتبادلها في كل مكان على سطح الكرة الأرضية.

رابعاً: أما يوسف المراشدة³ فيرى أن العولمة ليست سوى شكل معاصر للرأسمالية القديمة والليبرالية الغربية والتي تعرف بالنيوليبرالية أو "الليبرالية الجديدة". لذلك فهي جوهر الليبرالية والرأسمالية الغربية التي تنادي بالتححرر وفق فرض نموذج سياسي وفكري غربي رأسمالي واحد على كامل دول العالم بخاصة الدول العربية والإسلامية.

¹ الجابري، محمد عابد، "العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات" في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديد، محمد عابد الجابري وآخرون، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009.

² العظم، صادق جلال، "ما هي العولمة؟"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، دمشق: دار الفكر، 1999.

³ المراشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، اربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2007.

لذلك فإن العولمة باتجاهاتها المتعددة تهدف إلى أمركة العالم عبر إلغاء الهوية الثقافية الوطنية واستبدالها بالثقافة الأمريكية التي تنادي بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وتعزيز مكانة المرأة في المجتمع وغيرها من القيم والمفاهيم التي تتماشى مع الفكر الرأسمالي الليبرالي الغربي.

خامساً: يرى عبد الإله بلقزيز¹ أن العولمة هي الدرجة العليا من درجات الهيمنة والتبعية الإمبريالية، وتشكل المرحلة النهائية لانتصار النظام الرأسمالي العالمي كونياً. أما العولمة الثقافية لديه فهي ليست الانتقال من ظاهرة الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، بل هي: "فعل اغتصاب ثقافي عدوان رمزي على سائر الثقافات"، كما أنها تعتبر الاسم الحركي للأمركة من خلال سعي الولايات المتحدة الأمريكية لنشر الثقافة والفكر الأمريكيين على جميع دول العالم. ويصف عبد الإله بلقزيز ثقافة العولمة بثقافة ما بعد المكتوب وهي ثقافة الصورة التي تحطم الحاجز اللغوي وتخرق وعي الفرد وتعبّر عنه.

ويختتم عبد الإله بلقزيز دراسته في القول أن مقاومة العولمة الثقافية ليست قطع سبل التفاعل الثقافي مع العالم الخارجي، بل هي طريقة الوصول إلى الثقافة العالمية الحقيقية وهي ثقافة سائر المجتمعات من دون استثناء.

سادساً: يرى صلاح عبد العاطي² أن العولمة ساهمت في بلورة رؤى واتجاهات ومواقف لدى الشباب الفلسطيني بعضها واضح المعالم، ولكن أكثرها يميل إلى الضبابية وشيوع القيم السلبية، والتخبط وانعدام الثقة بالمجتمع من جهة، والانغلاق على الذات والتطرف في الأفكار من جهة أخرى. إضافة إلى انخفاض مستوى الوعي بالحقائق والمفاهيم الحديثة كالعولمة يؤدي إلى وجود الإشكالات التي قد تواجه الشباب في تفاعلهم مع الواقع المحيط بهم، مما يؤدي إلى صراع فكري قد يفقد الشباب من خلاله هويته الثقافية وانتمائه الوطني والعربي والإسلامي.

¹ بلقزيز، عبد الإله، "عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟"، في: العولمة والمماتعة دراسات في المسألة الثقافية، المعرفة للجميع، ع4، 1999م.

² عبد العاطي، صلاح، "العولمة الثقافية وتداعياتها على الشباب في فلسطين"، الحوار المتمدن، ع 3282، 2011/2/19. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=246884>

إن ما يميّز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة؛ أنها تسعى إلى بيان أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية (كنموذج عن المجتمع الفلسطيني) سواء كان إيجابياً أو سلبياً لما للعولمة الثقافية وأدواتها ووسائلها أهدافاً تسعى إلى تحقيقها في الدول العربية ومن ضمنها فلسطين - الضفة الغربية- موضوع الدراسة، كما أن هذه الدراسة تعد الأولى من نوعها في هذا المجال ولا سيما المجال الفكري والفلسفي.

الفصل الأول

الخلفية التاريخية للعولمة

المبحث الأول: الإطار النظري

المبحث الثاني: جذور وأصول العولمة

المبحث الثالث: جذور العولمة الثقافية

المبحث الأول

الإطار النظري

تعتبر العولمة من المصطلحات التي لاقت رواجاً كبيراً على الساحة العالمية، وتناولها العديد من المفكرين والباحثين والدارسين في مختلف الميادين: السياسية والاجتماعية والثقافية...، لكونها ظاهرة معقدة ومركبة تحتاج إلى التمعن في فهم مظاهرها والغور في جوهرها، لذلك لا بد من بيان النظريات الفلسفية التي تناولت الظاهرة، للوصول إلى الأهداف التي تسعى الدول الراعية لها -وتحديداً الدول الغربية الكبرى- تحقيقها من خلالها.

الإطار النظري

إن دراسة العولمة الثقافية وأثرها على مواطني الضفة الغربية كنموذج عن المجتمع الفلسطيني بحاجة للارتكاز على نظرية محددة تقدم الإجابة على فرضية الدراسة وأسئلتها، وتضع دراسة هذه الحالة في إطار المقولات النظرية للتعرف على آثار العولمة الثقافية على المستوى الفلسفي، وعلى المستوى الإجرائي السلوكي.

إن الإطار النظري المناسب لدراسة أثر العولمة الثقافية على مواطني الضفة الغربية يعتمد على دراسة النظرية التحررية (الليبرالية) التي تطورت فيما بعد إلى ما يعرف - ب(النيوليبرالية)- الرأسمالية التحررية الجديدة. وتم اعتماد النظرية التحررية (الليبرالية) كإطار نظري بسبب قدرتها على تقديم الإجابات اللازمة عن هذه الدراسة، كونها النظرية والقاعدة الفكرية والفلسفية التي تنطلق من خلالها العولمة، بحيث أن هذه النظرية تنسب العولمة إليها وتدافع عنها وتبشر بها، وتحاول أن تقنع العالم بالانخراط في حركتها والتكيف مع شروطها والاندماج في عصرها، وحسب هذه النظرية فإن العولمة هي فرص ومكاسب وإنجازات وعلى المجتمعات أن تستغلها وتستفيد منها.

وتعرف التحررية بمفهومها النظري على أنها أيولوجيا الحرية، حرية التعبير والرأي والمناقشة، وحرية الاجتماع وحقوق الإنسان والمساواة والتعددية السياسية والديمقراطية، دون أن

يكون هناك حكم استبدادي. وبذلك نرى أن التحررية تنادي بالتحرر من العوائق الخارجية مهما كان نوعها، وتكرس فصل الدولة عن الشؤون الاقتصادية، بحيث يقتصر دور الدولة على التنظيم والإشراف وحماية حرية الأفراد وحراسة أمنهم، ضاربة بعرض الحائط المنظومة الأخلاقية الموروثة في المجتمع.¹ لذلك تهدف العولمة بناءً على النظرية التحررية الوصول إلى مرحلة يكون فيها السوق ورأس المال المخصص وحدهما من يحدد الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية، بحيث تعمل على خلق قيم جديدة منبثقة عنها، ويكون السوق - في هذه الحالة - المسيطر الأوحد في المجتمع. وهكذا يصبح المجتمع أداة لخدمة رأس المال وغايات توسعه؛ وهذا ما يخالف المنطق القائل إن رأس المال والاقتصاد وجدا ليكونا مسخرين لخدمة الغايات الإنسانية والاجتماعية. في ظل العولمة يتم خلق قيم إنتاجية جديدة بعيدة عن "الجمعية" وتقترب إلى "الفردية"، وهذا ما يعرف بالخصخصة، بحيث لا تتدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية منطلقاً من المقولة "ما يفرزه السوق صالح، أما تدخل الدولة طالح".² أصبحت هذه المقولة شعاراً ومبدءاً تهتدي به غالبية الحكومات الغربية في تطبيق سياساتها بخاصة على المستوى الخارجي، وذلك في حرصها على الشركات متعددة الجنسيات (فوق القومية أو عابرة للقارات) التي تشكل عصب النظام الاقتصادي العالمي الجديد، والتي تشكل أدوات دولية تبرر سياساته مثل: منظمة التجارة العالمية (WTO)، وصندوق النقد الدولي (IMF)، والبنك الدولي وقمة الثمانية الكبار ومنتدى دافوس.... وتعتبر هذه المؤسسات وسائل إستراتيجية اقتصادية بيد الدول الغربية الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تحرير رأس المال بشتى الطرق، لإحكام السيطرة على كافة دول العالم وشعوبها. وحسب قول منظري العولمة أن لها فوائد عدة على المستوى الاجتماعي وأنها مسيرة لفتح الأبواب نحو توزيع متساوٍ للثروة على المستوى العالمي.

¹ المعطوي، محمد المذكور، "الليبرالية الجديدة والعولمة الثقافية: تحليل الخطاب التاريخي لأننا على الآخر"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة، الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، إشراف: محمد عابد الجابري، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، ص ص 173-193.

² مارتين، هانس بينر، شومان، هارالد، فح العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة وتقديم: عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، الكويت: عالم المعرفة، أغسطس/ 2003، ص 46.

أما النظرية الأخرى التي سيتم استخدامها لتوضيح المستوى السلوكي للدراسة هي النظرية اليسارية التي تناهض العولمة وترفضها وتكشف عيوبها ومخاطرها. وحسب هذه النظرية فإن العولمة تركز الفروق الطبقة وترسخ اللامساواة بين الدول بدايةً، ومن ثم بين الشرائح الاجتماعية في الدولة، وتدمر التماسك الاجتماعي وتصعب إمكانية توفير العدالة الاجتماعية. هم يقولون إن العولمة أدت إلى زيادة الفروق في الثروة بين الدول الصناعية والدول النامية، بالإضافة إلى أن الدول النامية أدخلت دائرة الاستهلاك للمنتجات المعولمة وكذلك لمخرجات التقنية الحديثة، وتسعى العولمة إلى العودة بالعالم إلى العصر الاستعماري، أو أنها تعبر حسب وصف الدكتور الجابري عن مرحلة ما بعد الاستعمار، الذي يعني عنده نظام يتجاوز الدولة والأمة والوطن من خلال نظام الفضاء المعلوماتي الذي يوجه ويسيطر الاقتصاد والثقافة والحكم، وفي مقابل ذلك تقسيم المجتمعات بالحروب الأهلية.¹

تشير الدراسات أن حوالي 6 مليارات نسمة يعيشون على سطح الكرة الأرضية، ويبلغ عدد سكان الدول النامية 4.3 مليارات، ويعيش ما يقارب 3 مليارات تحت خط الفقر، ودخل الفرد منهم يقارب دولارين أمريكيين في اليوم أو دولار واحد يومياً. في المقابل توضح الإحصاءات الغربية أن الدول الصناعية تملك 97% من الامتيازات العالمية كافة، وأن الشركات متعددة الجنسيات تملك 90% من امتيازات التقنية والإنتاج والتسويق، وأن أكثر من 80% من أرباح إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر في البلدان النامية يذهب إلى 20 دولة غنية، والغزابة في الأمر أن ثروة ثلاثة من أغنى أغنياء العالم يعادل الناتج المحلي لأفقر 48 دولة في العالم، كما أن ثروة 200 من أغنى أغنياء العالم تتجاوز نسبتها دخل 41% من سكان العالم مجتمعين، وتشير الدراسات أن أغنياء العالم لو ساهموا بـ 1% من هذه الثروات لغطت تكلفة الدراسة الابتدائية لكل الأطفال في العالم النامي.²

¹ الجابري، محمد عابد، "العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة - الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، مرجع سابق، ص 34.

² المعرفة / الجزيرة - : http://www.aljazeera.net/NR/exeres/79901EC5-C0B2-4307-917F-0A14451E0B9C.htm

ومن جهة أخرى تشير الدراسات أن عدد أصحاب المليارات في العالم في العام 2010 بلغ 1011 ملياردير ينتمون إلى 55 دولة بينما كان العدد 793 ملياردير في العام 2009. وقد بلغت ثروتهم في 2010/3/3 (3600) مليار دولار أمريكي، 403 منهم من الولايات المتحدة الأمريكية ويمتلكون ثروة قدرها 1300 مليار دولار أمريكي، ثم في أوروبا حيث يوجد 248 ملياردير ويمتلكون 1000 مليار دولار أمريكي، 52 منهم في ألمانيا ويمتلكون حوالي 200 مليار دولار أمريكي، أما في روسيا فيوجد 62 ملياردير وتبلغ ثروتهم مجتمعة 297 مليار دولار أمريكي، ويوجد في الدول العربية 50 ملياردير تبلغ ثروتهم 207 مليار دولار أمريكي¹، وفي المقابل تتزايد نسبة العاطلين عن العمل حيث بلغت نسبة البطالة في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2009 (10.2%)، وفي منطقة اليورو (9.8%)، وفي اليابان (5.7%)²، أما في العالم العربي فقد بلغت نسبة البطالة عام 2009 (14.8%)³.

ونلاحظ من الأرقام والإحصاءات السابقة الخلل الذي أفرزه النظام الرأسمالي في الدول الغربية، وما تمخض عنه من ازدياد عدد أصحاب المليارات والملايين في العالم، مقابل ازدياد مستمر في عدد الفقراء في العالم، وتزايد عدد العاطلين عن العمل على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، وما يترتب على ذلك من آثار اجتماعية سلبية متعددة مثل انتشار الجريمة والمخدرات والشذوذ الجنسي وغيرها، وبالتالي فإن الخلل المباشر لهذا يعود للعولمة التي عملت على زيادة نسبة الفقراء في العالم بحيث أصبحوا أكثر بؤساً، وزادت الأغنياء غناً، وهذا على خلاف ما أتت به النظرية الليبرالية المؤيدة للعولمة.

¹ حبيب، كاظم، "اتساع الفجوة الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء في العالم الرأسمالي ألمانيا نموذجاً"، الحوار المتمدن، ع 3002، 2010/5/12، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214955>

² سابا، ندى، "توقعات باستمرار تفاقم معدلات البطالة حول العالم في 2010"، الأسواق العربية، 21 ديسمبر 2009، <http://www.alaswaq.net/articles/2009/12/21/30849.html>

³ حسين، جاسم، "تحدي البطالة في العالم العربي"، العربية، 19 مارس 2011، <http://www.alarabiya.net/views/2011/03/19/142145.html>

المبحث الثاني

جذور وأصول العولمة

هناك اختلاف واضح في بيان الجذور التاريخية لمفهوم العولمة، حيث أنه مفهوم شاع في بداية التسعينيات من القرن العشرين، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتبنته عملياً الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية. وتتعدد آراء الباحثين حول نشأة مفهوم العولمة، ولكن سيتم مناقشة تاريخ العولمة بما يتناسب مع موضوع الدراسة.

يرجع بعض الباحثين تاريخ مفهوم العولمة إلى تاريخ الاستعمار نفسه، حيث أن كل دولة تسعى إلى السيطرة على دولة أخرى بهدف استغلال مواردها وطمس ثقافتها. ففي العصور القديمة كانت الهيمنة السائدة هي الاجتماعية أو العرقية، ثم تطورت إلى الهيمنة العسكرية على الشعوب من أجل السيطرة على الأرض والممتلكات، ثم تطورت إلى أحدث استعمار وأحدث هيمنة على مستوى العالم لتفرض نظاماً قانونياً واقتصادياً وسياسياً وسلوكياً وثقافياً موحداً، وهي الهيمنة الأمريكية التي تحاول بسط سيطرتها على العالم. وأشار يوسف المراشدة أن بدايات العولمة جاءت منذ عهد الإمبراطورية العثمانية في القرن الخامس عشر وصراعها مع أوروبا من أجل السيطرة والهيمنة، ثم الهيمنة الأوروبية بعد ضعف الدولة العثمانية وتمزقها في بداية القرن العشرين، وما تلا ذلك من ازدواجية القطبية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، وما أعقبه من انتهاء الحرب الباردة وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم في تسعينيات القرن العشرين.¹

وفي الإطار نفسه، يرى حسن حنفي أن العولمة ليست ظاهرة جديدة بل قديمة قدم الإستعمار الذي بلغ ذروته في القرن التاسع عشر والذي انحسر في القرن العشرين، ولكن عاد الإستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي من جديد في صور العولمة بالاقتصاد الحر والمنافسة والربح والعالم قرية واحدة، والتبعية السياسية وتجاوز الدولة القومية.²

¹ المراشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي - مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص ص 14-23.

² حنفي، حسن، "العولمة بين الحقيقة والوهم"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، مرجع سبق ذكره، ص

وبناءً على المعطيات السابقة فإن تاريخ نشوء مفهوم العولمة يعود لفترة زمنية قديمة تعود لتاريخ الاستعمار، حيث أنه من الطبيعي أن تسيطر دولة على أخرى بهدف استغلال مواردها والتحكم بها وطمس ثقافتها، فمنذ زمن بعيد كانت كل قبيلة تسطو على قبيلة أخرى بهدف سلب ونهب خيراتها، والسيطرة على المواقع الإستراتيجية كآبار المياه التي توفر مياه الشرب وأماكن الغذاء للبشر وللمواشي وغيرها، وتطورت أسباب الاستعمار مع تطور وعي الإنسان وتأقلمه مع البيئة ومواردها. لذلك فإن العولمة ظاهرة تاريخية مستمرة تطورت إلى أن ظهر الاستعمار الغربي الذي أراد السيطرة على الشرق. وبناءً على النزعة الاستعمارية القديمة، وتزعّم الولايات المتحدة الأمريكية وتفردتها على الساحة الدولية في أواخر القرن العشرين والسعي إلى فرض هيمنتها وسيطرتها اقتصادياً وسياسياً وما تصدره من قيم ثقافية واستهلاكية رأسمالية تحررية بعيدة كل البعد عن ثقافة وعادات وتقاليد الدول النامية، مثلاً حياً على الاستعمار القديم لكن بوسائل جديدة أكثر وعياً وأشدّ حذراً في التعامل مع الأمور، فهي تستغل معظم دول العالم وتسيطر عليها من جميع الاتجاهات بواسطة العولمة ووسائلها وتقنياتها.

المبحث الثالث

جذور العولمة الثقافية

يرى بعض الباحثين في تاريخ العولمة الثقافية وتطورها أنها حدث تاريخي ينبع من فكر وحكمة عدد كبير من الفلاسفة والحكماء والعلماء اليونانيين مثل: سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم؛ لأنه اتخذ مفهومه، ووضعت أساسياته في القرن الرابع بعد الميلاد والتي شكلت ثقافة غربية مميزة، وهذه الثقافة هي التي انتشرت وطغت في الفكر الغربي لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر. وكذلك يرى هؤلاء الباحثون أن غزو الرومان لشعوب أوروبا والمنطقة العربية والإسلامية ونشر ثقافتها وعلومها وفنونها ساهم في وضع بذور العولمة الثقافية في العالم الغربي لقرون عديدة حتى وقتنا الحاضر.¹

وعلى ذلك فإنه يمكن الاستنتاج أن تاريخ مفهوم العولمة الثقافية ينبع من ثلاث مراحل رئيسية وهي:

أولاً: تعتبر العولمة الثقافية ظاهرة قديمة قدم الإنسان، حيث من المتعارف عليه أن الثقافات القديمة تناقلت كافة متطلبات الحياة من خلال العادات والتقاليد، بحيث لا يوجد مجتمع بدون ثقافة خاصة به، تتغذى وتنتقل من خلال المجتمع الذي يحويها،² وبالتالي فإن الثقافة تتطور مع تطور المجتمع وترافق الإنسان في كل مرحلة من مراحل حياته، والتبادل الثقافي يحدث منذ القدم، ويرافق كل مناحي الحياة في المأكل والمشرب واللباس والشراء والبيع، فتطور الثقافة عمل على تحرير الإنسان من عبودية البيئة؛ بحيث أنها نظمت حياته وسلوكه مع الطبيعة، وهذا ما يميّزه عن باقي المخلوقات، وتختلف الثقافات باختلاف أنواع التكيف التي شكل الناس عن طريقها ثقافتهم لتناسب الظروف الجغرافية والمناخية المعينة.³

¹ الشيبيني، محمد، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، لبنان: دار العلم للملايين، كانون الثاني/يناير 2002، ص 28.

² فارني، جان بيير، عولمة الثقافة، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، القاهرة: دار المصرية اللبنانية، 2003، ص 11.

³ بلعمري، عادل، "الثقافة والمجتمع"، الحوار المتمدد (ع 2924، 2010/2/21).

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=204612>

ترتبط اللغة والثقافة بصلات وثيقة، لأن استيعاب ثقافة ما يعني في المقام الأول استيعاب لغتها،¹ فامتلاك لغة يعتبر أهم الصفات الثقافية المميزة، فلكل ثقافة لغتها، وهناك عدة آلاف من اللغات التي يتم تداولها في عالم اليوم، فاللغة تمثل جزءاً حياً من الثقافة فهي تؤسس المرتكز الأساسي للاستعدادات التي نتقناها من التراث المحيط بنا، وكذلك من الحياة وتناقضاتها.² فاللغة عامل ضروري وفعال لعملية التبادل بين الأشخاص في المجتمع ومع المحيط الخارجي، فمن خلالها انتشر الأدب والفن والدين، كما أن أنها وسيلة التاجر لتسويق بضاعته؛ فمن خلالها ينشر عاداته وتقاليده ويتعرف على عادات وتقاليد الشعوب الأخرى، فيحدث التبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب.

ساهمت الحروب والاستعمار والاكتشافات الجغرافية في نقل العادات والتقاليد والعلوم والفنون والأدب بين الشعوب، فيحدث التبادل بطريقة سلسة وسهلة. وخير مثال على ذلك انتشار الثقافة الإسلامية عبر أنحاء الكرة الأرضية من خلال اللغة العربية والدين والتجارة والفتوحات الإسلامية. وخلاصة القول إن التبادل الثقافي بين الشعوب الذي تدعو له العولمة الثقافية المعاصرة هو ظاهرة قديمة، تطورت عبر العصور، لكن بمسميات مختلفة تتناسب مع زمان ومكان كل شعب من شعوب العالم.

ثانياً: يمكن التعبير عن المرحلة الثانية من تاريخ العولمة الثقافية بالثورة الصناعية التي ظهرت في القرنين الثامن والتاسع عشر، وما رافقها من ظهور العديد من الآلات والأدوات التي سهلت على الشعوب عملية التبادل الثقافي ووفرت الوقت والجهد في الحصول على المعلومات والأفكار بأسرع وقت ممكن، وما رافقها من تطور في وسائل الاتصال، مثل التلغراف والتلفون والتلفاز وغيرها من وسائل الاتصال المختلفة، بالإضافة إن الصناعة أخرجت ما يسمى "الصناعات الثقافية"، التي تنتج وتوزع الناتج والخدمات الثقافية التي تجسد وتنقل أشكالاً للتعبير الثقافي بغض النظر عن قيمتها التجارية، ويندرج ضمنها: النشر المطبوعي والموسيقى والإنتاج السينمائي

¹ فارنبي، جان بيير، عولمة الثقافة، مرجع سابق، ص 13.

² قرطبي، فيصل، " اللغة... الثقافة... والإنسان"، الحوار المتمدد (ع 1300، 2005/8/28).

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=44115>

والسمعي والبصري والحرف اليدوية والتصميم، وبالتالي فإن الصناعات الثقافية تعكس حالة الشعوب ومستوى تقدمها وحضارتها، وهي في نفس الوقت تشكل درعاً حامياً لهويتها الوطنية،¹ إذاً فإن التبادل الثقافي* - ذو الاتجاه الواحد- هنا يكون عبر الصناعات الثقافية التي تنقل وتنتشر ثقافة منتجها عبر أنحاء الكرة الأرضية من خلال وصولها لكل بيت.

ثالثاً: التطور العلمي والتقني السريع في القرن العشرين الذي ساهم في عملية تطور وسائل الاتصال المختلفة مما ساهم في زيادة عملية التبادل الثقافي بالصوت والصورة، وانتشار الثقافة الإلكترونية وغيرها. ومن تلك التقنيات، الإنترنت والهاتف المحمول والفضائيات، التي تعد وسيلة لتعزيز التعارف بين الشعوب، فهذه التقنيات قامت بهدم المسافات وتسهيل التواصل والاتصال والتفاعل، وساهمت في محاولة صياغة المجتمعات اليوم وثقافتها وفق نمط متشابه إلى حدٍ ما.

خلاصة ما تقدم، وبعد مراجعة الأدبيات التي تبحث في جذور العولمة بشكل عام والعولمة الثقافية بشكل خاص، يتضح لنا أن العولمة لم تكن عملية واعية مخطط لها في السابق وتتم بشكل تلقائي، وهذا ما تغير في بداية التسعينيات فأصبحت العملية واعية ومخطط لها، ولدى القائمين عليها مؤسسات ومخططات ومنظمات تساعد وتساهم في تحقيق أهداف ومآرب الدول المسوّقة لها، ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية التي تهدف لإنشاء نظام عالمي جديد له قيم وثقافة واقتصاد ونظام سياسي موحد لجميع دول العالم.

¹ اللحيان، عبد الله، "أهمية الصناعات الثقافية"، صحيفة الرياض اليومية، (ع 15173، 2010/1/8).
<http://www.alriyadh.com/2010/01/08/article487801.html>

* التبادل الثقافي هنا لفظ مجازي، كون التبادل الثقافي يكون بين دولتين أو أمتين متساويتين في مختلف الموازين، السياسية والاجتماعية والثقافية، لكن في الوضع الراهن نلاحظ أن الدول القوية تهدف إلى فرض ثقافتها على الدول الضعيفة بشتى الطرق.

الفصل الثاني

مفهوم العولمة ومؤسساتها

المبحث الأول: مفهوم العولمة وأبعادها

المبحث الثاني: مؤسسات العولمة

المبحث الثالث: تقنيات العولمة الثقافية

المبحث الأول

مفهوم العولمة وأبعادها

تعتبر ظاهرة العولمة من الظواهر الكثيرة التي اقترنت بالنظام العالمي الجديد التي تبلورت معالمه في نهاية القرن العشرين، لكنها تعد الأبرز، كونها تلقى اهتماماً كبيراً على الساحة الدولية من جميع المستويات الأكاديمية والسياسية والاقتصادية والفكرية، وكذلك الأمر على مستوى أجهزة الإعلام والرأي العام. ووسط الاهتمام البالغ بظاهرة العولمة وتعدد الدراسات التي تناولتها، يصبح صياغة تعريف واضح وشامل لهذه الظاهرة أمر بالغ الصعوبة، كونها متعددة الأبعاد، بالإضافة إلى وجود تعريفات كثيرة ومختلفة بعدد الباحثين والدارسين الذين تناولوها في بحوثهم ودراساتهم، وتأثر أولئك الباحثين وانحيازهم الأيدولوجي رفضاً وقبولاً يُظهر الاختلاف والتناقض في تحديد مفهوم العولمة.

والعولمة مصطلح معرّب، يطلق عليه باللغة الإنجليزية (Globalization)، وباللغة الفرنسية (Mondialization)، ويترجم للغة العربية إلى: الكوكبة أو الكونية أو العولمة، وكانت الغلبة للعولمة لشيوع استخدامها في مختلف الميادين، وتعود كلمة العولمة في أصلها إلى كلمة (Global) بمعنى عالمي أو دولي، فالعولمة لغةً تعني: العالم من الفعل "عَوَلَمَ، أما اصطلاحاً فتعني أن العالم قرية كونية واحدة.

وهناك تعريفات كثيرة للعولمة فبعض الباحثون يرى أنها: اصطباغ العالم بصبغة واحدة شاملة لجميع الأقوام وكل من يعيش فيها في ظل توحيد الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية دون اعتبار لاختلاف الدين والثقافة والجنسية والعرق.¹ وأنها: "التداخل الواضح لأموال الاقتصاد والاجتماع والسياسية والثقافة والسلوك دون اعتدادٍ يذكر بالحدود السياسية للدولة ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلى إجراءات حكومية".² ومنهم من يرى أن العولمة: "زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية

¹ الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2009، ص40.

² المرجع السابق، ص 38.

من خلال عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات"،¹ وأنها: "شكل من أشكال توحيد العالم المفضي إلى سعادة البشر وتعد العولمة المال التاريخي للتبادلات التي أريد لها أن تتوسع في حجمها كما أريد للشعوب أن ترتبط بعضها ببعض الآخر".² ولكن القاسم المشترك بين تعريفات العولمة هو تأكيدها فكرة دمج كل المجالات الحياتية في نسق ونظام عالمي واحد. حيث تعرف العولمة كمصطلح معاصر استخدمه الباحثون في كل المجالات السياسية والثقافية...، بأنها النظام الذي من خلاله تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها في مختلف ميادين الحياة: الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتقنية...، وفي ذلك يرى عبد الإله بلقزيز أن العولمة تعني انتقال الشيء - سواء كان مادياً أو رمزياً - من المستوى الوطني أو القومي إلى المستوى العالمي أو الكوني.³

ولإحاطة بمفهوم العولمة، لا بد من التوقف عند مجمل التعريفات التي أعطيت لها على مستوى المفاهيم أو المؤسسات من خلال ثلاثة أبعاد تعد الأبرز فيها وهي: السياسي والاقتصادي والثقافي، مع التركيز على الأخير كونه البعد الرئيس في دراستنا، ومن الجدير بالذكر أن أبعاد العولمة متصلة و مترابطة ببعضها، وكل بعد من أبعادها متمم ومكمل للبعد الآخر.

المطلب الأول: البعد الاقتصادي

تعرف العولمة بناءً على البعد الاقتصادي بأنها تحويل العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة لتحقيق سيادة نظام اقتصادي واحد، بهدف نشر القيم الغربية في مجال الاقتصاد مثل: الحرية الاقتصادية، وفتح الأسواق، عدم تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية، وربط اقتصاد الدول النامية بالاقتصاد العالمي، لذلك فهي تركز على مفهوم السوق أي "سوق بلا حدود".

¹ الدليمي، عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، عمان: مكتبة الرائد العلمية، 2004، ص 16.

² المرجع السابق.

³ بلقزيز، عبد الإله، "عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟"، في: العولمة والممانعة دراسات في المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 40.

وهناك تعريفات كثيرة للعولمة الاقتصادية، بحيث عرفها صندوق النقد الدولي بأنها: " ترابطاً في المصالح الاقتصادية للدول اعتماداً على بعضها البعض من أجل توسيع وتنويع تبادل البضائع والخدمات وتنشيط الحركة الدولية لرؤوس الأموال.... نتيجة لتسريع انتشار التقنيات الحديثة في ما بينها".¹

ومن جهة أخرى يرى حسن حنفي أن العولمة الاقتصادية عبارة عن تكتل اقتصادي للدول الغربية الكبرى للاستثمار بثروات وخيرات العالم وموارده الأولية وأسواقه، وهذا كله على حساب الشعوب الفقيرة، وهي في النهاية تؤدي إلى تركيز رؤوس الأموال في الدول الصناعية الكبرى، والفقير والتهميش والتبعية للأطراف وهي الدول النامية أو دول العالم الثالث.² غير أن هناك دول مثل الصين والهند استفادت من العولمة وبرزت كقوى اقتصادية على الساحة الدولية.

والعولمة الاقتصادية تجسد التطور الرأسمالي العالمي، حيث يرى صادق العظم أنها: " وصول نمط الإنتاج الرأسمالي، عند منتصف هذا القرن تقريباً [القرن العشرين]، إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها".³ حيث تسعى الرأسمالية إلى فتح أسواق جديدة بالامتداد الخارجي، عندما تعجز عن توسيع الأسواق الداخلية، أو المحافظة على نسبة الاستهلاك مع كمية الإنتاج، مما يتطلب الاتجاه لتوسيع الأسواق خارجها، بالإضافة إلى زيادة الربح وهو الهدف الأساسي.

يرى السيد يسن أن العولمة الاقتصادية هي: "تزايد الاعتماد المتبادل بين الدول على مستوى العالم، ووحدة الأسواق المالية والنقدية، وفتح الحدود أمام التجارة الحرة بلا قيود".⁴ كما

¹ زين الدين، محمد، "الديمقراطية المعولمة العولمة الديمقراطية.. أم ديمقراطية العولمة؟"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة- الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، إشراف: محمد عابد الجابري، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، ص 235.

² حنفي، حسن، "العولمة بين الحقيقة والوهم"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، مرجع سابق، ص ص 22-23.

³ العظم، صادق جلال، "ما هي العولمة؟"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، مرجع سابق، ص 93.

⁴ يسن، السيد، العالمية والعولمة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 55.

أنها: " الانتشار الواسع المدى في كل أنحاء العالم للمبيعات، والإنتاج، وعمليات التصنيع، مما يشكل إعادة صياغة للتقسيم الدولي للعمل".¹

كما أن العولمة الاقتصادية يمكن أن تعبر عن تطور في عمليات التكامل الاقتصادي العالمي وفي معدل التجارة العالمية بسبب الانخفاض الذي طرأ على القيود المفروضة على التجارة الدولية.² بالإضافة إلى التعريفات السابقة يمكن القول أن العولمة ترتبط بالاقتصاد الكوني، كونها تشمل الاقتصادات القومية، فهي تعني نشوء نظام اقتصادي فوق قومي.³

وبناءً على ما سبق، فإن معظم التعريفات تتفق في عناصر محددة أهمها:

1- إزالة الحدود الاقتصادية بين الدول، مما ينعكس سلباً على قدرة الدولة في إحكام سيطرتها على الحدود السياسية والجغرافية والجمركية.

2- زيادة حرية حركة رأس المال والبضائع والمنتجات بين الدول.

3- اتجاه اقتصادات الدول إلى المزيد من التكامل الاقتصادي العالمي، أو التبعية الاقتصادية.

4- تدويل عملية الإنتاج، وعدم الاكتفاء بتدويل عملية التوزيع والتسويق.

5- تعاظم دور الثورة التقنية وتأثيرها في الاقتصاد العالمي.

وبما أن العولمة الاقتصادية تستند إلى النظام الرأسمالي الذي يروج للمفاهيم التحريرية الاقتصادية باعتبارها المفتاح لكل خيارات السوق، فإن الرأسمالية العالمية بالاعتماد على الثورة التقنية والمعلوماتية ساهمت في دمج معظم الاقتصادات الوطنية بالسوق الرأسمالية العالمية، بحيث أصبحت هذه الاقتصادات أسيرة لمفاهيم السوق والمنافسة الاحتكارية التي تتحكم فيها الاقتصادات العملاقة الكبرى التي لا تهتم بالحدود والقيود، مستنده إلى قوى السوق بإشراف

¹ يسن، السيد، العالمية والعولمة، مرجع سابق، ص 41.

² المرشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 27-28.

³ قابل، محمد صفوت، الدول النامية والعولمة، القاهرة: الدار الجامعية، 2004، ص 20.

مؤسسات العولمة الاقتصادية الثلاث: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، بالإضافة إلى الشركات متعددة الجنسيات التي تسيطر على الاقتصاد العالمي من خلال شبكتها المتعددة، وتعتبر المدير الفعلي لعمليات العولمة الاقتصادية.

للعولمة الاقتصادية أهداف معلنّة وأخرى خفية، فالأهداف المعلنّة التي تسعى إليها هي: زيادة حجم التجارة العالمية مما يؤدي إلى الانتعاش الاقتصادي العالمي، زيادة رأس المال، زيادة الإنتاج، حل المشكلات الاقتصادية مثل: الفقر، التنمية المستدامة، التلوث وحماية البيئة... أما الأهداف غير المعلنّة للعولمة الاقتصادية وهي:¹

1- هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الغربية الكبرى على الاقتصاد العالمي من خلال الشركات الكبرى والاحتكارات.

2- التحكم في سلطة القرار السياسي في دول العالم، مما يصب في مصالح الدول الغربية المسيطرة على الاقتصاد العالمي.

3- تقسيم العالم إلى قسمين: قسم ينتج ويطور ويبدع ويصدّر، وهو الدول الغربية، وقسم يستهلك ويستورد فقط وهو الدول النامية- باستثناء دول كالصين والهند، وهذا هو مغزى الاستعمار قديماً وحديثاً، أي امتصاص خيرات وموارد وثروات الشعوب الضعيفة وجعلها دائماً تابعة للدول الصناعية الغربية.

4- القضاء على المشاعر الوطنية والقومية، وربط الإنسان بالعالم لا بالدولة، لإسقاط هيبة الدولة.

5- فرض السيطرة العسكرية والثقافية الغربية على شعوب الدول النامية عبر ما تروجّ له منتجاتها الاقتصادية.

¹ الرقيب، صالح، العولمة، الجامعة الإسلامية، 2003، ص ص 18-24.

<http://www.fustat.com/books/alawlama.pdf>

وفي ضوء التحليل السابق فإن العولمة الاقتصادية هي: مشروع هيمنة الدول الصناعية الغربية الكبرى ومن ضمنها الولايات المتحدة الأمريكية، على الدول النامية، من أجل تعميم نظام اقتصادي واحد يحمل قيم التحررية الرأسمالية ومنها: فتح الأسواق، وتحرير التجارة الدولية، وإزالة كافة الحدود السياسية والجغرافية والجمركية لتحقيق الحرية الكاملة لتدفق رأس المال والمنتجات والبضائع والخدمات والمعلومات...، مع عدم تدخل الحكومات الوطنية في النشاط الاقتصادي، بحيث يقتصر دورها على التنظيم وحراسة رأس المال وحماية أمن الأفراد، من خلال مؤسسات العولمة الاقتصادية: البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية والشركات متعددة الجنسيات.

المطلب الثاني: البعد السياسي

تهدف العولمة في بعدها السياسي إلى بناء نموذج سياسي تحرري غربي تتبناه شعوب العالم أجمع، بحيث يكون النموذج السياسي العالمي الذي تعيش في ظله كل مجتمعات العالم، ويعتمد هذا النموذج على نشر قيم التحررية السياسية القائمة على الحرية بكل شيء، حرية الرأي وحرية المناقشة والتفكير والاعتقاد...، وفي الدعوة إلى الديمقراطيةية التحررية الغربية، والتعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان.¹

ومعظم تعريفات العولمة في بعدها السياسي تجمع على أنها تعني تقليص صلاحيات الدولة واختصاصاتها لصالح مؤسسات وهيئات عالمية تحقق مشروع الدولة الغربية الهادف إلى الهيمنة وتحقيق نوع من التبعية الحضارية للمجتمع الغربي. فمن ملامح العولمة السياسية أن الدولة لا تكون صاحبة السيادة المطلقة، وذلك بسبب التعاون والاندماج بين الدول على الصعيد الاقتصادي والبيئي والتقني، فتكون سيادة الدولة منقوصة من الناحية العملية لكنها كاملة من الناحية القانونية- أي أنها حبرٌ على ورق-، حيث يرى السيد أحمد مصطفى عمر أن العولمة السياسية تعني أن الدولة ليست الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات ومنظمات عالمية وجماعات دولية وغيرها من المنظمات الفاعلة

¹ المرشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص45.

التي تسعى إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والاندماج الدولي،¹ ومن هنا نلاحظ التداخل المعقد لأمر الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك دون اعتداد بالحدود السياسية والجغرافية للدولة.

ويرى حسن حنفي أن العولمة السياسية أحد أشكال الهيمنة السياسية بعد اختفاء الثنائية القطبية بانهييار أحد المعسكرين وانفراد المعسكر الأمريكي على الساحة الدولية، فالعولمة تحمي الإرادة الوطنية المستقلة للشعوب والدول، كونها شكلاً من أشكال الهيمنة، وبالتالي فإن الدولة الوطنية المستقلة تتناقض مع أهداف العولمة، فوجود أحدهما ينفي وجود الآخر، لذلك فالعولمة تتطلب وجود الدولة الرخوة* وليس وجود الدولة الوطنية المستقلة، لأن العولمة بكافة أبعادها بالاعتماد على جميع وسائلها وأدواتها تستطيع أن تبسط سيطرتها الكاملة على الدولة الرخوة وتتحكم بها فتحمي شخصيتها الدولية وتقلص صلاحياتها، بحيث تكون وظيفة الدولة حماية الاستثمار الأجنبي وتهيئة الخدمات اللازمة لذلك على خلاف وظيفتها التقليدية وهي حماية الاقتصاد الوطني.² فالعولمة السياسية تدعو إلى تذويب الحدود الإقليمية، فتقوم الشركات متعددة الجنسيات وغيرها من المنظمات الاقتصادية ببسط سيطرتها على الدولة، ومن ثم تلزم الحكومات بإتباع سياسيات معينة، كما أنها تتدخل في شؤون الدولة الداخلية، وهي بذلك تزيل المفهوم التقليدي للدولة،³ كما أن تلك المنظمات الاقتصادية تسيطر على الاقتصاد العالمي، وتسيطر على صناعة القرار السياسي العالمي، كون رجل السياسة تابع لرجل الاقتصاد المتطلع دائماً للربح،⁴ وبالتالي يمكن تعريف العولمة السياسية بأنها نهاية الدولة ونهاية السياسة.

¹ عمر، السيد أحمد مصطفى، "إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك"، في: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت وآخرون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني/يناير 2003، ص162.

* الدولة الرخوة (the soft state): هو اسم استخدمه غنار ميرال في أواخر الستينات للإشارة إلى استعداد معظم حكومات الدول النامية للفساد، ولتجاهل حكم القانون وتغليب مصالح أفرادها الخاصة على المصلحة العامة.

² حنفي، حسن، "العولمة بين الحقيقة والوهم"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، دمشق: دار الفكر، 1999، ص ص 23-24.

³ المتدين، سعيد، "العولمة والدولة القومية: أربع أطروحات"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة- الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، مرجع سابق، ص228.

⁴ زين الدين، محمد، "الديمقراطية المعولمة العولمة الديمقراطية.. أم مقرطة العولمة؟"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة- الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، مرجع سابق، ص240.

ومن جهة أخرى، إن إضعاف سلطة الدولة وتآكل مبدأ السيادة الوطنية، ولا سيما في الدول النامية، يدفع بالدولة إما إلى ذوبانها في كيانات أكبر منها كاندماجها في كتلتا اقتصادية وبذلك يصبح لديها قوة سياسية واقتصادية، وإما إلى تفتيتها إلى كيانات أصغر منها قائمة على القبلية والإثنية...، حيث تقوم العولمة بإفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى مما يدفع الشعب إلى التناحر والتقاتل...، لأنها تربط الناس بعالم بلا وطن ولا دولة ولا أمة، فتذوب الهوية الوطنية القومية في أتون الحروب الأهلية.¹ وفي هذا المجال يرى عبد الخالق عبد الله أن العولمة السياسية قيام الحكومة العالمية الواحدة وبروز عالم بلا حدود، لكن هذا سيظل مشروعاً مستقبلياً، كون الواقع لا يدل على هذا، لأن العالم يتجه إلى المزيد من التجزئة وليس الوحدة السياسية، بالرغم من كثرة الحديث عن القرية العالمية بفعل العولمة، كما أن السياسة ستظل محلية أكثر منها عالمية، وسيظل المجال السياسي المحلي أكثر حضوراً وتواجداً من المجال السياسي العالمي.

ومن جهة أخرى، فإن العولمة السياسية هي تجسيد لمسارات الوحدة والسوقنة إلى جانب التراجع التدريجي في صلاحيات الدولة، فالوحدنة تعني: التنسيق بين القوى الإقليمية والمؤسسات العالمية والمنظمات الحكومية والهيئات الأهلية لإدارة شؤون العالم، فالدولة وحدها لا تستطيع حل مشاكل عالمية مثل: الفقر والمناخ والإرهاب...، وهذا يؤدي إلى زيادة حضور الكل العالمي في الشأن السياسي. أما السوقنة فتعني: سيطرة الاقتصاد على السياسة، بحيث تسيّر السياسة بقوانين السوق وتتحكم في الدولة بمنطق حرية السوق، مما يؤدي إلى تجاوز الدولة ثم تهميشها ثم انحسار دورها وصلاحياتها على الصعيد العالمي.²

ومن ناحية أخرى، هناك من يرى أن العولمة السياسية هي نظام سيطرة جديد، وبعضهم يتطرف في الاستنتاج حتى اعتبره: "نظام صهيوني جديد يحاول تحقيق حلمه القديم في السيطرة

¹ الجابري، محمد عابد، "العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة - الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، مرجع سابق، ص 35.

² عبد الله، عبد الخالق، "عولمة السياسة والعولمة السياسية"، في: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 43.

العالمية مستغلاً الظروف الصعبة التي يمر بها العالم الآن، وذلك تحت الستار الأمريكي¹، بحيث تسعى العولمة السياسية إلى دمج إسرائيل في النسيج الاقتصادي والجغرافي في منطقة الشرق الأوسط، والعمل على فرضه كزعيم على المنطقة، مما يقضي على الطموحات الوطنية والقومية في التحرر والتقدم في نفوس الشعب الفلسطيني والعربي، كما أن العولمة السياسية تعمل على تشجيع النزاعات العرقية والطائفية، وتكون الغطاء الواقى الذي يدافع عن ممارسات إسرائيل الإرهابية وعملياتها الإجرامية والانتقائية وازدواجية المعايير بحق الشعب الفلسطيني².

وبعد سرد جميع التعريفات التي تخص العولمة السياسية يتبين أنها تدور في عدة محاور، أولاً: أنها تجسيد للنظرية التحررية السياسية، ثانياً: تراجع صلاحيات الدولة مما يفقدها سيادتها المطلقة، والذي يؤدي إلى تفكك الهوية القومية بفعل الحروب والنزاعات الأهلية، ثالثاً: أنها تعني نهاية الدولة السياسية، رابعاً: مفهوم العولمة السياسية يرتبط بالمجال السياسي العالمي، وأن العولمة السياسية ما هي إلا نظام سيطرة جديد.

المطلب الثالث: البعد الثقافي

تعتبر الثقافة إحدى الركائز الرئيسية لظاهرة العولمة بمعناها الشمولي، وتعرف بأنها: " كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع"³. وتعد الثقافة أيضاً "مركباً متجانساً من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ الجماعة البشرية من خلالها بهويتها الداخلية"⁴. بينما يرى كامبل أن الثقافة الفردية والجمعية هي تفاعل أربعة عناصر هي: الذات، والآخر، وعناصر البيئة المادية، وأنماط

¹ المرشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 31.

² دودين، محمود موسى عيسى، العولمة بين الوهم والحقيقة، الخليل، 2004، ص 24.

³ البشر، بدرية، وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي دبي والرياض أنموذجان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أيار / مايو 2008، ص ص 50-51.

⁴ الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 256.

السلوك.¹ ويتضح من تلك التعريفات أن هناك نوعين من الثقافة هما: الثقافة المادية وتشمل الآلات والأدوات والتكنولوجيا، والثقافة اللامادية وتشمل العادات والتقاليد والقيم والأعراف والقانون وغيرها.²

وثقافة أي بلد تحتوي على الثقافة المتخصصة والثقافة الشعبية (التراث)، التي تتطور بالإبداع والذاكرة معاً، ويتم تخصيصها وتمييزها من خلال المبادلات الثقافية.³ وبناءً على ذلك لا يستطيع أي مجتمع العيش بمنأى عن المجتمعات الأخرى؛ خاصةً ونحن في عصر التطور التكنولوجي، وأصبح العالم مجتمعاً صغيراً من خلال وسائل الاتصال المتقدمة، التي تقرب الثقافات والخبرات والبيئات المجتمعية وتنقلها إلى مجتمع معين، وهنا يسهل التبادل الثقافي الحضاري بين الدول بسهولة وسرعة.

والثقافة هي كل ما يتعلق بوجود المجتمع ويعبر عن هذا الوجود، وبزوالها يزول المجتمع وبقائها يبقى المجتمع، فثقافة أي مجتمع هي التي تميزه عن المجتمعات الأخرى، والتي يسعى من أجل انتشارها وتداولها بين الناس في مختلف المجتمعات البشرية، (طبعاً باستثناء بعض المجتمعات الصغيرة المنغلقة على نفسها كـ بعض الأقليات العرقية)، لذلك فإن التبادل الثقافي هو طموح كل مجتمع يسعى للبقاء خالداً عبر العصور.

أما العولمة كما أسلفنا سابقاً، تركز على فكرة دمج العالم في نسق واحد يشمل كل المجالات، لذلك فإن دمج العولمة مع الجانب الثقافي، فإنها تعني ثقافة واحدة للعالم كله، ووسط هذا التعريف يطراً سؤال مهم في أذهاننا، هل يمكن تحويل ثقافات العالم المتنوعة-

¹ نجيب، عصام، "الدور الثقافي للجامعة بين خصوصية الحداثة وتنافسية العولمة- جامعة فيلادلفيا نموذجاً" في: العولمة والهوية (أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون)، تحرير: صالح أبو أصبع، عز الدين المناصرة، محمد عبيد الله، عمان: دار المجدلوي للنشر والتوزيع، 2002، ط2، ص222.

² عبد الرحمن، عبد الله محمد، غنيم، السيد رشاد، مدخل علم الاجتماع، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2008، ص272.

³ الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 255.

بخصوصياتها الوطنية والقومية- إلى ثقافة عالمية كونية واحدة؟ وللإجابة عن السؤال لا بد من تتبع مفهوم العولمة الثقافية بين المؤيدين والمعارضين على النحو التالي:

يأخذ مفهوم العولمة الثقافية حيزاً كبيراً من التعريفات المقدمة لمصطلح العولمة، وذلك لاعتبار الثقافة "سلعة" عالمية تسوق كأى سلعة تجارية أخرى، أو خدمة للاستهلاك تحظى بجاهزية خاصة ومغرية شأنها شأن "المعلبات"، ومن هنا برزت العديد من التعريفات التي تصب في مصلحة مسوّقي العولمة، وأخرى تدحض تلك الأفكار. فمسوقو العولمة الثقافية يؤكدون بأنها خلق مكون ثقافي عالمي، وفرضه كنموذج ثقافي وتعميم معاييرها وقيمه على العالم أجمع، حيث ارتبطت العولمة الثقافية بفكرة التتميط أو التوحيد الثقافي للعالم من خلال استغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية والتقنية والتجارية والثقافية النابعة من الغرب،¹ مما يؤدي إلى توحيد القيم حول المرأة والأسرة، وحول الرغبة والحاجة وأنماط الاستهلاك في الذوق والمأكّل والملبس، وتوحيد طريقة التفكير والنظر إلى الذات وإلى الآخر، وإلى كل ما يعبر عنه السلوك، وهذه هي الثقافة التي تدعو العولمة إلى توحيدها، وبالتالي فإن العولمة الثقافية تستند إلى مفهوم الشمولية أي "ثقافة بلا حدود".²

وبناءً على ما سبق يبدو للوهلة الأولى أن العولمة الثقافية جاءت لخدمة الثقافات المتنوعة بأن يطلق العنان لها بأن تعبر عن نفسها وتنتقل من نطاقها الضيق إلى آفاق واسعة من العالم وفق فرص متكافئة بحيث تتفاعل الثقافات فيما بينها من خلال ثورة الاتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية والثقافية من منطقة إلى أخرى. لكن الواقع يخالف ذلك وينقضه، لأن تدفق المعلومات يجري باتجاه واحد، من الغرب إلى الشرق، وبالتالي فإن هناك تبادلاً ثقافياً غير متكافئ، لذلك فإن العولمة الثقافية تعرف بأنها محاولة مجتمع ما تعميم نموذجها الثقافي على

¹ عمر، السيد أحمد مصطفى، "إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك" في: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 164.

² بقرادوني، كريم، في تعقيبه على ورقة السيد يسن "في مفهوم العولمة"، في: العرب والعولمة- بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، السيد يسن وآخرون، تحرير: أسامة أمين الخولي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، نيسان/إبريل 2000، ص 57.

المجتمعات الأخرى من خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والثقافية والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسية واقتصادية مختلفة وتقنيات متعددة.

ومن جهة أخرى فإن فكرة إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع، تؤدي إلى الانقسام والتفكك وإحداث شروخ في الأبنية الثقافية للشعوب، فضلاً عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز، حيث تفرض فكراً يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا، لذلك فهي خضوع الشعوب غير المسيطرة لثقافة الشعوب الغربية المسيطرة، وخضوع ثقافة هذه الشعوب أيضاً للمعايير السائدة في سوق السلع وغياب دور الدولة، وبناءً على ذلك ظهرت فئة من الكتاب والعلماء في العالم الذين يدحضون فكرة مسوّقي العولمة، حيث يرى عبد الإله بلقزيز أنها "فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات"،¹ بالإضافة إلى ذلك فإن الثقافة التي تروج لها العولمة هي ثقافة الصورة، وهي ثقافة غير مكتوبة بل هي ثقافة ما بعد المكتوب، لا تحتاج إلى لغة لأنها تمتلك مقومات التأثير الفعّال على المستقبل.

والعولمة الثقافية ليست سوى السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقنيات في ميدان الاتصال، وهي الاستمرار لتجربة قديمة من السيطرة التي بدأت منذ انطلاق عمليات الغزو الاستعماري منذ قرون². وهذا ما يؤكد جلال أمين أن العولمة الثقافية ليست ظاهرة حتمية لا يمكن صدها أو الوقوف في وجهها بسبب التطور والتقدم التكنولوجي، بل تحمل في باطنها شكلاً من أشكال الغزو الثقافي، أي قهر الثقافة الأقوى لثقافة أضعف منها،³ وهذه الثقافة هي بالضرورة ثقافة النظام الرأسمالي المنتصر عالمياً من الناحية الاقتصادية. كما أن العولمة الثقافية بما تنتشره من قيم وأفكار وسلوك الدول الغربية

¹ بلقزيز، عبد الإله، "عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟"، في: العولمة والممانعة دراسات في المسألة الثقافية، مرجع سابق، ص 61.

² المرجع السابق، ص ص 62-63.

³ أمين، جلال، "العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث"، في: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 211.

وجعلها القيم المثلى لحياة أفضل للإنسان، تهدف إلى تعميق ظاهرة الاغتراب في حياة أصحاب النزعة الوطنية، فمن خلالها سوف ينغرس الشعور الوهمي بأن الثقافة الغربية هي ثقافة الكون كله، مما يؤدي إلى إفراغ الهوية الجماعية من القومية الوطنية إلى اللاقومية واللاوطنية.¹

ومن جهة أخرى، هناك من يصف العولمة الثقافية بالأمركة؛ فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينيات من القرن العشرين، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة العالم والسيطرة عليه سياسياً واقتصادياً وتقنياً، فإن العديد من الباحثين رأوا أن العولمة الثقافية تعني: سيطرة الثقافة الأمريكية على العالم، حيث أنها شرعت في العمل على سيادة القيم الأمريكية لتصبح قيماً عالمية تحل محل القيم القومية.

وفي ذلك يرى الدكتور محمد عابد الجابري أن العولمة عملية أيولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم وأمركته؛ لأنها تعمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع، لذلك فهي تسعى للقضاء على الخصوصية الثقافية بشكل عام، حيث أن الهدف النهائي للعولمة الثقافية هو السيطرة على الإدراك، وبهذا الهدف يتم إخضاع النفوس، أي تعطيل فاعلية العقل، وتكييف المنطق وتشويش القيم، وتوجيه الخيال، وتتميط الذوق، وقولبة السلوك، تكريساً لنوع معين من الاستهلاك ومن المعارف ومن السلع والبضائع، وهي معارف يطلق عليها "ثقافة الاختراق"، التي تهدف إلى التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري، وهذه الثقافة هي ثقافة إعلامية، سمعية وبصرية، تصنع الذوق الاستهلاكي اقتصادياً، والرأي العام سياسياً، وتشيد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ.²

وفي هذا الإطار أشار الدكتور عبد الستار قاسم إلى أن العولمة الثقافية تحمل في طياتها نموذجين،³ النموذج الأول: العولمة الموضوعية الذي لا مفر للإنسان من التعامل معها والأخذ

¹ أحمد، مهيبوب غالب، "العرب والعولمة: مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل" في: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 62-63.

² الجابري، محمد عابد، "العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة- الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، مرجع سابق، ص 32-34.

³ قاسم، عبيد الستار، "العولمة الأميركية تتسرح"، 13 نوفمبر 2008، http://www.islahonline.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=9069:%20%20&Itemid=5

بمنجزاتها في جميع مناحي الحياة، وهو الجانب التقني، أما النموذج الثاني: العولمة الذاتية الأمريكية (الأمركة) التي تهدف إلى إحلال الثقافة والفكر الأمريكيين محل الثقافة العالمية المتنوعة، بهدف إعادة ترتيب العالم بطريقة تتسجم مع النظامين السياسي والاقتصادي الأمريكيين وهما: الديمقراطية الأمريكية والرأسمالية التحررية الحديثة، وتسعى لأمركة العالم من خلال المنظمات غير الحكومية المنتشرة في جميع دول العالم، من أجل بث الثقافة والفكر الأمريكيين، وقد أقيمت هذه المنظمات بهدف التركيز على ثلاثة محاور رئيسية وهي: حقوق الإنسان، والديمقراطية، ومكانة المرأة، وهذه المحاور تعتبر جذابة خاصة بالنسبة لشعوب الدول النامية، بهدف الظهور بأنها المدافع الحقيقي عن حقوق الإنسان في كل مكان من العالم.

تقوم العولمة الثقافية ذات الطابع الأمريكي بإقصاء الثقافات الأخرى وتدويب الهويات تحت شعارات مثل: "المواطنة العالمية"، "والقرية العالمية"، "والقيم الكونية"، وذلك من خلال قوتها المالية والإنتاجية لثقافة الغرائز، وليس من خلال ثقافتها أو قيمها، حيث توصف الثقافة الأمريكية بأنها ثقافة النفايات ونفاية الثقافات. حيث أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن سوق الثقافة الراقية والرفيعة محدودة، لذلك قامت بالبحث عن ثقافة أخرى أكثر انتشاراً وترويجاً، لذلك عهدت إلى هوليوود ووكالات الإعلانات لتتولى هذه المهمة من خلال نشر ثقافة الجنس والعنف، وثقافة تمجيد القوة والمصالح والسيطرة وازدواجية المعايير، والتلاعب بالتاريخ ونشر أفكار اللاقيمة والأخلاقية واللامعنى، لذلك وجدت في هذه الثقافة المتدنية السوق الأوسع والأكثر ترويجاً من الثقافة الراقية.¹ لذلك ترى أن ديزني وماكدونالدز وغيرها تروج لكل ما هو سهل وسريع وبسيط تتلاءم مع الشعوب في جميع دول العالم ولا سيما الدول النامية كونها تدعو إلى اللهو والتعب والكسل والخمول.²

¹ الوالي، عبد الجليل كاظم، "جدلية العولمة بين الاختيار والرفض" في: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، أحمد ثابت وآخرون، مرجع سابق، ص 21.

² مارتين، هانس بينر، شومان، هارالد، فح العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة وتقديم: عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، الكويت: عالم المعرفة، أغسطس/ 2003، ص 55.

وبناءً على ما سبق فإن العولمة الثقافية (الأمركة) تسعى إلى تكريس التقسيم الإمبريالي للعمل، حيث بمقتضاها تستمر الولايات المتحدة الأمريكية في إنتاج أشكال الثقافة اليومية من أفكار وأذواق وتصورات، وهي بذلك تنتج وتطور وتبدع، وتظل المجتمعات الأخرى سوقاً كبيراً للمنتجات الأمريكية فهي تستورد وتستهلك فقط، وبمعنى آخر إن العولمة الثقافية (الأمركة) هي آلية ردع لكل خيار نهضوي وتمييع كل محاولة لتفعيل ثقافي حقيقي في المجتمعات المختلفة. وهذا هو مغزى الاستعمار قديماً وحديثاً، وهو امتصاص خيرات الشعوب الضعيفة وجعلها دائماً تابعة للدول المهيمنة والمسيطرة عليها.

ويعود ربط مفهوم العولمة الثقافية بالأمركة للأسباب التالية¹

أولاً: انهيار الاتحاد السوفيتي وحلفائه الاشتراكيين أمام الرأسمالية الغربية والذي كان من نتائجه أن أصبحت فيه الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحده والمهيمن على النظام العالمي الحالي عسكرياً واقتصادياً وعلمياً وإعلامياً.

ثانياً: تسارع التغيرات التكنولوجية المتلاحقة ووسائل الاتصالات مما ساعد الولايات المتحدة الهيمنة على سوق التكنولوجيا العالمية والإعلام، مما ساهم في رسم حدوداً أخرى غير مرئية ترسمها الشبكات العالمية، بدلاً من الحدود الثقافية الوطنية والقومية، قصد الهيمنة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسلوك.

ثالثاً: هيمنة الاقتصاد الأمريكي على العالم عن طريق الشركات العملاقة متعددة الجنسية مما دفعه إلى وضع نظام عالمي جديد في الاقتصاد والتجارة والمصارف الدولية مما ساعد على نشر القيم الرأسمالية الأمريكية في أنحاء العالم ضمن إطار من حرية التجارة والاستثمارات وانتقال رؤوس الأموال، حيث أنها عمدت على اتخاذ السوق والمنافسة التي تجري فيها مجالاً لـ

¹ الشبيني، محمد، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، لبنان: دار العلم للملايين، كانون الثاني/يناير 2002، ص 24. أنظر أيضاً: الجابري، محمد عابد، "العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة- الكتاب الثاني، محمد عابد الجابري وآخرون، مرجع سابق، ص 31. أنظر أيضاً: المرشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 23-24

الاصطفاء"، بالمعنى الدارويني للكلمة، أي وفقاً لنظرية داروين في "اصطفاء الأنواع والبقاء للأصلح". وهذا يعني أن الدول والأمم والشعوب التي لا تقدر على المنافسة سيكون مصيرها، بل يجب أن يكون، الانقراض.

وبشكل عام فإن الركائز التي تقوم عليها العولمة بشكل عام والعولمة الثقافية بشكل خاص، هي مجموعة من الأساطير والأوهام، إذ تقوم هذه الركائز على أن العالم قرية واحدة بسبب ثورة الاتصالات، وأن المصالح أصبحت متشابكة، وأن التقدم العلمي هو الحد الفاصل بين المجتمعات ومستواها من التقدم والقدرة على المنافسة، وأن المثل التحررية (الليبرالية) مثل: الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والمجتمع المدني، هي مثل مشتركة بين جميع الثقافات لا عموم فيها ولا خصوص، وهي كلها مثل براقعة ولكنها أقرب إلى أساطير الأولين، كل كلمة منها تبطن غير ما تظهر، وتخفي غير ما تعلن.¹ ومن الجدير ذكره أن العولمة الثقافية (الأمركة) لا تقتصر على محو ثقافة معينة بل تستهدف ثقافات العالم أجمع، حيث قامت فرنسا بتقليص عدد الأفلام الأمريكية التي تعرض في دور السينما الفرنسية، كونها تعرض ثقافة وقيم وأسلوب حياة الأمريكي (الكابوي)، كما أن تلاثي دخل تذاكر السينما فيها يعود إلى الأفلام الأمريكية، لذلك وضعت قيود على تلك الأفلام بهدف وقف السيطرة الأمريكية على الثقافة واللغة الفرنسية.²

ومن الجدير ذكره أن العولمة الثقافية تؤثر على ثقافات المجتمعات المختلفة في الجوانب

التالية:³

¹ حنفي، حسن، "العولمة بين الحقيقة والوهم"، في: ما العولمة؟، حسن حنفي وصادق جلال العظم، مرجع سابق، ص ص 21-22.

² كينج، أنطوني، الثقافة والعولمة والنظام العالمي، ترجمة: شهرت العالم، هالة فؤاد، محمد يحيى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2001، ص215.

³ صالح، ثناء محمد، "المضمون الثقافي للعولمة"، مجلة النبأ، ع 79، رمضان 1427/تشرين الثاني 2005،

<http://www.annabaa.org/nbhome/nba79/005.htm>

- التأثير اللغوي: استعمال بعض اللغات الغربية (الفرنسية والإنجليزية) كلغات رسمية في مرافق الإدارة والاقتصاد، واستعمالها في وسائل الإعلام والاتصال وفي المقررات الدراسية وكلغات للتخاطب اليومي....
- التأثير الخُلقي: انتشار مظاهر العنف والجنس والإباحية في وسائل الإعلام والسينما والقنوات الفضائية وعلى شبكة الإنترنت مما يتسبب في التأثير على القيم في بعض المجتمعات المحافظة ولا سيما المجتمعات العربية والإسلامية.
- التأثير القيمي: تنميط القيم ومحاولة جعلها واحدة لكل البشر في المأكل والمشرب والملبس والعلاقات الأسرية وبين الجنسين، علاوةً على نشر قيم الاستهلاك الرأسمالي.

المطلب الرابع: أهداف العولمة الثقافية (الأمركة)¹:

- 1- تعزيز ثقافة الاختراق التي تمثلها العولمة والتي تقوم على أساس التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري لأمريكا، مما يؤدي إلى فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.
- 2- التقليل من قيمة الثقافات المختلفة وفرض هيمنة ثقافة واحدة، ألا وهي الثقافة الأمريكية في الوقت الحاضر، كونها المالكة لمراكز توجيه آليات العولمة.
- 3- إشاعة الذوق الغربي في الاستهلاك وفي ممارسة السلوك الاجتماعي مع الآخرين، فهي تعمل على إشاعة ما يسمى بأدب الجنس وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة وكظاهرة عادية وطبيعية، وما يترتب على ذلك من انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات الإسلامية، وقتل أوقات الشباب بتضييعها في توافه الأمور وبما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه وأخلاقه وسلوكه وحركته في الحياة، وتساهم في هذا الجانب شبكات الاتصال الحديثة والقنوات الفضائية وبرامج الإعلانات والدعايات

¹ الرقيب، صالح حسين، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، ص ص 9-10،

<http://www.drsregeb.com/index.php?action=vb&nid=48>

للسلع الغربية وهي مصحوبة بالثقافة الجنسية الغربية التي تخذش الحياء والمروءة والكرامة الإنسانية.

4- نشر الثقافة اللادينية وفرض الركض-وغالبا بلا وعي- خلف المواضع الاجتماعية الفجة.

5- حرمان الشعوب المتخلفة من اللحاق بركب التقدم، نظراً لتفشي الأمية فيها والعولمة تقوم على تقنية عالية لا تملكها الكثير من الدول والمجتمعات في الدول النامية والمتخلفة.

6- طمس الهوية الثقافية للأمة الإسلامية خاصة من خلال انتشار الأزياء والمنتجات الأمريكية في كثير من الدول الإسلامية، لأنّ هذه السلع تحمل في طياتها ثقافة مغايرة تسحق ثقافات الأمم المستوردة لها، وظهور اللغة الإنجليزية على واجهات المحلات والشركات، وعلى اللعب والهدايا وعلى ملابس الأطفال والشباب.

وخلاصة ما تقدم، فإن العولمة الثقافية تسعى إلى تكوين وخلق ثقافة عالمية واحدة، فعمدت إلى التطور العلمي والتقني للقيام بهذه المهمة، من أجل إذابة الحدود بين الدول وزيادة معدلات التشابه بين الأفراد في مختلف الشعوب، وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بتبني الموقف عملياً، حيث عمدت إلى نشر نمط حضاري واحد وهو ثقافة وقيم الولايات المتحدة الأمريكية لتكون الثقافة الوحيدة في العالم، والعمل على إقصاء وتذويب الثقافات المتنوعة الأخرى، كونها المسيطرة على العالم من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية والتقنية، فبتلاحم هذه الجوانب قامت بنشر ثقافتها عبر العديد من الوسائل سواء كانت من خلال المنظمات غير الحكومية أو الشركات متعددة الجنسيات أو عبر الوسائل التقنية الحديثة في مجال الاتصالات - وهذا ما سنتعرف عليه في الفصل القادم-، لذلك تم اعتبار العولمة الثقافية بأنها السيطرة الغربية الجديدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثاني

مؤسسات العولمة

تسعى العولمة بكافة تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية إلى تحقيق أركانها الأربعة الرئيسية وهي: **رسملة العالم**: أي تحويل العالم إلى النظام الرأسمالي، ثم **لبرلة العالم**: تحرير العالم من القيود الاجتماعية والسياسية والانحياز للفرد دون تدخل الحكومات وباستقلالية عن الدولة، ثم **علمنة العالم**: أي فصل الدين عن الدولة وعن معظم مجالات الحياة مثل القيم والثوابت والمنطلقات، إذ يتحول العالم بأسره إلى مجرد مادة لا قداسة فيها ولا خصوصية ولا مرجعية سوى مرجعية آليات السوق والمنفعة المادية والسلطة والجنس وعلاقات الإنتاج، وأخيراً **أمركة العالم**: أي محاولة صبغ مجتمعات دول العالم بالصبغة الأمريكية وإشاعة نمط الحياة الأمريكية، وتتصرف أمريكا وفقاً لاعتقادها أن العولمة تحقق لها ثلاثة احتكارات وهي: 1- القوة المسلحة، 2- والاقتصاد العالمي، 3- واخضاع العقول والسيطرة الثقافية من خلال تدمير الثقافات والهويات المحلية، وفرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية على الشعوب، والتحكم الأمريكي بالثروات الطبيعية الوطنية والقومية (نפט العراق). ولتحقيق أركان العولمة جميعها لا بد من وجود مؤسسات تشرف على عملية العولمة وتحقق أهدافها، وتقسم تلك المؤسسات إلى مؤسسات رئيسية: (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية والشركات متعددة الجنسيات)، ومؤسسات ثانوية: (الإعلام، المنظمات غير الحكومية، اللغة الإنجليزية)، وفيما يلي عرض لتلك المؤسسات وآثارها:

المطلب الأول: مؤسسات العولمة الرئيسية

أ- صندوق النقد الدولي (IMF)

أنشئ صندوق النقد الدولي بناءً على اتفاقية بريتون وودز Bretton Woods عام 1944، بهدف القيام بدور مالي ونقدي لحفظ قيمة العملات واستقرار أسعار الصرف ورفع القيود المفروضة على النقد الأجنبي التي تعوق نمو التجارة الدولية، ومنح التسهيلات الائتمانية

للدول الأعضاء،¹ وبالإضافة إلى تقليل درجة العجز في ميزان المدفوعات وتقليص مدهاء،² كما يهدف إلى إيجاد مؤسسه دائمة يجري في إطارها التشاور اللازم لكل مشكلات العالم النقدي، لإيجاد عالم نقدي حر متحرر من القيود النقدية.³

وصندوق النقد الدولي يضم في أعضائه دول فقيرة ضعيفة وأخرى غنية قوية، وبذلك أصبحت أهداف الصندوق المثالية غير صالحة لإقامة نظام دولي عادل بين الدول الغنية والدول الفقيرة، لأنها قائمة بالواقع على منح القروض مما ساهم في زيادة سيطرة الدول المتقدمة الغنية على الدول الفقيرة المستدينة، وبذلك فإن الصندوق في سعيه لخلق اقتصاد عالمي حر بعيداً عن القيود والحوجز النقدية والمالية والسلعية تناسى الفقراء والبعد الاجتماعي واهتم فقط بالأغنياء الذين خططوا لاستمرار التقدم الاقتصادي والثراء المادي.⁴

والدول التي تسيطر على الصندوق هي: الولايات المتحدة الأمريكية وتنفرد ب 20% من القوة التصويتية وتمتلك حق الفيتو و 20% من رأسماله، ثم بريطانيا وقوتها التصويتية تصل حوالي 6.6%، ثم ألمانيا 5.8%، وفرنسا 4.8%، وأخيراً اليابان 4.5%، وبناءً على ذلك فإن الدول الخمسة الكبار تمتلك 41.7% من القوة التصويتية في الصندوق، لذلك فهي تتحكم بالدول النامية المستدينة من خلال القروض والتسهيلات التي يمنحها الصندوق لها،⁵ وبذلك فإن القروض التي يقدمها صندوق النقد الدولي للدول النامية لا بد أن تتوافق مع مصالح الدول الكبرى ذات القوة التصويتية الكبرى في تلك الدول.

¹ السيد، عاطف، العولمة في ميزان الفكر - دراسة تحليلية، الاسكندرية: مطبعة الانتصار، 2001، ص ص19-20.

² المرشد، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 87.

³ رجب، مصطفى، العولمة ذلك الخطر القادم أسبابها-تداعياتها الاقتصادية - آثارها التربوية، عمان: مؤسسة السورق للنشر والتوزيع، 2009، ص 51.

⁴ المرجع السابق، ص 53.

⁵ المرشد، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 88.

ب- البنك الدولي (WB)

أنشئ البنك الدولي بناءً على اتفاقية بريتون وودز Bretton Woods عام 1944، وهو مؤسسه مالية دولية ويهدف بشكل رئيس إلى مساعدة الدول النامية في رفع مستوى معيشتها وتنمية اقتصاداتها، وجاء تأسيس البنك الدولي للحاجة إلى رأس المال لتمويل أعمال إعادة بناء وتعمير ما دمرته الحرب العالمية الثانية، وقد أعطى البنك حق فتح أو ضمان القروض التي تقدم لمشروعات تخدم أغراضه.¹

وطبقاً لميثاق البنك الدولي فإن مساعداته تقتصر على التنمية الاقتصادية بعيداً عن التوجهات السياسية، لكن في ثمانينيات القرن العشرين فإن البنك صاغ توجهات جديدة تسمى قروضاً "الضبط البنوية"، تهدف إلى زيادة قدرة الدول النامية على المنافسة في الاقتصاد العالمي، بحيث تعمل على تشجيع ودفع التغييرات السياسية الخاصة بالتحول إلى الأسواق المفتوحة، وتقليل الدعم والخصخصة، وتقليص دور الحكومات، مما يكشف سياسات البنك الدولي عن انحيازه إلى الأيدولوجية الفردية الأنجلوأمريكية.²

ومن الجدير ذكره أن الهدف الرئيسي الذي أنشئ البنك الدولي من أجله تغير، فأصبح وسيلة للضغط والتدخل للسيطرة على الاقتصاد القومي في الدول المقترضة، كما أنه أداة واضحة وصريحة لخدمة السياسة الخارجية الغربية بشكل عام وأمريكا بشكل خاص، حيث أن نشاط البنك الدولي وإدارته تحكمه قاعدة التصويت النسبي وبذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية تسيطر على نشاطه وإدارة أعماله، بحيث تمنع القروض عن الدول التي لا تتماشى مع سياساتها، وتمنحها لما تتوافق معها،³ حيث أن الدول التي تمتلك أكبر نسبة من الحصص والقوة التصويتية هي: (الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ألمانيا، بريطانيا، فرنسا)، بحيث تمتلك هذه الدول حوالي 43% من الحصص، كما أن قوتها التصويتية تبلغ حوالي 41%

¹ السيد، عاطف، العولمة في ميزان الفكر - دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 21.

² المرجع السابق.

³ رجب، مصطفى، العولمة ذلك الخطر القادم أسبابها - تداعياتها الاقتصادية - آثارها التربوية، مرجع سابق، ص 50.

من عدد الأصوات، وهذا ما يظهر التوجهات السياسية للبنك، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك لوحدها 20% من القوة التصويتية داخل البنك الدولي، كما أن المقر الرئيسي للبنك الدولي ومؤسساته في "واشنطن"، وأن رئيس البنك يشترط أن يكون أمريكياً دائماً.¹

ت- منظمة التجارة العالمية (WTO)

حلّت منظمة التجارة العالمية محل ما يعرف بالـ GATT (الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة)، منذ 15/ابريل/1994، بناءً على إعلان وزراء مالية واقتصاد (117) دولة في مراكش، بهدف ضمان انسياب التجارة بأكبر قدر من السلاسة واليسر والحرية، من خلال إقامة عالم اقتصادي يسوده الرخاء والسلام، بحيث يضمن المنتجون والمصدرون أن الأسواق الأجنبية سوف تظل مفتوحة لهم، ومحاربة أية سياسات حمائية، والإشراف على تنفيذ القوانين الخاصة بالقضايا التجارية مثل: مسائل حقوق الملكية الفكرية والخدمات والاستثمار، كما تمارس المنظمة صلاحية أقوى من الجات في تسوية المنازعات.²

وتشكل المنظمة منتدى للتشاور والحوار وتبادل الآراء بين الدول الأعضاء حول المشكلات التي تواجه التجارة العالمية، وتسعى إلى رفع مستوى المعيشة للدول الأعضاء والبالغ عددهم حوالي (148) عضو،³ والمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية لجميع الدول وبخاصة الدول النامية التي يزيد عدد أعضائها في المنظمة عن 75% من جملة الأعضاء،⁴ إلا أنها تتعرض للكثير من الانتقادات وأغلبها من الدول النامية، حيث ترى أن المنظمة تغلب المصالح التجارية على قضايا التنمية المستدامة والتطور والنمو، بالإضافة إلى عدم الاكتراث إلى البيئة أو الصحة والأمان والاهتمام فقط بالأرباح التي سوق يجنيها المنتجون والمصدرون إلى أسواق الدول النامية، كما تعتبر الدول النامية منظمة التجارة العالمية بأنها تزيد من حجم الفجوة بين

¹ المرشد، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص 89.

² موقع منظمة التجارة العالمية: http://www.wtoarab.org/page.aspx?page_key=the_organization_concisely&lang=ar

³ المرجع السابق.

⁴ قابل، محمد صفوت، الدول النامية والعولمة، مرجع سابق، ص 43.

الأثرياء والفقراء سواء في الدولة نفسها أو بين الدول، بحيث أن قلة من الأغنياء في العالم هم من يتحكمون بالثروة العالمية، في حين يزداد الفقر والتهميش والبطالة والتبعية في العالم.¹

ومن جهة أخرى، ترى الدول النامية والصغيرة منها بأن صوتها غير مسموع وأن دورها ضعيف وغير مؤثر في المفاوضات التي تجري في إطار منظمة التجارة العالمية، كما تعتبرها منظمة غير ديمقراطية، حيث أنها تتخذ القرارات التي تخدم مصالح الدول الكبرى مثل: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي واليابان، ولا تمرر أي قرار يقف في وجه مصالحها، وهكذا تحرم الدول النامية من فرص الدفاع عن مصالحها،² وهي بذلك تعتبر أداة رئيسة للعولمة ولمؤيديها في السيطرة على العالم من خلال ما يتخذونه من قرارات وسياسات تخدم في الدرجة الأولى المصالح الأمريكية والمصالح التجارية الربحية، كما أن منظمة التجارة العالمية تساهم إلى جانب مؤسسات العولمة الأخرى في إضعاف سيادة الدول، وفي نشر ثقافة شعب معين (أمريكا) على شعوب العالم أجمع، من خلال طمس ومحو ثقافات العالم المتنوعة، بواسطة المنتجات الثقافية المختلفة التي تفتح الأفاق لها عبر التجارة الحرة في مختلف أسواق دول العالم ولا سيما العالم النامي.

ومما سبق يمكن اعتبار منظمة التجارة العالمية إلى جانب مؤسسات العولمة الأخرى وسائل للهيمنة الرأسمالية السياسية والاقتصادية والثقافية، وللسيطرة على العالم لصالح الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، مقابل فرض إملاءات سياسية واقتصادية والثقافية على دول العالم وخاصة النامية منها، لتحقيق أهدافها الرئيسية وهي استعمار العالم ونهب خيراته وثرواته المادية والبشرية، وهذه المنظمة ومؤسسات العولمة الأخرى بعيدة كل البعد عن تحقيق التنمية المستدامة في الدول النامية.

¹ خدام، منذر، "منظمة التجارة العالمية-المخاض الصعب"، الحوار المتمدن، ع 815، 2004/4/25، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=17379>. وبالإمكان الإطلاع على موقع منظمة التجارة العالمية، محور الأفكار العشر الخاطئة ومحور مزايا منظمة التجارة العالمية.

² المرجع السابق. http://www.wtoarab.org/page.aspx?page_key=the_mistakes_tens&lang=ar

ث - الشركات متعددة الجنسيات

تعتبر الشركات متعددة الجنسيات الأداة الرئيسية للعولمة واللاعب الرئيسي في الاقتصاد العالمي في الوقت الحاضر، وهي شركات رأسمالية عملاقة ذات مراكز إنتاجية تتوطن في أكثر من دولة وتحمل جنسيتها، أي أنها شركات تعمل في أكثر من دولة واحدة، باحثة عن توفر المواد الخام والأيدي العاملة الماهرة والرخيصة، والتكلفة القليلة، أو للتمتع بالمزايا الضريبية في هذه الدولة أو تلك.¹

تُعتبر الشركات متعددة الجنسيات وسيلة من ضمن الوسائل التي يُعتمد عليها في فرض العولمة، فهي أقوى الوسائل التي تستخدمها الرأسمالية والليبرالية في جر الاقتصاد العالمي والقيم الثقافية والإنسانية للدول المختلفة باتجاه العولمة للأسباب التالية:

1- الشركات متعددة الجنسيات تتميز بالضخامة من حيث الحجم والأرباح وتتنوع الأنشطة والانتشار الجغرافي²، حيث وصل عددها حوالي 61 ألف شركة أم، وحوالي 900 ألف فرع تابع لها،³ وتسيطر على أغلبها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تمتلك أكثر من نصفها والباقي للدول الغربية والصناعية وتستغلها في السيطرة على السوق العالمي، وتمارس هذه الشركات مبادلاتها التجارية حول أربعة قطاعات رئيسية وهي: البترول، السيارات، التكنولوجيا العالية والبنوك،⁴ وتسيطر الشركات متعددة الجنسيات على ثلث الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتلثي التجارة الدولية في مجال السلع والخدمات.⁵

¹ رجب، مصطفى، العولمة ذلك الخطر القادم أسبابها-تداعياتها الاقتصادية - آثارها التربوية، مرجع سابق، ص ص 27-28.

² المرجع السابق، ص 37.

³ الأسرج، حسين عبد المطلب، سياسات تنمية الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الدول العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: جامعة الزقازيق، د.ت،

http://depot.gdnet.org/newkb/fulltext/Elasrag_fdi_Arab_countries.pdf

⁴ الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 109.

⁵ المرجع السابق، ص 110.

2- تسعى الشركات متعددة الجنسيات بثتى الوسائل للهيمنة على ثروات الدول - وخاصة دول العالم الثالث (الدول النامية)- التي تستثمر فيها، لإنهاك قواها في المجال الاقتصادي مقابل منتجات كانت أساساً عبارة عن مواد خام في تلك الدول، ثم تنتقل إلى البلدان الصناعية الكبرى وتعاد على شكل مصنوعات تحمل الصفة الاحتكارية لهذه الشركات بدلاً من احتكارها في الدول النامية صاحبة الثروة، حيث أن الاحتكار شرط من شروط الشركات متعددة الجنسيات باعتبارها أقلية تسيطر على العديد من إنتاجيات فروعها عبر العالم وفق إستراتيجية محكمة ودقيقة، بهدف خلق استثمارات جيدة في تلك الدول، ومن جهة أخرى فإن عدد دول العالم الثالث حوالي (130) دولة، يعيش فيها أكبر نسبة من سكان العالم، لكن لا يتعدى نصيبهم (20%) من الناتج العالمي إلى جانب امتلاك هذه الدول لثروات طبيعية وطاقات بشرية هائلة فهي لا تساهم في الإنتاج الصناعي العالمي إلا بنسبة (7%) و (35%) من الإنتاج الزراعي الذي لا يغطي حاجة هذه البلدان.¹

3- للشركات متعددة الجنسيات تأثيرٌ كبيرٌ في سياسة الدول؛ فأصبح الولاء لهذه للشركات بدلاً من الولاء للدولة الوطنية، حيث أن تأثيرها الكبير على السياسات الاقتصادية للدول انعكس على الخريطة السياسية للعالم، حيث تقوم بإضعاف سيادة الدولة المتصلة بها وتقليل دورها الاقتصادي والاجتماعي، كما أنها تحرم الدولة المتصلة بها من أنشطة البحث العلمي والتطوير وإغرائها بمنحها عائد أكبر لاستثماراتها لإبعادها عن إرساء قاعدة إنتاجية لها، بالإضافة إلى أن الشركات متعددة الجنسيات ساهمت في تركيز الثروة العالمية في أيدي أقلية يتناقص عددهم باستمرار، مما أدى إلى تعميق الفجوة بين الدول وبين شرائح المجتمع الواحد في مختلف النواحي، بحيث ساهمت في تعميق الفقر في العالم وهجرة الأدمغة وتعميق الفجوة التكنولوجية بين الدول المتقدمة والدول النامية.²

¹ عجيل، ابراهيم محسن، الشركات متعددة الجنسية وسيادة الدول، رسالة ماجستير غير منشورة، الدنمارك: الأكاديمية العربية المفتوحة، كلية القانون والسياسة/ 2007-2008، http://www.ao-academy.org/docs/master_letter_multi_nation_companies_by_ibrahim_muhsin_ajeel_2402009.doc

² الملكاني، عبد الحميد، " دور الشركات المتعددة الجنسيات في ظل العولمة"، الحوار المتمدن، ع 1076، 2005/1/12، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29704>

4- عززت الشركات متعددة الجنسيات من الثقافة الاستهلاكية للفرد، فبتعدد الشركات تتعدد السلع، وأصبح المستهلك لا يفرق بين السلع الضرورية والكمالية، بل في أغلب الأحيان يرجح السلعة الكمالية على السلعة الضرورية لدعوى مسايرة الموضة والعصرية والتكنولوجيا الحديثة.¹ وبذلك ساهمت تلك الشركات في إحداث تغييرات ثقافية واجتماعية واقتصادية للفرد تختلف عن تلك السلوكيات والثقافات التي كان يسير عليها سابقاً، لذلك تعتبر الشركات متعددة الجنسيات أدوات للتغيير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في العالم مستعينةً بوسائل الإعلام والاتصال الحديثة المنتشرة في كل أنحاء العالم.

ونستنتج مما سبق أن الشركات متعددة الجنسيات تنشر مبادئ العولمة وتحقق أهدافها وذلك بالتعاون مع وسائل ومؤسسات العولمة الأخرى، فهي تعمل على نشر مبادئ وقيم الليبرالية والرأسمالية، والتي هي في الأساس قيم الدول الغربية وخاصة قيم الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح القيم الرئيسية لكل شعوب العالم.

المطلب الثاني: مؤسسات العولمة الثانوية

أ- المنظمات غير الحكومية (NGO's)

ظهرت المنظمات غير الحكومية نتيجة للتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي صاحبت العولمة، مثل: التحرير الاقتصادي، وتقليص دور الدولة، وتحرير التجارة والتكتلات وغيرها والتي يكون الربح فيها سمة أساسية، وما نتج عن ذلك الكثير من المشاكل مثل: الفقر والبطالة ومشاكل البيئة والتلوث وغيرها. لذلك تطور القطاع الخيري والتطوعي عبر مؤسسات ومنظمات غير حكومية حلت محل الحكومة الوطنية في تقديم الكثير من الخدمات والمصالح والمنافع العامة، واتسع نطاق عملها الوطني عبر الحدود لتشمل العالم أجمع من خلال

¹ سهيلة، براحو، حدو، رضا جاو، "تداعيات العولمة الاقتصادية على تغيير الأنماط الاستهلاكية في الدول العربية"، الجزائر: جامعة باجي مختار، ورقة بحثية قدمت للمؤتمر العلمي الرابع/ الريادة والابداع: استراتيجيات الأعمال في مواجهة تحديات العولمة 15-16/3/2005 جامعة فيلادلفيا، <http://www.jps-dir.com/Forum/uploads/1364/13.pdf>

مشاريع وبرامج تحمل في طياتها مبادئ تحررية (ليبرالية) وقيم رأسمالية وإنسانية، وهي نفس القيم التي يتم تسويقها عبر العالم في إطار العولمة.¹

اختلف الكتاب حول تعريف المنظمات غير الحكومية، منهم من قال إن المنظمة غير الحكومية هي: "تنظيم اجتماعي يستهدف غاية ومن أجل بلوغها تحدد نشاطها في بيئة جغرافية بعينها أو في ميدان نوعي أو وظيفي متخصص فيه"²، ومنهم من عرفها حسب وثائق الأمم المتحدة الصادرة عام 1994، بأنها: "تمثل كياناً غير هادف للربح وأعضاؤه مواطنون أو جماعات من المواطنين ينتمون إلى دولة واحدة أو أكثر وتتحدد أنشطتهم بفعل الإرادة الجماعية لأعضائها، استجابة لحاجات أعضاء واحدة أو أكثر من الجماعات التي تتعاون معها المنظمة غير الحكومية"³. وفي هذه الرسالة، يتم اعتماد التعريف التالي بأنها: مجموعات طوعية أو تطوعية لا تستهدف تحقيق الربح ينظمها مواطنون سواء على مستوى محلي أو قطري أو دولي، ويتمحور عملها حول مهام معينة ويديرها أشخاص ذوو اهتمامات مشتركة مهتمين بقضايا الإصلاح والدفاع عن حقوق الإنسان والبيئة والصحة، وتؤدي تلك المنظمات مجموعة متنوعة من الخدمات والوظائف الأساسية.⁴

ومن أهم المنظمات غير الحكومية التي تعمل على مستوى العالم هي: منظمة أوكسفام، ومنظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة رصد حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية وغيرها.

¹ عيد الغفور، سراج الدين، "منظمات المجتمع المدني في ظل العولمة"، منارات افريقية، 2010/10/24، <http://www.islam4africa.net/index.php/manarate/index/18/47>

² المنصوري، كمال، "المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي"، المكتب الدولي للجمعيات الإنسانية والخيرية، <http://www.humanitarianibh.net/reports/mansori.htm>

³ سمك، نجوى وآخرون، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة الخبرتان المصرية واليابانية، تحرير: نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة القاهرة، 2002، ص 48.

⁴ المنظمات غير الحكومية وإدارة الأمم المتحدة للإعلام، <http://www.un.org/arabic/NGO/brochure.htm>

ومن الجدير ذكره أنه من الصعب تحديد تعريف جامع وشامل لمصطلح (المنظمة غير الحكومية)، ولكن يمكن تحديد مجموعة من الأسس والمعايير التي إذا توافرت في مؤسسة ما يمكن أن يتم إدراجها تحت مسمى المنظمات غير الحكومية، وهي كالاتي:¹

1. ذات هيكل رسمي مقنن يتسم بالدوام إلى حد كبير، وغير هادفة للربح بالمعنى العام، وتقوم على مبدأ التطوعية.

2. غير حكومية بمعنى: أن تكون مستقلة أو منفصلة عن الحكومة، وإن كان بإمكانها الحصول على مساعدات مالية وفنية من الحكومة.

3. ذاتية الحكم، أي أن تحكم نفسها بنفسها، وأن تكون قادرة على التحكم والسيطرة على أنشطتها.

4. غير تمثيلية، أي عدم اقتصار عضويتها على قطاع محدد، بل يجب أن تكون شاملة لكافة القطاعات.

5. أن تكون غير حزبية، وهذا لا يمنع أن يكون لها مواقف معينة تجاه بعض القضايا السياسية.

6. غير إرثية، بمعنى أن تكون العضوية طوعية، وأن لا تكون العضوية قائمة على أسس القرابة أو العرق.

7. يجب أن تقوم بخدمة الصالح العام سواء كان اجتماعياً أو ثقافياً أو مهنياً، وأن تهدف المنظمة في النهاية إلى تحسين نوعية الحياة وتخفيف المعاناة عن الفقراء والمعوزين سواء داخل الدولة التي تنتمي إليها المنظمة أو خارجها.

¹ الشلبي، ياسر وآخرون، تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، 2001، ص8، بالإضافة إلى: سمك، نجوى وآخرون، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة الخبرتان المصرية واليابانية، تحرير: نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة القاهرة، 2002، ص ص48-49.

ومن الأسس والمعايير السابقة يتضح أن الهدف الأساسي من المنظمات غير الحكومية هو تحقيق الصالح العالم وخدمة الأفراد داخل الدولة أو خارجها في النواحي التعليمية والصحية والبيئية والثقافية والفنون والبحث العلمي ورعاية الطفولة وغيرها، ولكن في ظل العولمة اتسع مجال اهتمام المنظمات غير الحكومية ونشاطاتها حيث ظهرت منظمات تركز على الممارسات الديمقراطية وحقوق الإنسان والرأي العام وشؤون المرأة والمساواة بين الجنسين وحق الاقتراع ومراقبة الانتخابات والتغيير السياسي، بل وصل الأمر إلى حدّ المطالبة بالتدخل الأجنبي، وبذلك تم عولمة المنظمات غير الحكومية مما ساهم في عولمة الرأي العام العالمي.¹

وبناءً على ما سبق فإن الغرب يسعى إلى خلق مجتمع مدني عالمي عن طريق المنظمات غير الحكومية المعولمة وتحويلها إلى آليات تسعى إلى إدماج تلك الدول في إطار النظام العالمي الجديد الذي تدعو العولمة إليه، بحيث تتخذ من المجتمع المدني هدفاً اقتصادياً يستجيب لرؤى العولمة وفق شروط رأسمالية تعلي من شأن السوق وحرية تدفق السلع والخدمات وغيرها دون قيود تطبيقاً لمبادئ التحررية الجديدة (النيوليبرالية).² وبذلك تسعى العولمة إلى تقوية منظمات المجتمع المدني من أجل إضعاف الدولة وهذا ما يقود إلى تمزق المجتمع، مما يساهم في إحكام السيطرة الغربية ولا سيما الأمريكية على تلك الدولة. فالمنظمات غير الحكومية عبر نشاطها التطوعي والخيري حلت تدريجياً محل الحكومة المركزية في تقديم الكثير من الخدمات والمنافع العامة: كالصحة والتعليم والترفيه والرياضة والدين وغيرها، كما لعب التمويل الخارجي للمنظمات غير الحكومية المحلية دوراً في ذلك من خلال تبنيها (المنظمات غير الحكومية المحلية) برامج ومشاريع ذات قيم رأسمالية وتحررية جديدة تقوم على الديمقراطية وحقوق الإنسان وتمكين المرأة، لدرجة أصبحت تلك المنظمات تمارس صلاحياتها في الضغط على الحكومة المركزية والتدخل في صنع القرار السياسي بما يتلاءم مع مصالح الدول الغربية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية.

¹ عبد الغفور، سراج الدين، "منظمات المجتمع المدني في ظل العولمة"، مرجع سابق.

² الداغستاني، رديف شاکر، "منظمات المجتمع المدني والعولمة"، الحوار المتمدن، ع 1589، 2006/6/22،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=68001>

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما هو الدور الذي تقوم به المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة؟ وما هي المرتكزات التي تستند إليها تلك المنظمات -المنظمات غير الحكومية- في ممارسة دورها في تشكيل النظام العالمي الجديد الذي تدعو إليه العولمة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات لا بد من تتبع الآتي:¹

- تقوم المنظمات العالمية الدولية والشركات متعددة الجنسيات بتمويل المنظمات غير الحكومية وتشكل غطاءً عالمياً لها، بالإضافة إلى كونها تؤثر أحياناً على المنظمات العالمية الرسمية، حيث عملت المنظمات غير الحكومية على إدراج بند حقوق الإنسان ضمن ميثاقها الذي تطور فيما بعد تحت مسمى نظام حقوق الإنسان، ثم ساهمت في إعداد مسودة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.
- استغلت وتستغل المنظمات غير الحكومية شبكة الانترنت وشبكات التلفاز والصحف والمجلات ووسائل الاتصال المختلفة الأخرى في التأثير على الرأي العام حول قضايا سياسية واقتصادية وثقافية وبيئية معينة مما يساهم في تشكيل الرأي العام العالمي.
- شاركت المنظمات غير الحكومية في كافة نشاطات وبرامج المؤتمرات العالمية بدءاً ببروتوكول عام 1987 المتعلق بثقب الأوزون، ومؤتمر البيئة في ريو دي جانيرو عام 1992، والمؤتمر العالمي لحقوق الإنسان بفيينا عام 1993م، ومؤتمر القاهرة السكاني عام 1994م، والقمة الاجتماعية في كوبنهاجن آذار/مارس عام 1995م، ومؤتمر المرأة بكين في أيلول/سبتمبر عام 1995، ومؤتمر السكان في اسطنبول عام 1996م، مما أكسبها القوة في تشكيل الرأي العام العالمي والتي أصبحت بمثابة دستور.

¹ سمك، نجوى وآخرون، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة الخبرتان المصرية واليابانية، تحرير: نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة القاهرة، 2002، ص ص 58-76، بالإضافة إلى: المنصوري، كمال، "المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي"، المكتب الدولي للجمعيات الإنسانية والخيرية، <http://www.ibh.me/reports/mansori.htm>، بالإضافة إلى: قاسم، عبد الستار، "تجميل صورة الـUSAID"، <http://blogs.najah.edu/staff/emp-2092>.

● العلاقة بين المنظمات غير الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية المحلية في الدول النامية وخاصة العربية هي علاقة تبعية، بحيث تكون المنظمات غير الحكومية الدولية هي المانحة والأخرى هي المتلقية، وبالتالي فإن هذه العلاقة غير المتكافئة تصنع سلوكيات معينة في التعامل بين الطرفين بشأن تحديد الأولويات، كما أن للدول المانحة الحق في الرقابة والمتابعة، على الرغم من ثبوت فشل بعض المشروعات الممولة أجنبياً بسبب اختيار المانحة مشروعات لا تمت للواقع أو لاحتياجات الأفراد بصلة، كما أن المنظمات غير الحكومية الدولية تسيطر على النشاط الأهلي والتطوعي في دول العالم الثالث فكرياً وممارسةً وتمويلًا.

● تمتلك المنظمات غير الحكومية معلومات هائلة عن الدول التي تنشط فيها، وهي تكون بمثابة مصدر لجمع المعلومات واستطلاعات الرأي العام العالمي، فمُنظمة العفو الدولية والتي تعمل في 126 دولة، تمتلك معلومات عن هذه الدول وهي جاهزة لمن يطلبها، والجدير ذكره أن هذه المنظمات تجند مثقفين وباحثين وخبراء ودارسين وأكاديميين من تلك الدول -خاصة الدول العربية- لخدمة مصالحها وجمع المعلومات التي تريدها تلك المنظمات، والتي تهدف في النهاية إلى اختراق المجتمعات وطمس الثقافات لتعلو ثقافة السيطرة والهيمنة.

● تلعب المنظمات غير الحكومية الدولية دوراً أساسياً في تصميم وإعداد الكثير من الاتفاقيات متعددة الأطراف، ولها القدرة على صنع القرار الرسمي، وفي المفاوضات الدولية.

● المنظمات غير الحكومية التي تعمل على مستوى العالم ما هي إلا آلية من آليات الهيمنة الرأسمالية التي تقوم على نشر القيم التحررية (الليبرالية) الغربية وتعمل بجانب المؤسسات الدولية الرسمية الأخرى، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، في تنفيذ وتطبيق برامج العولمة، على الرغم من وجود منظمات غير حكومية دولية كثيرة لها انجازات إنسانية كبيرة.

ومن الجدير ذكره أن عدد المنظمات غير الحكومية المعنية بحماية حقوق الإنسان وسياسات التنمية الدولية، والمساعدات الإنسانية وسياسة البيئة قد ارتفع كثيراً في العشرين سنة الماضية، حيث يقدر عدد المنظمات غير الحكومية الناشطة في مجالات حقوق الإنسان والتنمية وسياسات السلم والأمن بحوالي (37-50) ألفاً بحسب تقرير التنمية الإنسانية الصادر عن الأمم المتحدة 2003، وهناك عدة تفسيرات لتزايد عدد المنظمات غير الحكومية ولتعاظم أهميتها:¹

1- المؤتمرات العالمية للأمم المتحدة في بداية التسعينيات قدمت محفزات هائلة لإنشاء منظمات غير حكومية جديدة.

2- تدعم وسائل الإعلام والاتصال المختلفة أنشطة شبكات عمل المنظمات غير الحكومية الدولية.

3- تكتسب المنظمات غير الحكومية شعبية واسعة لدى الشعوب، وذلك لتقديمها خدمات الرعاية الاجتماعية التي كانت الدولة تقوم بها في الماضي مثل: الصحة والتعليم والنشاطات الاجتماعية نتيجةً للمشروع التحرري (الليبرالي) الجديد الداعي لتخفيض سلطة الدولة في هذه المجالات.

4- إن تزايد عدد المنظمات غير الحكومية دولياً وإقليمياً ومحلياً يأتي استجابةً للإدراك والوعي المتنامي بأهمية بناء مجتمع مدني عالمي يقوم على مفهوم المواطنة الدولية ضمن إطار مشروع العولمة.

6- التوتر والصراع الاجتماعي في الدول النامية خاصةً والناجم عن عمليات الإصلاح الاقتصادي خلق الحاجة إلى إيجاد حلول سريعة يعجز عن حلها القطاع الحكومي والخاص،

¹ فيشر، مارتينا، " المجتمع المدني ومعالجة النزاعات : التجاذبات والإمكانيات والتحديات"، مركز بحوث برغهوف للإدارة البناء للنزاعات - النسخة الأولى تشرين الأول/أكتوبر 2006، http://www.berghof-handbook.net/documents/publications/arabic_fischer_cso.pdf . وبالإضافة إلى: سمك، نجوى وآخرون، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة الخبرتان المصرية واليابانية، تحرير: نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة القاهرة، 2002، ص ص 52-57.

وبذلك نشأ القطاع الثالث وهو القطاع الخيري والتطوعي والذي نشط على شكل المنظمات غير الحكومية.

ب- الإعلام

يعتبر الإعلام سلطة تقنية (تكنولوجية) متكاملة، لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول بل بحدود أوسع بكثير من حدود الدولة، ترسمها شبكات الاتصال والمعلومات بناءً على أسس ثقافية وفكرية واقتصادية وسياسية تطرحها آيدولوجيا العولمة بهدف التحكم والسيطرة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسلوك.¹

ازداد الإعلام بفضل الأقمار الصناعية مما ساعد على تبادل الأخبار والبرامج والمعلومات مما ساهم في إثراء المستوى العام لمعلومات الأفراد وذلك بزيادة المعلومات المتوافرة لسكان العالم بما يُعرف "بالانفجار المعرفي"، وبذلك يزيد ويزداد ارتباط أجزاء العالم بعضها ببعض بشكل مستمر، كما أن للإعلام دورٌ في تثقيف الفرد بالقضايا العالمية والإقليمية والمحلية، ويعمل على إزالة العزلة المفروضة على الناس وحتى على أشد المجتمعات انغلاقاً مثل إيران، وزيادة الوعي والإدراك المجتمعي حول القضايا الإنسانية والبيئية مثل: حقوق الإنسان، والمساواة، والديمقراطية، والتلوث وغيرها، مما ينعكس على تقليل الشعور بالتباين بين أنحاء العالم ويزيد من إمكانية التفاهم بين الأفراد في مختلف مناطق العالم دون اعتداد للجنس أو اللون أو العرق، وهذا إذا كانت عملية التبادل تجري بشكل متوازن وسليم.²

إن التبادل الإخباري والمعلوماتي يحدث تغييراً حاسماً في لغة التخاطب الدولي بين الشعوب، وأصبحت سهولة التبادل الإعلامي الدولي جزءاً من الانفتاح على وسائل التنمية التقنية الحديثة، وعلى احتواء دول العالم الثالث بوسائل الانفتاح العصري لا سيما عن طريق الأقمار الصناعية التي تساهم وتسهل عملية التدفق الحر للإعلام، مما يعني فتح المجال لعبور المعلومات

¹ الجابري، محمد عابد، "العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات"، في: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة- الكتاب الثاني، مرجع سابق، ص 31.

² الدليمي، عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، مرجع سابق، ص 17.

والأخبار بدون قيود وبشكل حر، الأمر الذي يسهل على الدول المتقدمة ضخ أكبر كمية ممكنة من الأخبار والمعلومات بما يخدم أهدافهم في دول العالم الثالث التي ستكون هي الهدف والضحية، مما أوجد ما يسمى "بالتبعية الإعلامية" وذلك بفضل محاولات الولايات المتحدة الأمريكية السيطرة على ثقافات العالم نظراً لامتلاكها التقنية الاتصالية والمعلوماتية العالية.¹

ومن الملاحظ أن العولمة هي مشروع شامل ومتكامل، يحاول أصحابها باستمرار التغلغل في شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية لدول العالم، منادين بشعارات أن العالم عبارة عن قرية صغيرة، وإزالة الحواجز وفتح الأسواق، وتتميط الثقافة وغيرها. ولتحقيق ذلك عمد مناصرو ومنظرو وصانعو العولمة إلى الإعلام لما له من أدوار خطيرة وسريعة وحاسمة في نفس الوقت، من أجل خدمة مصالح وغايات العولمة الرئيسية وهي: السيطرة والهيمنة على العالم من خلال هيمنة القطب الواحد (الهيمنة الأمريكية) على باقي دول العالم في مختلف القطاعات العسكرية والاقتصادية والسياسية والتقنية، كون الولايات المتحدة الأمريكية هي رائدة التقنية الحديثة.²

ومن الجدير ذكره أن علاقة الإعلام بالعولمة تتخذ منهجين: أولاً الدعاية التي تستخدمها وسائل الإعلام لتسويق العولمة بشتى الوسائل لتجعلها مقبولة لدى شعوب العالم بمختلف أبعادها وتجلياتها؛ وثانياً تشجيع تجارة وسائل الإعلام كأجهزة التلفاز والكمبيوتر والكاميرات والتسجيلات وغيرها من الوسائل الإعلامية.³ لذلك فإن الثورة الإعلامية التي صاحبت ظهور العولمة منذ بداية تسعينيات القرن العشرين تعتبر إحدى علامات العولمة الأشد أثراً والأكثر وضوحاً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف ساهم الإعلام في خدمة العولمة ظاهرةً وأيدولوجياً؟ وتظهر الإجابة عن هذا السؤال من خلال النقاط التالية:

¹ الدليمي، عبد الرزاق محمد، الإعلام والعولمة، مرجع سابق، ص ص 17-18.

² الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 114.

³ المرجع السابق، ص 113.

• لعب الإعلام الدولي دوراً في نشر وترويج وفرض النظام الرأسمالي والتحرري (الليبرالي) على البشرية، واعتبر أن هذين النظامين هما الوحيدان الصالحان للحكم، وذلك من خلال بيان إيجابية المنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات الرأسمالية مثل (ديزني، سوني، تايم وورنر)، كما أن ثورة الاتصال كانت الأداة التي استخدمت في إقناع الرأي العام لفرض النظام الرأسمالي على العالم.¹

• الإعلام والاتصال والمعلومات مكون أساسي في الاقتصاد العالمي، حيث تصل عائدات هذا القطاع إلى 1.5 تريليون دولار، وتحصل الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على 47% من العائدات العالمية من هذا القطاع، كما أن الأفلام الأمريكية التي تصدر للخارج مدخولها أكبر من مدخولها داخل أمريكا.²

• الثورة الإعلامية والمعلوماتية والاتصالية أتاحت العديد من الوسائل التي أزالت الحواجز والحدود الجغرافية وقربت المسافات وسهلت إمكانية الحصول على المعلومات من أي مكان في العالم بأسرع وقت وأقل جهد، وقد تمثلت تلك الوسائل في الأقمار الصناعية وشبكات المعلومات مثل الإنترنت والجوال والبريد الإلكتروني وغيرها من الوسائل والمبتكرات،³ أو بمعنى آخر أصبح حلم العولمة حقيقة يُطبق على أرض الواقع، تصل مفاهيمها وقيمها وأساليبها ومكوناتها إلى شتى شعوب العالم، حتى إلى أكثرها انغلاقاً كإيران مثلاً.

• قدرة الغرب على امتلاك وسائل التقنية الحديثة في جميع الحقول ساهم في زيادة تبعية إعلام دول العالم الثالث للكيانات الإخبارية العملاقة، مما يؤدي ذلك إلى تماثل وتجانس للمواد الإخبارية التي يتلقاها كافة الأفراد في مختلف دول العالم، وهذا يخلق ويروج لثقافة عالمية واحدة وهي الأنجلوأمريكية.⁴

¹ مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، "العولمة: مالها وما عليها؟"، القسم الثاني، مارس 2009، ص6، <http://alkashif.org/html/center/17/2.pdf>

² المرجع السابق.

³ عبد الفتاح، شعيب، "الإعلام والعولمة"، جريدة الرياض، ع (13362)، 23 يناير 2005، <http://www.alriyadh.com/2005/01/23/article10692.html>

⁴ المرجع السابق.

• ساهمت وسائل الإعلام وخاصة المرئية منها في تراجع الوسائل المطبوعة ونشطت ثقافة الصورة، وهي ثقافة ما بعد المكتوب، وهنا تكمن خطورة العولمة الثقافية معلومات أكثر... ومعرفة أقل؛¹ فكثرة المعلومات التي يتلقاها الفرد تساهم في تشويش تفكيره وتضلله وبالتالي يفقد القدرة على الربط بين المعلومات التي يتلقاها فيكون مصيرها النسيان. لذلك فإن مضمون ما تبثه وسائل الإعلام لا تؤسس لذاكرة وإنما تهدف إلى تنقيف الفرد ب"ثقافة النسيان" إن صح التعبير، مما يساهم في التحكم في عقول الأفراد والمجتمعات وتوجيهها بما يتلاءم مع مصالحها ومخططاتها التي تخدم استراتيجية العولمة.²

• يساهم الإعلام المعاصر في صياغة ثقافة ملايين البشر المتنوعة، مقابل ثقافة عالمية واحدة (أمريكية)، فيؤثر في منظومة القيم والأخلاق واتجاهات السلوك والمواقف والآراء، فالإعلام هو اللاعب الأكبر في الساحة فهو "ينقل صورة العالم ويعيد صياغة تلك الصورة، ويغير من شكل الصورة وملامحها وألوانها تبعاً لموجهات أيديولوجية ومصالحية، بعضها ظاهر، وبعضها الآخر خفي"،³ فعلى سبيل المثال: تدشين مصطلح الإيواء البشري -أي منح الشاذين جنسياً أن يكونوا فيما بينهم أسراً- يخالف الطبيعة البشرية، لكن عمدت الدول الغربية ولا سيما أمريكا على إدماج كافة أشكال الانحراف من الزنا إلى الشذوذ الجنسي لتكون أوضاعاً طبيعية لدى شعوب العالم ولا سيما العربية.⁴ ومن جهة أخرى تم استخدام وسائل الإعلام في نشر وترويج مصطلح الإرهاب عوضاً عن مصطلح المقاومة أو الجهاد وخاصة في الدول العربية والإسلامية.

¹ عبد الفتاح، شعيب، الإعلام والعولمة، مرجع سابق.

² رحيم، سعد محمد، "الإعلام والعولمة: كيف حولنا الإعلام؟"، الحوار المتمدن، ع (1395)، 10/12/2005، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=51935>.

³ رحيم، سعد محمد، "الإعلام والعولمة: كيف حولنا الإعلام؟"، مرجع سابق.

⁴ الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 115.

- تستقطب وسائل الإعلام النخب المثقفة للترويج لقيم وفكر وأيدولوجيا العولمة عبر الحوارات التلفزيونية والمؤتمرات بهدف تهميش الثقافات والسياسات الأخرى¹ عبر إعلاء قيم الثقافة الرأسمالية والتحررية الجديدة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.
- يساهم الإعلام في إحياء النعرات الضيقة وبيث الأحقاد والكرهية ويحرض على العنف، فالإرهاب والعنف والحروب هي مادة وسائل الإعلام العالمي المعاصر التي تنتشرها على الشعوب في كافة أنحاء العالم، كما أنه بالرغم من ترويجه عن قيم التحررية (الليبرالية) من حرية وديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية الرأي والتعددية، إلا أن الإعلام في المقابل يصادر الحريات بطرق خفية،² فوسائل الإعلام عبر ما تبثه من قيم وأفكار وثقافة معينة تؤثر في قناعات الإنسان وتدخل في خياراته وتشكل أفكاره، وتسرق منه عمره أثناء تتبعه لتلك الوسائل ولا تعطيه في المقابل إلا وهم الحقيقة والحرية.
- تشجع وسائل الإعلام والاتصالات المختلفة ثقافة الاستهلاك من خلال الدعايات التجارية التي تبثها تلك الوسائل المختلفة، فتشجع الفرد المتلقي (المستهلك) على شراء واقتناء السلع الكمالية دون الضرورية.³
- الإعلام وسيلة لفرض الهيمنة الغربية ولا سيما الأمريكية على العالم حيث أن أمريكا تصدر عبر شركاتها ما يقارب 3/4 البرامج التي تبثها عبر العالم، في حين أن نسبة ما تستورده من البرامج لا يتعدى 2%، كما أن 97% من الأجهزة المرئية موجودة في الغرب، و87% من الأجهزة المسموعة يمتلكها الغرب، وأن 90% من مصادر الأخبار في دول العالم الثالث مستوردة من الغرب، كما أن الغرب ولا سيما أمريكا يحتكر صناعة الصورة، فواشنطن لوحدها تسيطر على 65% من حجم الاتصال المتداول في العالم، وأمريكا لوحدها

¹ طيبيل، أدهم عدنان، "الإعلام الحديث في ظل العولمة"، دنيا الرأي، 2007/5/25، <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2007/05/25/89911.html>

² رحيم، سعد محمد، "الإعلام والعولمة: كيف يحولنا الإعلام؟"، مرجع سابق.

³ سهيلة، براحو، حدو، رضا جاو، "تداعيات العولمة الاقتصادية على تغيير الأنماط الاستهلاكية في الدول العربية"، مرجع سابق.

تحتكر 35% من عملية النشر في العالم و64% من الإعلان الدولي و 45% من التسجيلات و90% من أشرطة الكاسيت و 35% من البث عبر الأقمار الصناعية، وهذا يعني أن أكثر من 2/3 حجم الإعلام الذي يبيث إلى العالم قادم من أمريكا.¹

• يتلاعب الإعلام ووسائل الاتصال المختلفة بالقيم الأخلاقية والإنسانية مثل الحب ويغير من ملامحه إلى مجرد سلعة تباع وتشتري، بالإضافة إلى استغلال الحروب الدامية من أجل صناعة الألعاب الإلكترونية التي تجسد تلك الحروب فتبث لدى اللاعب العنف والكرهية والحق.²

• الإعلام في عصر العولمة حول المرأة وجسدها إلى مجرد سلعة تباع وتشتري من أجل تحقيق أكبر نسبة من الأرباح، سواء أكان ذلك في امتهان جسدها في الدعايات أو في البرامج أو من خلال الأفلام الإباحية، وهذا بالضرورة يضيع كرامة المرأة والإنسان بشكل عام.

ت- اللغة الإنجليزية

اللغة هي وسيلة تحاور واتصال بين البشر، كما أنها وسيلة للتفاهم والاندماج الاجتماعي، وتعد أهم ركن من أركان الحضارة، ومن أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، وبذلك كل لغة تحمل ثقافة تمثل تلك اللغة. كما تعتبر اللغة عنصراً من عناصر الوحدة، وبدونها تتفكك الشعوب ويقل الانتماء إليها، حيث أن الدول التي يتحدث شعوبها بلغة واحدة تكون أكثر ترابطاً وتماسكاً من الدول التي تتحدث أكثر من لغة، كما أن وحدة اللغة تمثل أهم عناصر الاستقرار السياسي والاقتصادي.³

¹ سعد محمد رحيم، "العولمة والإعلام... ثقافة الاستهلاك.. استثمار الجسد وسلطة الصورة"، الحوار المتمدن، ع (1275)، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=42345>، 2005/8/3

² المرجع السابق.

³ الربيعي، صاحب، "دور اللغة في التواصل الحضاري"، الحوار المتمدن، ع 1501، 2006/3/26، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=60544>

وبناءً على ما سبق، ندرك خطورة دخول لغة أجنبية على أمة ما، وخاصة عندما تمتلك -اللغة الأجنبية- الكثير من المقومات والمميزات التي تمنحها لمتحدثيها كالمميزات الاجتماعية والمالية والثقافية وغيرها، مما يؤدي إلى احتواء اللغة المحلية والحلول مكانها تدريجياً.¹

وفي الطرف الآخر، إن هدف العولمة الأساسي هو دمج كل المجالات الحياتية في نسقٍ ونظامٍ عالمي واحد، بحيث تجعل كل ما هو محلي عالمياً، وهذا بالتأكيد ينطبق أيضاً على اللغة الإنجليزية التي انتقلت من النطاق المحلي إلى النطاق العالمي، وتجاوزت الحدود الجغرافية لتصبح لغة عالمية يتحدث بها العالم كله على اختلاف لغاته الأصلية.

ولا شك أن التطور العلمي والتقني والثورة الاتصالية والمعلوماتية ساهم في الانتشار العالمي للغة الإنجليزية، بالإضافة للهيمنة الأمريكية الاقتصادية والسياسية والإعلامية وغيرها، كما أن الإنترنت أدى إلى اتساع نطاق استخدام كلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن الثقافة الأمريكية والقيم الاستهلاكية التي قد لا تتناسب مع ثقافة وقيم بعض الشعوب والأمم مثل: الألمانية والصينية والعربية.² ومن مظاهر عولمة اللغة الإنجليزية:³

1- اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية، بصرف النظر عن عدد المتحدثين بها وتوزيعهم الجغرافي، حيث أن اللغة الأكثر تحدثاً هي اللغة الصينية وليس الإنجليزية والسبب يعود إلى عدد سكان الصين الهائل وليس إلى انتشار هذه اللغة وعولمتها، ولكن الحقيقة هنا كثيرة القطاعات التي تعتمد اللغة الإنجليزية في تعاملاتها، لذلك تعتبر اللغة المعيارية العالمية.

¹ الحداد، هيثم بن جواد، "العولمة اللغوية"، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، العولمة ما لها وما عليها؟!، القسم الثامن، آب 2009، ص50، <http://alkashif.org/html/center/17/8.pdf>

² الحداد، هيثم بن جواد، "العولمة اللغوية"، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، العولمة ما لها وما عليها؟! مرجع سابق.

³ عبد الحي، محمد، "اللغة العربية بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي"، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/4/23، <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/58679E86-DBDE-45A6-91E1-5803E93946EB.htm>

بالإضافة إلى: الحداد، هيثم بن جواد، "العولمة اللغوية"، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، العولمة ما لها وما عليها؟!، مرجع سابق، ص ص 48-54. بالإضافة إلى: عبد السلام، أحمد، "العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية"، الجامعة الإسلامية العالمية/ماليزيا، -10-09-2009، <http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09> . 36-00/216-m606.html

2- أصبحت اللغة الإنجليزية لغة الإنترنت، حيث أظهرت دراسة أجرتها مؤسسة ألمانية بعد فحص أكثر من مليار صفحة إلكترونية على الشبكة، أن 88% من صفحات الإنترنت باللغة الإنجليزية، مقابل 9% بالألمانية، و2% بالفرنسية، و1% لباقي لغات العالم. ومن الجدير ذكره أن معظم الشباب العربي الذين يستخدمون الإنترنت لديهم لغة خاصة تدعى بالـ"العربنت"، بحيث تُكتب لغة عربية لكن بحروف إنجليزية تتخللها بعض الأرقام المرادفة لحروف معينة، كما تحتوي أيضاً على كلمات إنجليزية، كما أن هناك مجموعة أخرى عكس الـ"العربنت"، حيث تكتب كلمات إنجليزية بأحرف عربية.

3- أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللغة الثانية في أغلب بلاد العالم- ولا سيما العربية والإسلامية- كما أنها اللغة الرئيسية لكثير من القطاعات، حيث أنها شرط أساسي من شروط التوظيف حالياً في معظم الدول وخاصة العربية والإسلامية، وهذا يظهر مدى اتساع مظاهر عولمة اللغة الإنجليزية.

4- من مظاهر عولمة اللغة بشكل عام، أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها للزوال، مما يهدد الثقافات والبيئة في آنٍ واحد، حيث أن أسرار الطبيعة التي تشمل الأغاني والقصص والفنون والصناعات الحرفية لدى الشعوب الأصلية قد تختفي بسبب مظاهر العولمة المتصاعدة في جميع المجالات. ويرى باحثون أن هناك 3000-4000 لغة قائمة اليوم ستختفي خلال القرن الحادي والعشرين، وأن هناك ثلاث لغات ستقتسم العالم في حدود 2200م وهي: الإنجليزية والعربية والصينية، وذلك بفضل الثورة الإعلامية والمعلوماتية التي تجعل الشعوب تعيش "مجزرة لغوية"، ومن هنا فإن كل المؤشرات تؤكد أن هناك خطراً فعلياً من قبل نظام العولمة يهدد وجود الكثير من لغات العالم ومن ضمنها اللغة العربية.

5- كون اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية، نرى أنها فرضت نفسها فرضاً على الشعوب، لذلك أصبح استخدامها بدون وعي مسبق لدى الكثير، وذلك بفضل التقنيات الكثيرة التي تملأ الأسواق والبيوت، والشركات متعددة الجنسيات ووسائل الإعلام والاتصال الجماهيري

وشبكة الإنترنت وغيرها من الوسائل التي تساهم في نشر اللغة الإنجليزية، ومن الأمثلة الكثيرة التي لا حصر لها على استخدامنا الإنجليزية في شؤون حياتنا دون وعي مسبق هي: هالو، ساندويش، بوفيه، بيبسي، كريم كراميل، بيتزا، جالكسي، كوفي شوب، جيلي، آيس كريم، كافيه، ستالايت، فل أوتوماتيك، موديلات، كمبيوتر، لاب توب، منكير، بدكير، كوافير، بويلرات، سوبر ديلاكس، فلل، ريموت، ديكور، مول، - وحتى على مستوى التخصصات الجامعية - ماركييتج، جرافيك ديزاين، ماستر وغيرها.

وفي النهاية إن عولمة اللغة الإنجليزية يتم مشروع الأمركة والذي يسعى للسيطرة والهيمنة على العالم في كافة القطاعات حتى في اللغة، وكما أشرنا سابقاً أن اللغة هي عنصر من عناصر الوحدة لذلك إذا كانت كل الشعوب تتحدث لغة واحدة فإنه من السهل تكوين ثقافة واحدة وفكر واحد - وبالتأكيد الثقافة والفكر الأمريكيين، وفي النهاية السيطرة والهيمنة الأمريكية على كافة دول العالم، دون النظر إلى المشاكل والأزمات التي تترتب على مشروع العولمة بشكل عام والأمركة بشكل خاص، مثل تفكك الهويات المختلفة ودمجها في هوية وحضارة جديدة وهي الحضارة الأمريكية، ولكن هذا يجلب الكثير من المشاكل الاجتماعية والثقافية والسلوكية وغيرها، ولكن المهم هنا حسب مشروع العولمة هو الربح الكثير دون النظر إلى المشاكل التي تترتب على ذلك.

المبحث الثالث

تقنيات العولمة الثقافية: (الانترنت، الفضائيات، الهاتف المحمول)

الانترنت والفضائيات والهاتف المحمول تعتبر أكثر إغراءً وجذباً كونها تعتمد على ثقافة الصورة لذلك فهي أشد تعبيراً وأكثر رسوخاً و التصاقاً بالعقل، لأنها لغة عالمية تفهمها جميع الشعوب فهي قادرة على تحطيم الحاجز اللغوي، لتذوب بذلك الهويات و تزول الخصوصيات الثقافية الوطنية والقومية والإثنية للشعوب¹.

ومن جهةٍ أخرى، وجدت التقنيات المختلفة لخدمة البشرية كافة، ولتكون وسيلة للتطور والرقى، وللمحافظة على الهوية الثقافية الوطنية والقومية ولكن تم استغلال تلك التقنيات لأغراض أخرى تضر البشرية ونظامها ثقافي والقيمي في سبيل تحقيق أكبر قدر من الأرباح، لذلك ما هو الدور الذي تقوم به تقنيات (الإنترنت، الفضائيات، الهاتف المحمول) في ظل العولمة الثقافية (الأمركة)؟ وما هي النوعية الثقافية التي تنتشرها وتروج لها تلك التقنيات؟

المطلب الأول: الانترنت

شبكة الانترنت هي اختصار لكلمتين هما: (International) وتعني: العالمية، و(Network) وتعني الشبكة، وبمزج الكلمتين بكلمة تصبح (Internet) أي الشبكة العالمية. ويطلق عليها (النت the net)، وللانترنت خدمات كثيرة مثل: الشبكة العنكبوتية، الفيس بوك، البريد الإلكتروني، تقنيات التخاطب بروتوكولات نقل الملفات (FTP) وغيرها. ولاستخداماتها الكثيرة والمتنوعة أصبحت شبكة الانترنت ظاهرة ذات تأثير اجتماعي وثقافي في جميع بقاع الأرض، وهذه الظاهرة أدت إلى تغيير المفاهيم التقليدية لمجالات العمل والتعليم والتجارة والإعلام وبرز شكل آخر لمجتمع المعلومات.

¹ أويجا، يوسف، "الخصوصيات الثقافية في مهب العولمة الثقافية- الأمازيغية نموذجاً"، في: الحوار المثمن، ع 3170،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233641> .2010/10/30

ويعتبر الإنترنت من أكثر وسائل الاتصال الجماهيري استخداماً، حيث بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم أكثر من (2مليار) مستخدم مع مطلع العام 2011م، أي ما يصل إلى 32.7% من سكان العالم والذي يبلغ حوالي 7 مليار، أما الشرق الأوسط* فيبلغ عدد سكانه حوالي 216 مليون، وعدد مستخدمي الإنترنت فيه -الشرق الأوسط- حوالي 77 مليون، أي بنسبة 35.6% من عدد السكان، و3.4% من عدد سكان العالم، وعدد مستخدمي "الفايس بوك" في العالم حوالي 800 مليون، أما عدد مستخدمي "الفايس بوك" في الشرق الأوسط حوالي 18 مليون،¹ وتأتي قارة آسيا في المرتبة الأولى من حيث عدد المستخدمين، وقارة أوروبا ثانياً، وأميركا الشمالية ثالثاً، ثم أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي، تليها أفريقيا وأخيراً استراليا.² ومن خلال هذه الأرقام نلاحظ أهمية شبكة الإنترنت كوسيلة اتصال فعّالة، تربط الأفراد بعضهم ببعض في مختلف بقاع الأرض، فهي تتجاوز الحواجز والحدود الجغرافية بين الدول وتجعل العالم قرية صغيرة، وبذلك تحقق حلم العولمة.

ومن الجدير ذكره أن المذيع استغرق 38 عاماً ليصل عدد مستمعيه 50 مليون مستمع، والتلفاز استغرق 13 عاماً ليصل إلى ذات العدد، بينما استغرق الإنترنت 4 سنوات ليصل عدد مستخدميته 50 مليون مستخدم،³ وبذلك نلاحظ مدى سرعة انتشار الإنترنت كوسيلة تقنية اتصالية بين الأفراد في كافة دول العالم، ويعود السبب في ذلك لعدد من الخصائص التي تتمتع بها شبكة الإنترنت لجعلها من أكثر الوسائل حيوية وأكثرها تأثيراً من أي وسط إعلامي واتصالي آخر، وهي كالاتي:⁴

* مصطلح الشرق الأوسط هو مصطلح غربي يشير إلى المنطقة العربية وتركيا وإيران وإسرائيل.

¹ موقع متخصص في إحصاءات الإنترنت في الشرق الأوسط. <http://www.internetworldstats.com/stats5.htm>

² مسلماني، بسام، "هل هناك سر وراء موجة الثورات العربية؟"، في: لها أون لاين، 2/ابريل/2011، <http://www.lahaonline.com/index2.php?option=content&task=view&id=38081§ionid=1&Fprint=1>

³ المرجع السابق.

⁴ شبكة الوعي، "دور شبكة الإنترنت في نشر الدعوة الإسلامية"، ع 532، 3/9/2010، http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=331&issue=454 بالإضافة إلى: مركز

<http://www.internetworldstats.com/stats5.htm> بالإضافة إلى: غنيم، محمد، "الإنترنت والعولمة 2"، مركز الدعوة العلمي، <http://dawacenter.net/download/0010.doc>

1- الاندماج: فقد أحدثت شبكة الإنترنت نوعاً من الاندماج والشمول بين خصائص الوسائل الإعلامية الأخرى من كتب إذاعة، تلفاز، صحف ومجلات وفيديو، فهي تجمع بين الكلمة المكتوبة والصوت والصورة والفيديو في وسيلة واحدة هي الإنترنت، وتجمع كذلك بين التربية والتعليم والتنقيف والترفيه.

2- الانتشار: فقد بلغ عدد المشتركين بالإنترنت في العالم في مطلع عام (2011) حوالي (2) مليار، ووصل إلى كل بيت في العالم حتى إلى أكثر الدول انغلاقاً مثل إيران، حيث بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في إيران مطلع عام 2011 حوالي 36.5 مليون مستخدم من أصل 77 مليون شخص، أما عام 2000 كان عدد مستخدمي الإنترنت في إيران حوالي 250 ألف.

3- التفاعلية: أحدثت شبكة الإنترنت نوعاً من التفاعل بين المشاهد ومصدر المعلومات، ففي التلفاز كان المشاهد مجرد مستقبل لا يستطيع أن يسهم بالمشاركة، وكذلك الراديو بينما شبكة الإنترنت تتيح للمشاهد أو المستخدم أن يشارك في هذه المعلومات عن طريق قنوات الدردشة (chating) والاستطلاعات والإدلاء بالرأي في القضايا المختلفة في أي وقت تشاء وبأي لغة تشاء. مما نتج عن ذلك مشكلة تسمى (إدمان الإنترنت)، حيث يجد مستخدمو شبكة الإنترنت وسيلة للهروب أو الخروج من مجتمعاتهم.

4- سهولة الاتصال والنقل والتخزين: أصبح البريد الإلكتروني (e-mail) من أسرع وأرخص وسائل الاتصال في العالم وتستطيع من خلاله نقل ملفات نصوص تحتوي على عشرات الصفحات في أقل من دقيقة لأي شخص في العالم، وتخزين المعلومات والصور والوثائق بكل يسر وسهولة.

وبالرغم من كل الخصائص والإمكانات التي أتاحتها شبكة الإنترنت في الحصول على المعلومات والتعرف على الثقافات الأخرى والسرعة في تداول البيانات وغيرها، على مستوى الأفراد والمؤسسات والمنظمات العالمية والمنظمات غير الحكومية المنتشرة في جميع دول العالم، إلا أنه تم استخدامها كوسيلة لمحو الثقافات المتعددة والقضاء على هويتها الوطنية من

أجل سيطرة ثقافة نمط حضاري معين وهو ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث عمدت إلى نشر ثقافة الجنس والعنف والقيم الاستهلاكية وغيرها من خلال شبكة الإنترنت لضمان انتشارها ووصولها لعدد كبير من الأفراد، مستغلة مناطق الضعف في ثقافة الشعوب الأخرى، حيث يوجد ثقافات منغلقة وأخرى دينية لا تسمح بتداول تلك الأفكار بين أفرادها، لذلك يمكن اعتبار شبكة الإنترنت أداة من أدوات العولمة ومعلم من معالمها، فهي ثمرة العولمة الثقافية (الأمركة) ودعامتها الرئيسية، ويعود ذلك لعدة أسباب:¹

أولاً: شبكة الإنترنت نشأت في أحضان داعية العولمة وهي الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت البدايات تهدف للتجسس على نظام الاتحاد السوفييتي بهدف تدميره.

ثانياً: السيطرة الاقتصادية والتقنية (التكنولوجية) للولايات المتحدة الأمريكية على شبكة الإنترنت، فهي بلا منازع الدولة الوحيدة المسيطرة على الجانب الاقتصادي للإنترنت من حيث حجم النشاط والتقدم التقني.

ثالثاً: لغة الإنترنت هي اللغة الإنجليزية وهي بالطبع لغة الولايات المتحدة الأمريكية، ويتجه صانعو العولمة إلى جعل الإنجليزية لغة العالم.

رابعاً: محتوى الإنترنت: -بالاعتماد على النقاط السابقة- لا شك أن الثقافة التي تملأ شبكة الإنترنت هي ثقافة العولمة وخاصة ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية وتعظيمها وتجميل صورة الحياة الأمريكية من حرية ولهو ورفاهية، بالإضافة إلى امتلاء شبكة الإنترنت بصفحات العري، كما أنها تعد مسرحاً لطرح الأفكار الأمريكية مثل: الدعوة إلى عبادة الشياطين، وعبادة الفروج، وعبادة الذات، والدعوة إلى شرب الخمر والمخدرات والجنس والعنف وغيرها، مما ساهم في غسل أدمغة الشعوب وأفسدوا الفطرة البشرية التي نشأ عليها الفرد، حيث ساهمت تلك الثقافة التي تبثها شبكة الإنترنت في ظهور العديد من المشاكل مثل: الشذوذ الجنسي، ازدياد حالات الزنا والاعتصاب، والتحرش الجنسي، انتشار بيوت الدعارة، والأهم تغييب وعي الشعوب

¹ غنيم، محمد، "الإنترنت والعولمة 2"، مركز الدعوة العلمي، <http://dawacenter.net/download/0010.doc>

وكانهم دمية في يد الولايات المتحدة الأمريكية تحركهم كيفما تشاء، وفي أي وقت تشاء. بالإضافة إلى امتهان كرامة المرأة وجعلها سلعة تُباع وتُشترى تحت دعوى حرية المرأة ومساواتها مع الرجل.

ويرجع السبب في انتشار ثقافة الجنس والشذوذ والفساد الأخلاقي والقيمي إلى كثرة المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، حيث يبلغ عدد المواقع الإباحية حوالي 4.2 مليون موقع، أي ما يعادل 12% من العدد الكلي للمواقع، وهذا كله يعادل 420 مليون صفحة، وأن عدد الزوار للمواقع الإباحية في العالم حوالي 72 مليون زائر شهرياً بنسبة 42.7% من إجمالي زوار الشبكة، كما أن عدد مرات البحث عن الإباحية على موقع البحث حوالي 68 مليون بحث أي بحوالي 25% من مجموع البحوث، كما أنه كل ثانية هناك 28.3 ألف شخص يشاهدون الإباحية على شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى ذلك يتم استخدام تلك المواقع الإباحية من أجل تحقيق منافع اقتصادية للدول، حيث أنه يتم إنفاق حوالي 3 مليون دولار على المواد الإباحية كل ثانية، وفي المقابل يكون العائدات الاقتصادية لتلك المواقع كبيرة، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية ربحت حوالي 3.62 بليون دولار عام 2006 من خلال المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت، كما أنها تصدر قائمة الدول من حيث عدد الصفحات الإباحية على شبكة الإنترنت والتي تبلغ حوالي 245 مليون صفحة وتليها ألمانيا والتي تمتلك حوالي 10 مليون صفحة.¹

ومن الجدير ذكره أن أكثر الدول دخولاً إلى أشهر المواقع الإباحية هي الولايات المتحدة الأمريكية كونها الداعية لتلك الثقافة، ثم تليها إيران والإمارات العربية ومصر ثم الكويت بالمرتبة السابعة تليها السعودية بالمركز الحادي عشر، علماً بأن هناك رقابة صارمة وحجب للمواقع الإباحية في كل من الكويت والسعودية البلد الذي يتصدر قائمة الدول الأكثر حجبا للمواقع.²

¹ موقع متخصص بإحصائيات المواقع الإباحية عبر شبكة الانترنت/ أرقام وحقائق: http://cyber-addiction.com/addiction_stats.php

² برماوي، أحمد، "حملة جمع توقيعات مليونية على الفيس بوك لحجب المواقع الإباحية"، المصري اليوم، ع 2529، <http://www.almasry-alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=297090&IssueID=2138>، 2011/5/17

ونلاحظ مما سبق أن معظم الدول التي تصدرت قائمة أكثر الدول دخولاً للمواقع الإباحية هي دول عربية وإسلامية، وهذا يدل على مدى التأثير بالثقافة الغربية ولا سيما ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أنها عمدت على نشر تلك المواقع مستغلة بذلك نقاط ضعف الشباب العربي والإسلامي كونها تعتبر من المحرمات في الثقافة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى، فإن الدخل السنوي لصناعة الإباحية عبر الإنترنت يُقدر ببلايين الدولارات، وهذا يحقق نشر ثقافة الجنس مع تحقيق الربح الذي تسعى إليه مؤسسات العولمة بشكل عام، كما أن المواقع الإباحية من أكثر المواقع اصطيداً للأطفال، حيث أن نسبة الأطفال الذين يتراوح أعمارهم بين 15-17 سنة- يشاهدون الأفلام الإباحية تبلغ حوالي 80%¹ وهذا يدل على استهداف فئة مهمة من الشعب وهم الأطفال جيل المستقبل، وبذلك تتعايش معهم تلك الثقافة لتكون أسلوب حياة وسلوك في تعاملاتهم وقيمهم الحياتية.

خامساً: إضعاف شبكة الإنترنت سيطرة الحكومات على شعوبها: وهذا هو هدف العولمة الأساسي، بحيث تفتت الدولة في جماعات وأحزاب تسيطر عليها النعرات الضيقة وغيرها، مما يسهل السيطرة عليها، وهذا بالضبط ما فعله الإنترنت حيث يتم من خلاله تسريب معلومات سرية وخطيرة عن النظام الحاكم في دولة ما، ومن ثم تنشأ الخلافات والفتن وتشتت الأمة وتضيع المصلحة العامة مقابل المصالح الفردية والحزبية والفئوية، وبذلك تأتي الولايات المتحدة الأمريكية لتبث سمومها وتحقق مآربها من خلال تدخلها في الشؤون الداخلية للدولة المستهدفة مختبئةً تحت شعار حفظ الأمن والاستقرار العام للعالم، وبذلك تسيطر وتتحكم في تلك الدولة وتسيرها كيفما تشاء.

المطلب الثاني: الفضائيات

بلغ عدد القنوات الفضائية العربية في نهاية عام 2010 حوالي (733) وتنقسم إلى 243 قناة جامعة (برامج عامة)، و 490 قناة متخصصة، حيث أن الموسيقى والمنوعات تنفرد بأعلى

¹ موقع متخصص باحصائيات المواقع الإباحية عبر شبكة الإنترنت/أرقام وحقائق: مرجع سابق.

نسبة في مجموع القنوات المتخصصة، إذ يصل عددها إلى 90 قناة، فيما يستأثر قطاع الدراما والسينما والمسلسلات هو الآخر بعدد مرتفع من القنوات، يصل إلى 61 قناة، أما عدد القنوات الرياضية فيبلغ 59 قناة من مجموع القنوات المتخصصة، في حين يصل عدد القنوات الإخبارية 37 قناة¹.

وبعيداً عن الإحصاءات والأرقام، فإن دخول البث الفضائي معظم البيوت إن لم يكن كلها، ساهم في إحداث تغييرا ملموسا للمجتمع في بنائه ووظائفه ومعتقداته وقيمه وأفكاره، فمنه ما زاد من تطور وتقدم المجتمع، والآخر قد زاد من إعاقة وهدم المجتمع وتمزيق وتغريب قيمه وثقافته، وذلك مناطا بالطريقة أو الآلية التي تم التعامل بها في استقبال الخطاب الفضائي، وهل كان في جانب الفائدة أو الضرر منه. إن بعض المحطات أصبحت أدوات نافذة لجهات معادية تسعى إلى تحقيق أهدافها المؤذية من خلال "دس السم في العسل"، حيث أن ما يتضمنه بث بعض الفضائيات سواء بهدف تعظيم الربحية أو التدمير المخطط هو بمثابة سم.

ومن جهة أخرى، ليس كل ما تبثه الفضائيات من مواد إعلامية كلها ضارة، حيث أن فوائدها متمثلة في التعرف إلى الأحداث الجارية والاطلاع على الثقافات الأخرى ومتابعة التطورات العلمية وتحفيز القنوات المحلية على تطوير أدائها وتوسيع دائرة الاختيار بين ما تعرضه وتخطي القيود غير العادلة، إلا أنها في الوقت ذاته تسبب العديد من الأضرار وتفرز سلبيات كثيرة منها طمس الهوية الوطنية وخلخلة منظومة القيم المجتمعية وإضعاف التماسك الاجتماعي وتبديد الوقت وإذكاء الروح الاستهلاكية المفرطة، وإضعاف روح الولاء للمجتمع وتأجيج العدوانية وتأسيس العنف لدى الأطفال، وإثارة الغرائز الجنسية، وخدش الحياء العام.

وفي هذا الإطار أجريت دراسة في دبي حول تعامل القنوات الفضائية العربية المختلفة

مع المشاهد العربي، وكان من أبرز نتائجها ما يلي:²

¹ شبكة الأخبار العالمية ANN، 16/ابريل/2011، <http://www.ann.tv/new/showsubject.aspx?id=22485>

² قفندش، علي، بنهاوي، هناء، "مطر الفضائيات الأسود يعصف بالقيم"، في عكاظ، ع3676، 11/يوليو/2011،

<http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20110711/PrinCon20110711432903.htm>

1- بلغت نسبة مشاهد العنف والرعب حوالي 58% من البرامج، وبلغت نسبة البرامج العاطفية حوالي 42%، كما بلغت نسبة المشاهد الجنسية حوالي 11% من البرامج الموجودة، وجمع نسبي البرامج العاطفية مع البرامج الجنسية نجد أن نسبتها بلغت 53% وهي عالية جداً لقناة عربية.

2- بلغت نسبة البرامج الجماهيرية على هذه القنوات حوالي 31%. بينما تركزت البرامج الدينية والإخبارية بشكل أساسي على إحدى هذه القنوات حيث بلغت 10% و7% فيها على التوالي.

3- بلغت نسبة الأفلام المعروضة في المحطات الفضائية العربية بشكل عام حوالي 94% من البرامج وفي بعض الأحيان تقل النسبة بفارق واضح في قنوات أخرى حيث بلغت 31%. ونلاحظ مما سبق أن الفضائيات العربية تقوم بنشر ثقافة الرعب والعاطفة والجنس والترفيه والتسلية، كما أنها استهدفت عدة عناصر مهمة في الثقافة الإسلامية وهي:¹

أولاً: **العقائد**، حيث قامت تلك الفضائيات بتقديم السحر في برامج الأطفال وكأنه قوة خارقة مرمودة عبر تحويل البشر إلى ضفادع أو فئران، وعرض التأثير الحارق للصليب على الشياطين والمتحولين من البشر، والتحبيب بالكنائس ودورها الإيجابي في الحياة. فضلاً عن وجود بعض القنوات الدينية الإسلامية التي تعم بالفتاوى الكثيرة وتتسم بالفوضى، كما أنها تعج بالتعقيدات وتسعى إلى انعزال الفرد عن مجريات الحياة وتدعو إلى التطرف والتشدد وإحداث بلبلة فكرية من خلال بث الخرافات والضلالة والبدع.²

ثانياً: **الأخلاق والسلوك**، تحتوي الأفلام والمسلسلات على بعض هذه القنوات على مشاهد عنف عالية وبعض المشاهد الجنسية واحتوائها كذلك على اللواط، وتشجيع البحث عن علاقات غير شرعية للرجال والنساء وممارسة العادة السرية، وجعل ملابس الفتيات العاريات وكأنها عادية عند الفتيات اللواتي يمارسن الرياضة.

¹ قفندش، علي، بنهاوي، هناء، "مطر الفضائيات الأسود يعصف بالقيم"، مرجع سابق.

² يحيى، أحمد، "القنوات الدينية الفضائية.. بين تصحيح صورة الإسلام وتكريس الفكر الخاطيء"، جريدة عالم اليوم،

ع 1577، السنة السادسة، 2012/3/12. pdf .http://www.alamalyawm.com/products/1469/24

ثالثاً: **الفكر**، حيث تستهدف فكر وثقافة الأفراد من خلال نقل وقائع الحياة الأمريكية بكل سلبياتها عبر التلفاز، وبيان قدرة FBI على حل القضايا الأمنية من خلال التسلسل المعلوماتي، وتمجيد عناصر القوة الأمنية الأمريكية في مكافحة الجرائم، ومن ثم إظهار القوة العسكرية الأمريكية التقليدية وغير التقليدية بطريقة تجعل من عملية خلق الرموز القوية والقوى الخارقة.. سياسية إعلامية أمريكية مستمرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

كما أن غياب الإنتاج المحلي العربي زاد من حجم الاختراق وأصبح التراجع عن الثوابت جزءاً أساسياً، لأن أغلب البرامج إما مستوردة من الخارج أو معدة من قبل شركات إنتاج أجنبية لا تتوافق ضوابطها مع الدين والعرف الاجتماعي لدينا، مما يساهم ذلك في تغير الإرث القيمي وإدخال الأفكار والقيم المستوردة عليه بما لا يتوافق ولا يتلاءم مع التراث العربي والدين الإسلامي وذلك عبر برامج تلفزيون الواقع عموماً والتي تعمل على نشر النعرات الإقليمية بين أبناء الشعوب العربية عبر برامج فيها نوع من تمجيد الذات، والسعي إلى صناعة النجوم من الشخصيات المستضافة في البرامج وهم من الفنانين غالباً، ولا يمثلون أي مستوى حقيقي من الثقافة والإبداع في العالم العربي مما يساهم في التسطيح الفكري. كما أن تلك البرامج تقدم نماذج الحياة الأمريكية على أنها إيجابية وبيان أن المخدرات والكحول من وسائل الراحة.

المطلب الثالث: الهاتف المحمول

ذكر تقرير للاتحاد الدولي للاتصالات أن عدد مستخدمي الهاتف المحمول في العالم سيصل بنهاية العام الحالي إلى 5.3 مليار مشترك. وأن شبكات الهاتف المحمول أصبحت متاحة الآن لحوالي 90% من سكان العالم وأن نسبة انتشار الهاتف المحمول في الدول المتقدمة وصلت إلى 68% من إجمالي عدد السكان وهي نسبة تشبع لم تحدث مع أي تقنية سابقة،¹ كما وجد أن 2-3 هاتف لكل شخص في دولة الإمارات،² وهذه النسبة تدل على انتشار ثقافة الاستهلاك بين

¹ شبكة النبأ المعلوماتية، " الإنسان وسمة الدخول إلى العصر التكنولوجي"، 2011/2/16، <http://www.annabaa.org/nbanews/2011/02/195.htm>

² الرأي نيوز، 2011/5/23، <http://www.alraynews.com/HoroInternational.aspx?id=424326>

أوساط الشباب العربي، بدعوى اللحاق بالركب العلمي والتطور التقني، وملاحقة الموضة وآخر الصرعات التقنية الحديثة، مما يؤدي إلى إنفاق مبالغ مالية كبيرة هم في غنى عنها.

وفي دراسة أعدت حديثاً وجد أن تواصل الأمهات الأمريكيات الشابات حالياً مع أولادهن إلكترونياً عبر الرسائل الهاتفية والالكترونية والمواقع الالكترونية الاجتماعية أكثر من التواصل معهم وجهاً لوجه،¹ وهذا يدل على أن الهاتف المحمول وغيره من وسائل الاتصال الجماهيري ساهم في تفتيت الأسرة الواحدة، عبر فضاء غير مرئي، تختفي فيه العواطف والأحاسيس.

ومن الجدير ذكره أن الهاتف المحمول حالياً يعتبر من الوسائل التي تدمج بين أكثر من وسيلة اتصال، حيث يحتوي الهاتف المحمول حديثاً على تلفاز وانترنت ولا سيما "الفيس بوك" وغيرها، بالإضافة إلى الكاميرا و"البولوتوث" والذاكرة وبذلك يكون بإمكان الشخص أن يتواصل مع أي شخص وفي أي مكان كان على سطح الكرة الأرضية، وأن ينشر ثقافة معينة من خلال ملفات الموسيقى والفيديو والأفلام وغيرها عبره.

وبذلك أصبحت هذه التقنية وسيلة مهمة لنشر ثقافة الرعب والجنس والعاطفة وتعزيز ثقافة الاستهلاك وغيرها من ثقافة وفكر الولايات المتحدة الأمريكية.

¹ شبكة النبا المعلوماتية، " الإنسان وسمة الدخول إلى العصر التكنولوجي"، 2011/2/16، مرجع سابق.

الفصل الثالث

مسارات العولمة في فلسطين

المبحث الأول: المسار السياسي

المبحث الثاني: المسار الاقتصادي

المبحث الثالث: المسار الثقافي

الفصل الثالث

مسارات العولمة في فلسطين

فلسطين كباقي دول العالم - وخاصةً الدول النامية- تعاني من العولمة ولكن بشكل مضاعف، وذلك بحكم القيود التي يفرضها الكيان الصهيوني المرتبط بالمشروع الرأسمالي الإمبريالي الغربي العالمي، والذي يمثل أدواته في المنطقة العربية، ومن جهة أخرى، القيود التي تفرضها الدول الغربية من خلال المال السياسي المتمثل في شبكة المساعدات التي تقدمها للفلسطينيين (للسلطة والمنظمات غير الحكومية والمؤسسات وللأفراد).

ولتوضيح مشروع العولمة في فلسطين تفصيلاً تُطرح المسارات التالية:

المبحث الأول

المسار السياسي

تسعى العولمة السياسية - كما أشرنا في الصفحات الأولى من الدراسة - إلى دمج إسرائيل في النسيج الاقتصادي والجغرافي في المنطقة العربية والإسلامية (منطقة الشرق الأوسط)، والعمل على فرضه كزعيم على المنطقة. فأمريكا تريد إحكام الهيمنة على العالم ولا سيما المنطقة العربية بحيث تعمل على تفتيته وتشتيته من أجل السيطرة على الموارد النفطية، وحماية أمن الكيان الصهيوني لضمان استقرار المنطقة للحفاظ على مصالحها في المنطقة العربية، أما إسرائيل تحاول تحقيق حلمها القديم (إسرائيل الكبرى من النهر إلى البحر) على أن تكون فلسطين البوابة التي تنتقل من خلالها إلى الدول العربية الأخرى، لذلك تسعى لأن تكون الدولة القوية (اقتصادياً وسياسياً وتقنياً) في المنطقة والسيطرة عليها تحت الستار والغطاء الأمريكي، وبذلك تهيمن على المنطقة برمتها.

لتحقيق ذلك، وضعت أمريكا وإسرائيل عدة مشاهد افتراضية لإحكام سيطرتها على المنطقة العربية والإسلامية، فهي تتدخل في الشؤون الداخلية للدول ولا سيما الفلسطينية، كون القضية الفلسطينية - على حسب تعبيرها - لا يأتي حلها عبر المقاومة والكفاح المسلح، لذلك عرضت أمريكا المساعدة لتكون الشريك والراعي لعملية السلام في المنطقة العربية والإسلامية (الشرق الأوسط)، وخاصة بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني على أن تكون نتيجة الرعاية الأمريكية تميل للمصالح الإسرائيلي أولاً، ثم لتظهر الولايات المتحدة الأمريكية للعالم بأنها الحال الوحيد لكافة المشاكل، إضافةً إلى صياغتها لمشروع الشرق الأوسط الكبير (الموسّع).

المطلب الأول: الدور الأمريكي في رعاية عملية التفاوض

تجاوز عمر القضية الفلسطينية أكثر من نصف قرن، ولا زالت القضية معلقة في الساحة السياسية الدولية، رغم شيوع مقولة عولمة الصراعات وتداولها. بقيت القضية الفلسطينية مهمشة على الساحة الدولية ويبدو أن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ليست معنية بحلها من جذورها رغم معرفتها بالحق الفلسطيني بالأرض، وذلك بحكم المصالح

الأمريكية في الشرق الأوسط وتداخل الإستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة العربية. لقد ساهمت في دعم الكيان الصهيوني مادياً ومعنوياً منذ العام 1948م حتى الآن، كما أن إسرائيل تقع على رأس سلم الأولويات والمصالح الأمريكية في الوطن العربي. وعن طريق غرس إسرائيل في قلب الوطن العربي تستطيع أمريكا أن تحقق الكثير من الأهداف الأمريكية الإسرائيلية وهي:¹

- منع أي قوة قومية عربية أن تظهر على السطح، وكان ذلك واضحاً وجلياً في التجربة العراقية، لذلك عملت الولايات المتحدة الأمريكية جاهدةً على منع تسليح أي دولة من الدول العربية بقوة عسكرية متطورة وبنفس الوقت العمل على زيادة القوة العسكرية لإسرائيل.

- إعاقة التنمية داخل المنطقة العربية، وذلك بجعلها سوقاً استهلاكياً لمنتجاتها، دون أن يكون هناك مشاريع إنتاجية ذاتية، كما أنها ربطتها بالديون الخارجية من خلال القروض التي يقدمها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي من أجل إجراء الإصلاحات الاقتصادية (الاتجاه نحو الخصخصة)، كما أن المساعدات المقدمة من الدول الغربية تدعم المشاريع الاستهلاكية والخدماتية وليس المشاريع الإنتاجية مثل: دعم مشاريع الزراعة والبنية الأساسية وإهمال المشاريع الصناعية، بهدف السيطرة على اقتصاديات المنطقة.

- إعاقة الوحدة داخل المنطقة العربية، ومنع أي مشاريع على شكل كتلت أو تحالفات سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي، فالجامعة العربية التي وجدت من أجل مناقشة المشاكل التي تواجه الدول العربية مغيبة وغير فعالة على الساحة الدولية، فهي لم تجد حلاً للقضية الفلسطينية، وذلك بفعل الإملاءات الخارجية وخاصة الأمريكية والإسرائيلية والتي تهدف إلى زعزعة استقرار المنطقة وإشاعة الفوضى فيها.

ومن خلال النقاط السابقة، تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية تجنب المنطقة العربية من الوقوع تحت سيطرة قوة كبرى أخرى غير الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك ليس خوفاً

¹ المرشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص ص 203-

على المنطقة العربية، ولكن لضمان الهيمنة على العالم أجمع من خلال إحكام سيطرتها على المنطقة الحيوية، وذلك لاحتواء الوطن العربي على أربع مصالح حيوية هي:¹

1- البترول: حيث أن الشرق الأوسط وخاصة دول الخليج العربي تمثل المصدر الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن البترول يعتبر شريان الحياة للنشاط الاقتصادي الأمريكي في العالم، فالآلة الأمريكية تستهلك 30% من النفط في العالم رغم أن نسبة سكانها لا تزيد عن 6% من سكان العالم.

2- الممرات المائية: حيث يتحكم الشرق الأوسط بمجموعة مهمة من الممرات المائية في العالم منها البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وقناة السويس وباب المندب وهرمز وجزئياً جبل طارق، وهذا ما يكسبها أهمية عسكرية وإستراتيجية واقتصادية، كما أن معظم تجارة النفط وغيره تمر من خلال هذه الممرات المائية.

3- اعتبار المنطقة وخاصة دول الخليج سوقاً للبضائع الأمريكية، وبذلك لضمان دوران جزء من آلة الصناعة الأمريكية.

4- المحافظة على المصالح الغربية في المنطقة ومن ضمنها حفاظ أمن الكيان الصهيوني ووجوده وتفوقه في مختلف المجالات، باعتباره القاعدة الغربية المتطورة والمتقدمة في الشرق الأوسط.

بناءً على ما سبق، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى دائماً -بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في تسعينيات القرن العشرين- للمحافظة على مصالحها الحيوية أو تلك المصالح الجزئية المرتبطة بها، لذلك فهي معنية بضمان استقرار المنطقة، بحيث لا يتحول أي نزاع عربي صهيوني إلى حرب إقليمية شاملة، لما في ذلك ما يهدد المصالح الحيوية للولايات المتحدة في المنطقة . فنقوم بإعداد مبادرات سياسية وتكتيكات تفاوضية بمختلف القضايا في الشرق الأوسط، وخاصة القضية الفلسطينية، وتشرف وتدير جميع القضايا بين الجانبين الفلسطيني

¹ المركز الفلسطيني للإعلام، "السياسات الأمريكية ورهان العاجز"، http://www.palestine-info.info/arabic/analysis/2001/26_9_01.htm

والإسرائيلي تحت مسمى (الرعاية الأمريكية)، ولا تسمح لأي جهة أخرى تتبنى إدارة الصراع بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي.

لذلك أشرفت الولايات المتحدة الأمريكية على جميع المحادثات والمفاوضات والاتفاقيات الموقعة بين الطرفين بدءاً من مؤتمر مدريد: الذي شمل مفاوضات بين العرب وإسرائيل ضمن إطار عملية السلام والذي وقّع في 3/تشرين الثاني/1991م، مروراً باتفاق إعلان المبادئ - الذي يعرف باتفاق أوسلو - الموقع في 9/أيلول/1993م، والذي قام على أساس معادلة الأرض مقابل السلام، وعلى أساس حق إسرائيل في الوجود، ومنظمة التحرير ممثلة للشعب الفلسطيني. ثم اتفاقية باريس الاقتصادية الموقعة في باريس 29/نيسان/1994م، لتحديد العلاقات الاقتصادية بين الجانب الفلسطيني والإسرائيلي. ثم اتفاقية غزة أريحا في 4/أيار/1994م حيث وقّع الفلسطينيون والإسرائيليون في القاهرة اتفاق تطبيق الحكم الذاتي في غزة وأريحا. ثم اتفاقية طابا (أوسلو2)، وهي اتفاقية مرحلية لتنفيذ أوسلو حول الضفة والقطاع. وجرت مباحثاتها في طابا ووقعت رسمياً في واشنطن يوم 28/أيلول/1995م، وقسم الاتفاق المناطق الفلسطينية إلى "أ" و"ب" و"ج" تحدد مناطق حكم السلطة والمناطق الخاضعة لإسرائيل، وشمل الاتفاق أيضاً بند إجراء الانتخابات الفلسطينية والإفراج عن معتقلين من السجون الإسرائيلية. ثم تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني حيث ألغت منظمة التحرير الفلسطينية من ميثاقها كل البنود التي لا تعترف بإسرائيل أو تدعو إلى الكفاح، يوم 24/نيسان/1996م في غزة.¹

إن جميع الاتفاقيات الموقعة والمفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي من مدريد ولغاية هذه اللحظة، تشرف عليها الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بهدف خدمة مصالحها الحيوية في المنطقة - لتكون المسيطرة الوحيدة على العالم - ولضمان أمن واستقرار إسرائيل، لذلك فإنها ترجح الكفة الإسرائيلية دائماً، والخسائر يتكبدها الجانب الفلسطيني، حيث أن تلك الاتفاقيات - وخاصة اتفاقية أوسلو - ساهمت في تغيير المفاهيم والتصورات الوطنية الفلسطينية وأدخلت المجتمع الفلسطيني في حالة معقدة ومركبة من التبعية من خلال المال السياسي

¹ المعرفة، "المسار السياسي بين العرب وإسرائيل بعد اتفاقية كامب ديفيد"، 25/3/2009، <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B17433C5-B7D2-4EA9-A507-1A3F4E3CCC39.htm>

والاقتصادي والتموي. حيث تم الاعتراف بالوجود الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية، وفي المقابل اعترفت إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني، مع ضمان أمن إسرائيل بأن تعيش بأمن وسلام من خلال نبذ العنف والإرهاب (قمع المقاومة الفلسطينية)¹، لكن بقيت الحقوق الوطنية (قضايا الحل النهائي) مثل: القدس، اللاجئين، الحدود، المستوطنات معلقة.

وبالإضافة إلى ذلك، زيادة التدخل الأجنبي ولا سيما الأمريكي في صنع القرار الفلسطيني، فالركيزة الأساسية للمساعدات التي تقدمها الدول المانحة هي دعم عملية السلام، لذلك فهي مرتبطة بالتزام الفلسطينيين باتفاقيات أوسلو، كما أنها مشروطة بعلاقات سلمية من قبل الفلسطينيين تجاه الإسرائيليين، أي تزداد المساعدات عندما تنشط المفاوضات وتقل عندما تتوقف العملية التفاوضية، مما يعكس مدى حرص الدول المانحة على أن تكون الدولة الفلسطينية المستقبلية مرتبطة ارتباطاً كلياً بإسرائيل.²

ومن جهةٍ أخرى، قام المجلس الوطني الفلسطيني بإلغاء وتعديل بعض بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي لا تعترف بإسرائيل أو تدعو إلى التحرير والكفاح المسلح، وذلك لكي تتماشى مع الوضع الراهن في إطار عملية السلام.³ وفي ما يلي مثال على بند من البنود الملغاة: " الصهيونية حركة سياسية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالإمبريالية العالمية، وهي حركة عنصرية تعصبية في تكوينها، توسيعية استيطانية في أهدافها، فاشية نازية في وسائلها، وأن إسرائيل هي أداة الحركة الصهيونية وقاعدة بشرية جغرافية للإمبريالية العالمية ونقطة ارتكاز ووثب لها في قلب الوطن العربي، لضرب أمانى الأمة العربية في التحرر والتقدم. وأن إسرائيل مصدر دائم لتهديد السلام في الشرق الأوسط والعالم أجمع...".⁴ وبذلك أصبحت إسرائيل جزءاً

¹ وفق ما ورد في الرسائل المتبادلة بين الرئيس الراحل ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل اسحق رابين حول اتفاق الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، 1992/9/9.

² حمدان، آيات، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، رام الله: مركز بيسان للبحوث والإنماء، كانون الأول/2010، ص5.

³ وفق ما ورد في الرسائل المتبادلة بين الرئيس الراحل ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل اسحق رابين حول اتفاق الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، 1992/9/9.

⁴ المادة (22) من بنود المجلس الوطني الفلسطيني التي صادق المجلس الوطني الفلسطيني في غزة على إلغائها بحضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في 14/12/1998م، وفقاً لاتفاقية واي بلانتيشن.

من المنطقة العربية في الشرق الأوسط، معترف بها عربياً وفلسطينياً، بعدما كانت تعيش حالة من العزلة الإقليمية، كونها تغتصب أرضاً عربية مقدسة، وبتوقيع تلك الاتفاقيات مع الكيان الصهيوني ضمنت إسرائيل حقها في الوجود، فسارعت في إقامة علاقات طبيعية مع الدول العربية وتعزيز علاقات أخرى، من خلال القنصليات والسفارات والمكاتب التجارية، مما ساهم في إحداث تغيير ثقافي حضاري.

المطلب الثاني: مشروع الشرق الأوسط الكبير (الموسّع)*

استكمالاً لمشوار السيطرة الأمريكية على العالم وعلى وجه التحديد السيطرة على الشرق الأوسط والوطن العربي، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بصياغة مبادرة جديدة تحت مسمى "مشروع الشرق الأوسط الكبير (الموسّع)"، وإن كانت جذور المشروع إسرائيلية، فقد سبق أن طرح هذه الفكرة شيمعون بيرس رئيس حزب العمل سابقاً في كتابه الشهير " The New Middle East"، والذي يقترح فيه دخول إسرائيل ودول الشرق الأوسط في سوق مشتركة، أي أن يكون مدخل السيطرة الإسرائيلية في المنطقة العربية هو اقتصادياً، بدءاً من علاقات إسرائيلية فلسطينية، ومن ثم إسرائيلية عربية (الأردن، مصر...). أما المشروع الأمريكي الذي قدم عام 2004، فإن فكرته أوسع وأخطر،¹ فهو يهدف إلى تحريك المنطقة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، بدعوى إشاعة الديمقراطية ومكافحة الفساد وتحسين أوضاع المرأة، وبذلك تستطيع أمريكا أمركة المنطقة فكرياً وثقافياً وترتيب خريطة العالم السياسية بعدما أنهار الإتحاد السوفييتي. وبدا ذلك واضحاً في طريقة إدارتها للأزمات التي انتشرت في البلقان، والصومال، وحرب الخليج الثانية، وكذلك خلال الصراع العربي الإسرائيلي. وبعد أحداث 11 أيلول، استغلت أمريكا الوضع فبدأت بالتحرك باتجاه منطقة الشرق الأوسط تحت دعوى وذرائع (امتلاك أسلحة الدمار الشامل، وإيواء الإرهاب)، وذلك بهدف وضع يدها وإحكام سيطرتها على

* مصطلح الشرق الأوسط يقصد به الدول العربية وتركيا وإيران، أما الشرق الأوسط الجديد فهو: الدول العربية وتركيا وإيران وإسرائيل، أما الشرق الأوسط الكبير فيضم كل الدول العربية وإسرائيل وإيران وتركيا وباكستان وأفغانستان.

¹ الأهدل، سامي شرف، "أمريكا ومشروع الشرق الأوسط الجديد...دراسة تحليلية للمشهد"، النبأ نيوز، 2011/9/3.

<http://www.nabanews.net/2009/34628.html>

النفط والمنطقة، فطرح مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي حمل مبادئ نشر الحريات والديمقراطية والتحررية (الليبرالية) وحقوق الإنسان والإصلاح الاقتصادي والسياسي-شعارات تمثل مشروع العولمة- لدول تلك المنطقة التي تعاني من الفساد والاستبداد السياسي، والفقر والبطالة، وتدهور التعليم، وانتشار الجريمة والإرهاب، والتطرف والهجرة، وأن إسرائيل ليست سبباً في تلك المشاكل وإنما تلك الدول (الدول العربية) تمتلك تربة خصبة لإنشاء المتطرفين والإرهابيين.¹

إن الطريق إلى تحقيق مشروع الشرق الأوسط الكبير وفق الإدارة الأمريكية هو ما أسمته "الفوضى الخلاقة أو البناء" التي تقضي إلى تفتيت الشعوب وتشتيتهم إلى كيانات مجزأة، أي تجزئة المجزأ، حيث أن مشروع الشرق الأوسط الكبير هو تجديد لمعاهدة (سايكس بيكو)، على أن تبقى إسرائيل هي الكيان الوحيد غير المفتت، فيكون الأقوى والأمنع في المنطقة، وبذلك تكون إسرائيل هي المسيطرة على المنطقة. والجدير ذكره أن أمريكا وإسرائيل في سعيهما لتحقيق أهدافهما في المنطقة يقومان على إثارة النعرات العرقية والدينية (العراق، لبنان، مصر)، حتى تشتت الشعوب وتضعف قدرتهم ومقاومتهم للتوسع الصهيوني في المنطقة.²

وبناءً على ما سبق، تنشأ ثقافة جديدة تعمل على إلغاء ثقافة المقاومة في الوعي الثقافي العربي وتكريس ثقافة الهزيمة (إسرائيل لا تقهر) والاستسلام والخنوع بدلاً من ثقافة الكرامة والصمود والتحدي والدفاع عن الأمة العربية، وقد نجحت أمريكا وإسرائيل في ذلك من خلال الإعلام الموجه الذي يصعد الأمور ويحرك الوضع نحو التشتت.

إن مشروع الشرق الأوسط الكبير يشمل كل الوطن العربي وإسرائيل وإيران وتركيا وباكستان وأفغانستان، وهذا التعريف يقود إلى ما يلي:³

¹ كيلي، ماجد، مشروع الشرق الأوسط الكبير دلالاته وإشكالاته، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2007، ص ص 7-14.

² بولس، جريس، "مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد"، 2011/11/24، <http://www.panet.co.il/online/articles/63/68/S-479113,63,68.html>

³ البرازي، فانز، "الشرق الأوسط الكبير وقمة الثماني"، الحوار المتمدن، ع 763، 2004/3/4، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=15427>

- إسقاط مفهوم الشرق الأوسط التقليدي (الدول العربية وإيران وتركيا).
- استبعاد القضية الفلسطينية التي لها الأهمية المركزية في الوطن العربي وانشغال الدول في مكافحة الإرهاب والإصلاحات السياسية والاقتصادية.
- إقرار زرع إسرائيل في الشرق الأوسط.
- إقرار بأن الإرهاب الفلسطيني ما هو إلا رديف للإرهاب الدولي "الإسلام"، وهنا تراجع عن كون المقاومة الفلسطينية حق مشروع في تقرير المصير.
- إلغاء وإسقاط القومية العربية الموحدة "أيديولوجيا المواجهة مع إسرائيل" وانشغالها في محاربة الإرهاب (الإسلام) - على حسب تعبيرهم - وهذا سيقود إلى صدام الأديان والحضارات بين الإسلام والمسيحيين واليهود، حيث سيعتبر هذا الشرق الأوسط الكبير موطن رئيسي للإرهاب المعادي للعالم والإنسانية.

وبناءً على ما سبق، فإن مشروع الشرق الأوسط الكبير خُلق لأجل إسرائيل لكي تفتح الأسواق والممرات المائية لتكون هي المسيطرة على المنطقة، والحليفة الوحيدة الدائمة لأمريكا، حيث أنه من المؤكد أن هذا المشروع يفتح مسارات العولمة الثلاث: السياسية والاقتصادية والثقافية، عبر تغيير أنظمة الحكم السياسية وتطبيق الديمقراطية المزعومة ومكافحة الإرهاب وإصلاح الهياكل الاقتصادية وتغيير الثقافات المحلية ليسهل بعد ذلك تطبيق العولمة الأمريكية على العالم أجمع.¹ بالإضافة إلى أن هذا المشروع يخلق منظومة ثقافية جديدة في الوعي العربي وفي الثقافة العربية، وخاصة الفلسطينية، من خلال تغيير الخريطة الجغرافية للوطن العربي بزرع إسرائيل في وسطها في ظل غياب روح المقاومة والاستسلام لهذا العدو الذي يهدف إلى إقامة علاقات تطبيعية مع الدول من أجل تحقيق أهدافه القومية، وإشاعة مصطلح جديد للوطن العربي وهو (بؤرة الإرهاب).

¹ المرشدة، يوسف، العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير، مرجع سابق، ص ص 214-

وفي المحصلة، فإن المسار السياسي للعولمة في فلسطين يهدف إلى تعزيز الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين التاريخية، وتغيب الانتماء الفلسطيني للوطن، وإعادة تثقيف الفلسطيني سياسياً تبعاً للمرحلة التي لحقت بعملية المفاوضات، تحت الرعاية الأمريكية.

المبحث الثاني

المسار الاقتصادي

كرست اتفاقية باريس الاقتصادية تبعية الاقتصاد الفلسطيني لإسرائيل، مما يعني إبقاء الشعب الفلسطيني تابعاً لإسرائيل في شتى مجالات الحياة، حيث تتحكم إسرائيل في كم ونوع البضائع التي يسمح للفلسطينيين بإنتاجها، حيث أن 90% من مستلزمات الصناعة الفلسطينية تأتي عن طريق إسرائيل. كما أن الاقتصاد الفلسطيني دائم التأثر بالتغيرات والتحويلات الاقتصادية لإسرائيل، بالإضافة إلى أن اتفاقية باريس أصبح بموجبها أن تقوم إسرائيل بجباية ضرائب الاستيراد الفلسطينية ومن ثم تعيدها إلى وزارة المالية الفلسطينية، ولكن إسرائيل تستخدم تلك العوائد الجمركية كورقة ضغط على السلطة الفلسطينية عندما تتعثر العملية السياسية، مما يؤدي إلى توقف صرف الرواتب للشعب الفلسطيني.¹

كما أن الاتفاقية (باريس الاقتصادية) فتحت السوق الفلسطينية أمام كل الأسواق، حيث انهار جزء كبير من الصناعة الفلسطينية المحلية التي توصف بالمتواضعة، وتأثرت الزراعة بشكل كبير، ولحقت أضرار هائلة بالحرف، حيث أن السلطة الفلسطينية فتحت السوق الفلسطينية لكل أنواع البضائع، في ظل غياب قوانين تحمي الصناعات المحلية، فأصبحت البضائع التركية والصينية تغمر الأسواق بسبب تكلفتها القليلة بالمقارنة مع ثمن البضائع المصنعة محلياً، مثل الأحذية المصنعة في الخليل ونابلس.² وكذلك الأمر بالنسبة للزراعة التي تدهورت بفعل عملية استيراد الفواكه والخضروات من إسرائيل، وزيت الزيتون من إسبانيا، لذلك لم يقدر الفلاح الفلسطيني على كسب لقمة عيشه في ظل ارتفاع أثمان الأسمدة، ووفرة المواد الزراعية في الأسواق بأسعار زهيدة وجودة أكبر كونها "إسرائيلية"، حيث أنه تركز في أذهان المواطن الفلسطيني أن الصناعة والزراعة الإسرائيلية ذات جودة عالية لا يضاهيها المنتج الفلسطيني،

¹ موسى، سامر أحمد، "اتفاق باريس الاقتصادي...قراءة شاملة في مواده"، الحوار المتمدن، ع(1998)، 11/5/2007، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=104994>

² عرفات، حنان ظاهر، أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية وانعكاسه على التنمية، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا، 2005، ص 70.

ولكن في الحقيقة أن معظم المنتجات الإسرائيلية في الأسواق الفلسطينية إما يكون قد اقترب موعد انتهاء إنتاجها، أو أنها تعتبر صنف ثاني أو ثالث حسب مواصفات الصناعة والزراعة الإسرائيلية لذلك يتم تفريغها وتوزيعها في الأسواق الفلسطينية، حيث أنها لا تصلح للتصدير خارج إسرائيل، أو توزيعها في الأسواق الإسرائيلية.

ومن جهة أخرى، فإن معظم الشعب الفلسطيني يقع ضمن دائرة الموظفين، حيث قامت السلطة الوطنية الفلسطينية بتوظيف أعداد كبيرة وهائلة في السلك الحكومي، وكذلك الأمر بالنسبة للمنظمات غير الحكومية ذات التمويل الغربي فقد وظفت عدد هائل من الناس، وبذلك تحول عدد كبير من الشعب من قطاع الإنتاج والصناعة إلى القطاع الحكومي الرسمي الخدماتي، وارتبطت حياته في الراتب الذي تقدمه السلطة وتلك المنظمات، وعلى الرغم من ضعف الإنتاج وتدهوره تستطيع السلطة والمنظمات توفير الراتب من خلال الدول المانحة التي تقدم المساعدات -التي تقدم تحت مبررات التنمية- بهدف تحويل الشعب الفلسطيني من شعب منتج إلى شعب يتسول لقمة العيش، وهذا يتماشى مع الخطط السياسية الإسرائيلية التي تهدف إلى هدم الاقتصاد الفلسطيني، حيث اعتمدت السلطة الوطنية الفلسطينية على المساعدات الدولية كمصدر أساسي ورئيسي في تمويل الموازنة ومشاريع التنمية، مما أوجد لديها حالة من الارتباط القسري مع الخارج، وهذا بدوره أثر على قدرتها في الاستغلال الأمثل للمساعدات، بالإضافة لفقدانها استقلالية القرار الاقتصادي، والذي بدوره أضعف قدرتها على تحقيق الاستقلال السياسي، مما يؤدي إلى الاستسلام لإرادة العدو الصهيوني أولاً والأمريكي ثانياً.

وبالإضافة إلى ذلك، طريقة توزيع الدول المانحة والاتحاد الأوروبي للمساعدات على القطاعات الاقتصادية الفلسطينية، فقد حصلت القطاعات الاجتماعية على أعلى نسبة دعم في الفترة الواقعة ما بين 1994-2005م، إذ بلغت 40.8% من مجمل الدعم المقدم، ويأتي قطاع بناء المؤسسات في المرتبة الثانية مستحوذاً على 21% من مجمل الدعم المقدم والبالغ 7000 مليون دولار، بالإضافة إلى 400 مليون دولار للأونروا، في حين لم يحصل قطاع الإنتاج سوى على 10% من قيمة التعهدات، ولكن ما حصل عليه فعلاً من المساعدات لم يتجاوز 6% من

إجمالي المساعدات خلال الفترة ما بين 1994-2000م، فلم تحصل الزراعة إلا على 1.84%، وأما نصيب القطاع الصناعي فلم يتجاوز 0.87%، و3.8% للقطاعات الانتاجية، وهذا يدل على أن أغلب المساعدات هي مساعدات غير إنتاجية، ولا تخدم بأي شكل من الأشكال بناء اقتصاد فلسطيني قوي.¹

وقد انعكست هذه النسب أيضاً في ميزانيات السلطة الفلسطينية للسنوات ما بين 2008-2011م، فيما سُمي بخطة الإصلاح والتنمية، والتي عرضها رئيس الوزراء الفلسطيني سلام فياض على مؤتمر المانحين (مؤتمر باريس الاقتصادي)، حيث حظي القطاع الاجتماعي بما نسبته 40%، يليه قطاع الأمن وحكم القانون بنسبة 30%، ولم يحظ القطاع الاقتصادي (الصناعي، الزراعي، القطاعات الإنتاجية) إلا على 7%.²

يدل حصول القطاع الاجتماعي على نسبة 40%، مقابل 7% للقطاع الاقتصادي على الطابع السياسي للتمويل، كما أن الدول المانحة لم تهتم بتحقيق التنمية، وبناء اقتصاد فلسطيني قوي كما تروج، وإنما الهدف الأساسي هو دعم عملية التفاوض، وهذا واضح وجلي من خلال التدخل في السياسات الاجتماعية والإعلامية والتربوية والقانونية، ضمن مخططات تغيير المنظومة السياسية والوطنية والثقافية للمجتمع الفلسطيني.

ومن جهة أخرى، على الرغم من ارتفاع نسبة المساعدات والمنح الخارجية 200%، إلا أن الدين العام تضاعف والفقر ازداد في الأراضي الفلسطينية، وأن حجم المساعدات الكبير لم يسهم إيجاباً في تقليل نسبة الفقر كما يبينه الجدول التالي:³

¹ حمدان، آيات، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، مرجع سابق، ص26.

² المرجع السابق، ص26.

³ مركز بيسان للبحوث والإنماء، http://ar.bisan.org/sites/default/files/jdwl_rqm1_mwshrt_lfqr_yqblh_nsb_nsyb_lfrd_mn_lmsdt_1_khrjy_2004-2008.pdf

مؤشرات الفقر يقابلها نسبة نصيب الفرد من المساعدات الخارجية (2004-2008).

السنة	نسبة الفقر	نصيب الفرد من المساعدات الخارجية
2004	%25.4	323.0 دولار أمريكي
2005	%24.3	312.2 دولار أمريكي
2006	%24.0	391.8 دولار أمريكي
2007	%31.2	488.6 دولار أمريكي
2008	%26.1	685.5 دولار أمريكي

يدل الجدول السابق على السياسة الأمريكية والإسرائيلية الهادفة إلى ربط الشعب الفلسطيني بلقمة العيش بدلاً من تمسكه بالأرض وبذلك يخرج في النهاية متسولاً فقيراً بلا وطن. وهنا تنشأ ثقافة اللاوطنية، ويصبح الفرد فارغاً من مشاعر الانتماء للوطن وللثقافة الفلسطينية ومعلقاً بلقمة العيش فقط.

المبحث الثالث

المسار الثقافي

تتص اتفاقيات أوسلو على "سوف تضمن إسرائيل والمجلس [المجلس الفلسطيني المنتخب 1996] بأن تساهم الأنظمة التعليمية الخاصة بهما في السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطيني والسلام في المنطقة عامة، وسوف تمتنعان عن التقدم بأية مواضيع يمكن أن تؤثر بشكل عكسي على مسيرة المصالحة".¹ وبذلك فإن اتفاقيات أوسلو تطالب بمنهاج تربوي يتناسب مع نصوصها من أجل إحلال ثقافة السلام، مما يؤدي على المدى البعيد إلى تخلي المواطن الفلسطيني عن الهوية الوطنية والثقافة الفلسطينية، حيث أصبحت فلسطين تختصر في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أن أعلى جبل في فلسطين هو جبل يونس بدلاً من جبل الجرمق، بالإضافة إلى حذف الآيات والأحاديث والمواد الدراسية الداعية للجهاد والمعادية لليهود والكيان الإسرائيلي، مما يعني إلغاء روح الجهاد والمقاومة والتضحية باعتبارها إرهاباً. كما وامتد الأمر إلى الجامعات الفلسطينية فأصبح من الضروري تدريس مساقات حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، وهذا يدل على أن إسرائيل والدول الغربية - وخاصة أمريكا وبريطانيا - تطالب بأن تكون إسرائيل جزءاً لا يتجزأ من الوعي الثقافي والتعليمي الفلسطيني والعربي وأنه جزء لا يتجزأ من المنطقة يستحق البقاء.² وهذا بدا واضحاً في الجيل الناشئ حيث أن الكثير من شباب فلسطين اليوم لا يعرفون ما هي عاصمة فلسطين، كما أنهم يفتقرون إلى المعلومات التاريخية البسيطة حول القضية الفلسطينية، وهذا بالتأكيد يدل على العملية التهودية الشرسة التي تعمل ضمن المخططات الإسرائيلية - الغربية التي تستهدف إلغاء الهوية الوطنية الفلسطينية من الأذهان العربية والفلسطينية.

¹ عرفات، حنان ظاهر، أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية وانعكاسه على التنمية، مرجع سابق، الفصل الرابع: التعاون، المادة الحادية والعشرين: تسوية النزاعات والخلافات، وثيقة الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني الانتقالي في الضفة الغربية وقطاع غزة، واشنطن، 28/9/1995م، ص 191.

² عرفات، حنان ظاهر، أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية وانعكاسه على التنمية، مرجع سابق، ص 69.

وبناءً على ما سبق، فإن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والمتعاونة مع إسرائيل تهدف إلى تغيير المنظومة الثقافية الفلسطينية خاصة والعربية عامة، حيث أن الاتفاقيات الموقعة بين الدول العربية وإسرائيل، وبين فلسطين وإسرائيل ساهمت في تغيير بعض المفاهيم الوطنية الفلسطينية وصهينتها حتى تتماشى مع عملية السلام، فأصبح الصراع العربي الصهيوني يقابله عملية التسوية السلمية، والعدو الصهيوني أو الكيان الصهيوني أصبح الجانب الإسرائيلي، وحق العودة يقابله قضية اللاجئين أو قرار مجلس الأمن 242، وهكذا.¹

ومن جهةٍ أخرى، تزايد عدد المنظمات غير الحكومية في فلسطين، حيث بلغ عدد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية التي أكملت بياناتها عام 2007 حوالي (1388) منظمة في الضفة الغربية وقطاع غزة بنسب (68.5%) و (31.5%) على التوالي، مقارنة مع عام 2000 حين كان عددها حوالي (926) منظمة،² والمنظمات غير الحكومية الفلسطينية تعمل وفق اهتمامات إغاثية خدمانية إنسانية، وأخرى ذات بعد اقتصادي بخاصة في مجال الزراعة والتعليم والصحة، وأخرى ذات أبعاد ثقافية وفكرية.

تعتبر المنظمات غير الحكومية وسيلة من وسائل تشكيل الرأي العام العالمي، كما أنها تعد وسيلة من وسائل التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية للدول. فلسطينياً، قامت العديد من الدول المانحة بتقديم مساعدات مالية لمنظمات غير حكومية فلسطينية قائمة من جهة، وأقامت العديد من المنظمات غير الحكومية متعددة الاهتمامات ومتنوعة النشاطات من جهةٍ أخرى. أقامت دول مثل أمريكا وبريطانيا منظمات غير حكومية فكرية وثقافية تختص بإحداث تغييرات فكرية وثقافية على الساحة الفلسطينية، وذلك لسببين:

¹ عرفات، حنان ظاهر، أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية وانعكاسه على التنمية، مرجع سابق، ص 81.

² المالكي، مجدي، شلبي، ياسر، لدادوة، حسن، تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة 2007، رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، 2008، ص 13.

أولاً: تسويق مشاريع وبرامج تحمل في طياتها مبادئ تحررية (ليبرالية) وقيم رأسمالية تعمل في إطار مشروع العولمة الهادف للسيطرة على العالم.

ثانياً: تعزيز "ثقافة السلام"، لذلك كان لا بد من طرح أفكار جديدة على الساحة الفلسطينية لقبول إسرائيل كدولة من دول المنطقة العربية، ولها الحق في العيش بسلام ولتطبيع العلاقات معها.

لذلك فإن العديد من المنظمات غير الحكومية الممولة من الخارج تطرح مواضيع وعناوين تتماشى مع الساحة السياسية العالمية التي تخدم السياسة الأمريكية الإسرائيلية، مثل: الديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة والحكم الرشيد أو الصالح. بالإضافة إلى ذلك فقد تسلّم رئاسة تلك المنظمات مثقفون فلسطينيون (أساتذة جامعات، كتاب، مفكرون)، بهدف الترويج للقيم السياسية والاجتماعية والأخلاقية الغربية، في مقابل طمس القيم العربية الفلسطينية، لذلك فهم أدوات هامة تهدف لتطويع حياة المواطن الفلسطيني لصالح الحياة الغربية ولتطبيع العلاقات مع إسرائيل، كجزء من النسيج العربي في المنطقة وأن السلام سيأتي بثمار مادية واقتصادية حسنة على الجميع.¹

وعليه، فإن الدول المانحة استغلت المنظمات غير الحكومية، لتحقيق أهدافها السياسية من خلال تجنيد النخب والمنظمات غير الحكومية الفلسطينية الفاعلة، وذلك بهدف إعادة إنتاج الفرد، ومفهومه عن ذاته، ومجتمعه باتجاه معين، وعلى الفلسطيني تحديداً أن يكون عقلانياً ومتسامحاً ومتنوراً ومتحاوراً، يحب السلام، غير عنيف، بحيث تؤدي كل هذه الصفات إلى خلق أجواء تسهم في تعزيز العملية السلمية وفق ثقافة السلام، ولكنها تبقى ضمن إطار عملية التبعية للغرب، وهذا يصب ضمن الخطاب التحرري الجديد التي تتادي به الدول الرأسمالية وخاصة أمريكا.²

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد تم استخدام التمويل كأداة لتطويع المجتمع الفلسطيني وأداة لطي الفلسطينيين عن القرارات السياسية التي تمس العملية السلمية وتهدد أمن إسرائيل،

¹ قاسم، عبد الستار، قبور المثقفين العرب، نابلس: دم، 2006، ص 20.

² حمدان، آيات، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، مرجع سابق، ص 30.

حيث أن 60% من مصادر تمويل المنظمات غير الحكومية الفلسطينية هي خارجية، مقابل 21.5% من نشاطاتها، و9.3% يأتي من المجتمع المحلي¹. لذلك فإن توقف التمويل عن تلك المنظمات يعني فشلها ونهاية عملها وهذا يؤدي إلى إغلاقها.

والجدير ذكره، أنه بعد أحداث 11/أيلول/2001، وظهر ما يسمى بمكافحة الإرهاب فإن التمويل أصبح مشروطاً علانيةً، وخاصة التمويل الأمريكي -الذي يعتبر ثاني أكبر جهة تمويل الشعب الفلسطيني بعد الإتحاد الأوروبي²- من خلال منظمة الـ USAID، وذلك لسببين³:

- لمنع وصول تلك الأموال لمن تعتبرهم إرهابيين.
- للتأثير في ثقافة الشعب الفلسطيني، بما يجعله أكثر تأثراً بثقافة وقيم الممول من جهة، وتشويه قيم المجتمع الوطنية والأخلاقية، وترسيخ ثقافة التبعية والاستيلاء.

ووفق ما ورد على موقع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية -USAID- إن الولايات المتحدة الأمريكية هي المانح الأكبر للمساعدات الاقتصادية والتنمية الثنائية للفلسطينيين، لذلك فقد قدمت الوكالة منذ عام 1993-2007 عبر برامجها المختلفة حوالي 1.7 مليار دولار أمريكي. وأن الـ USAID من خلال دعمها لبرامج الحد من الفقر وتحسين الأوضاع الصحية والتعليمية وبناء البنية التحتية، وخلق فرص عمل، وتعزيز مفاهيم الديمقراطية والحكم الرشيد، تقوم على تنمية الجيل الجديد من القادة الفلسطينيين، وتروج للاعتدال على الساحة الفلسطينية، وتحفز الشراكة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بما يسهم في "تحسين الشعور بالأمن لإسرائيل"⁴.

¹ المالكي، مجدي، شلبي، ياسر، لدادوة، حسن، تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة 2007، مرجع سابق، ص 50.

² ديفوير جوزيف، الترتير، علاء، "أوروبا أكبر المانحين للسلطة والمنظمات غير الحكومية الفلسطينية"، دراسة أعدها مركز تطوير المؤسسات الأهلية الفلسطينية بالتعاون مع معهد أبحاث السياسات الاقتصادية "ماس"، http://www.malaf.info/?page=ShowDetails&Id=14697&table=pa_documents&CatId=31

³ إسماعيل، عمر شعبان، "حول التمويل المشروط، التنمية البشرية والاستقلال"، دنيا الوطن، 2004/9/7، <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2004/09/07/9435.html>

⁴ موقع الوكالة الأمريكية للتنمية (USAID)، <http://www.usaid.gov/wbg/Arabic/aboutUs.html>.

لذا فإن أحد شروط تمويلها هو التوقيع على وثيقة ما وفق ما تعتبره الإدارة الأمريكية إرهاباً، وهو ما يعرف فلسطينياً بالمقاومة التي كفلها القانون الدولي، وذلك حتى تضمن الأمن لإسرائيل بشتى الطرق، وليس لخدمة الشعب الفلسطيني كما تقول.

وخلاصة الحديث، أن المنظمات غير الحكومية ساهمت بشكل كبير في خدمة الشعب الفلسطيني في ظل غياب الدولة وخاصة قبل اتفاقيات أوسلو، في شتى المجالات الإنسانية والإغاثية والتوعوية والسياسية، ولكن بعد ذلك تم استغلال عدد كبير من المنظمات القائمة، أو إنشاء منظمات غير حكومية جديدة بأسماء فلسطينية من قبل دول أجنبية -كدول الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية- وخاصة في مجال الفكر والثقافة تحت مواضيع: الديمقراطية، حقوق الإنسان، المرأة، التعليم وتمكين الشباب، وذلك لكي يتم إنشاء قاعدة فكرية وثقافية وتربوية تتماشى مع مجريات العملية السلمية أو ما يسمى "ثقافة السلام"، وهذا كله ليس كما يقول المثل "لسواد عيوننا"، وإنما لخدمة الرؤى السياسية الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، وعلى رأسها الحفاظ على أمن إسرائيل، ولكي تكون جزءاً من المنطقة العربية يتقبلها الجميع.

الخاتمة:

في الصفحات السابقة تم الإشارة إلى محاور ومسارات العولمة الثلاث: السياسية والاقتصادية والثقافية في فلسطين، من خلال ثلاث آليات وهي: الرعاية الأمريكية لعملية التفاوض، ومشروع الشرق الأوسط الكبير (الموسع)، والمنظمات غير الحكومية. وعليه، يمكن تعريف العولمة فلسطينياً بأنها: مشروع استعماري جديد يهدف إلى إحلال الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية محل الثقافة والهوية الوطنية الفلسطينية والعربية.

فبعد توقيع اتفاقيات أوسلو أصبح الطريق مفتوحاً للتدخلات الغربية الخارجية من خلال المال السياسي - الدعم المالي والمساعدات والمنح- تحت ما يسمى رعاية عملية السلام، وما يروجون له من عملية "تنمية فلسطين"، الذي يهدف في الأساس إلى تحقيق أمن إسرائيل، والذي

يقود إلى استقرار المنطقة لتكون مهياً لتنفيذ المشروع الرأسمالي التحرري (الليبرالي) والذي تترأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

الرعاية الأمريكية لعملية التفاوض وتدفق المنح والمساعدات المالية من الدول المانحة للفلسطينيين - سواء كانت للسلطة الفلسطينية أو للمؤسسات والمنظمات غير الحكومية أو للنخب - ساهمت في نقل الخطاب والأطروحات التحررية (الليبرالية) إلى السياق الفلسطيني، حيث شجعت الجانب الحقوقي وروجت له عبر النخب السياسية والثقافية والمنظمات غير الحكومية من أجل ترسيخ مفاهيم جديدة لبناء الفرد الفلسطيني على أساسها، والتي تحمل شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان وتمكين المرأة والشباب، والتي تهدف إلى إعادة إنتاج الفرد ومفهومه عن ذاته وعن مجتمعه، فالفلسطيني يجب أن يكون متسامحاً متتوراً عقلاً ومتحاوراً يحب السلام وغير عنيف، من أجل صنع قاعدة بشرية فلسطينية معولمة تحررية (ليبرالية) تسهم في خلق أجواء من السلام مع الإسرائيليين ولكنها في نفس الوقت تبقىها تابعة للغرب من خلال زيادة الأموال والهبات لكن دون قاعدة إنتاجية تساهم في بناء اقتصاد فلسطيني قوي.

المتقنون والنخب الذين يرأسون منظمات غير حكومية ذات تمويل غربي، تقوم بدور الوكيل للثقافات الغربية وذلك لضرب الهوية القومية والوطنية من أجل إضعاف الانتماء للوطن من خلال الحديث عن وجود الكيان الصهيوني وضرورة التطبيع معه، فالدول المانحة من خلال تمويلها لمشاريع البنية التحتية ولا سيما شق الطرق الالتفافية بدعوى خدمة الشعب الفلسطيني وتسهيل ظروف حياته، تساهم في إطالة عمر الاحتلال وتكريس مخططاته الاستيطانية وزيادة سيطرته على الثروة المائية الفلسطينية، لذلك فالدول المانحة عملت على صياغة الحيز المكاني الذي تختصر فيه فلسطين إلى الضفة الغربية وقطاع غزة من جهة، وعبر تغيير المنظومة الثقافية والفكرية عبر المنهاج الفلسطيني الذي سنتحدث عنه في الفصل القادم. وهذا يؤدي إلى تحويل الكل الفلسطيني إلى حالة اغترابية ينفصل فيه الفلسطيني عن تاريخه وواقعه وقيمه ومصالحه الوطنية ويتحول إلى مجرد مستهلك للسلع وللمفاهيم التحررية (الليبرالية) والإمبريالية الصهيونية.

الفصل الرابع

العولمة الثقافية في فلسطين

المبحث الأول: ملامح العولمة الثقافية

المبحث الثاني: تقنيات العولمة الثقافية

المبحث الثالث: انعكاسات العولمة الثقافية على مجتمع الضفة الغربية

المبحث الرابع: آثار العولمة الثقافية في الضفة الغربية

الفصل الرابع

العولمة الثقافية في فلسطين

العولمة الثقافية في فلسطين لا تختلف كثيراً عن باقي الدول العربية والنامية، ولكن يمكن وصفها بالأكثر تعقيداً، كون فلسطين تعاني من الاحتلال الصهيوني منذ العام 1948م، لذلك فإنها تواجه خطر التعدي على ثقافتها وهويتها الوطنية من جانبين: الأول صهيوني، والثاني غربي وخاصة أمريكي. وبناءً عليه، فإن العولمة الثقافية في فلسطين تعني مشروعاً استعمارياً ثقافياً جديداً، يهدف لإحلال الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية محل الثقافة والهوية الوطنية الفلسطينية والعربية، كونها جزءاً من النسيج العربي.

والعولمة الثقافية لها تأثيرات جمة في حياة المواطن الفلسطيني سواء كانت من الناحية الاقتصادية المتمثلة بالبطالة والتمتية، أو من الناحية الاجتماعية كتأثيرها على الأخلاق والسلوك والعادات والتقاليد وغيرها، كما أن لها تأثيراً على الناحية السياسية كالهجرة والاعتراق وبرز حركات التطرف سواء اجتماعية أو ثقافية أو سياسية بعيدة عن الثقافة الأصيلة الدينية والوطنية والقومية، وعلى الناحية التعليمية كالتدخل في المناهج الدراسية ومحاربة اللغة العربية وانتشار التعليم التجاري. والأهم من ذلك وأخطرها هو التأثير على الأكاديميين والباحثين في نشر ثقافة وفكر أمريكا بين الأفراد من خلال إعداد نشرات وكتيبات تبين ثلاث محاور رئيسية تهتم بها أمريكا وهي: الديمقراطية وحقوق الإنسان ومكانة المرأة.

الجدير ذكره، أن هناك انخفاضاً في مستوى الوعي بالحقائق والمفاهيم الحديثة كالعولمة وأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية، على الرغم من شيوع ملامحها ومظاهرها بين أوساط المجتمع الفلسطيني، كالانفتاح على بعض وسائل التكنولوجيا كالانترنت وأجهزة الهاتف المحمول وغيرها، بالإضافة إلى وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية. ولكن لا يوجد في فلسطين هيمنة للشبكات الاستهلاكية كسلاسل مطاعم الماكدونالدز والكنتاكلي، أو وكالات رسمية للشبكات العالمية التجارية المشهورة للعطور والأزياء. وهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى عدم رغبة

الشركات متعددة الجنسيات بأن يكون لها فروع في منطقة غير مستقرة أمنياً وسياسياً كفلسطين،
نتيجة الصراع الإسرائيلي العربي.¹

سيتم التعرف في هذا الفصل على ملامح ومظاهر العولمة الثقافية وآثارها على مواطني
الضفة الغربية كنموذج عن المجتمع الفلسطيني، في مختلف المجالات السياسية والثقافية
والاجتماعية والاقتصادية، كون آثارها الكثيرة تؤثر على النسيج الاجتماعي والثقافي.

¹ عبد العاطي، صلاح، "العولمة الثقافية وتداعياتها على الشباب في فلسطين"، مرجع سبق ذكره.

المبحث الأول

ملامح العولمة الثقافية

تمثل العولمة الثقافية تحدياً حقيقياً للثقافة العربية والهوية الوطنية الفلسطينية، وهذا يعود لانتشار العديد من الملامح والمظاهر المادية والمعنوية التي لا ترتبط بالثقافة والهوية العربية والإسلامية بل بالثقافة والفكر الغربيين لدى الكثير من أبناء المجتمع الفلسطيني - الضفة الغربية نموذجاً - وهي كالاتي:

المطلب الأول: النخب الفلسطينية المعولمة

النخب المعولمة هي فئة من المشرفين والمديرين في المنظمات غير الحكومية التي تعتمد بشكل كبير على التمويل الخارجي بخاصة الغربي في نشاطاتها، وهم من أبناء الطبقة الوسطى التي تتولى إدارة وتقرير سياسات وتوجهات المنظمات غير الحكومية. وهي نخبة معولمة بمعنى أنها تستخدم الخطاب المتداول في المؤسسات والمنظمات الدولية الممولة لنشاطات المنظمات غير الحكومية المحلية. كما أنها تتشكل من نشطاء مع تأهيل إداري مهني (تكنوقراطي)، أو من يسمون التكنوقراط الذين لا علاقة لهم بالحركة الوطنية. يطغى على هذه الشريحة متكلمو اللغة الإنجليزية، والقادرون على إعداد التقارير الدورية للممولين، لأهمية الدعم المالي السنوي أو الدوري.¹

نشأت هذه النخبة المعولمة في ظل ازدياد المساعدات التنموية للمنظمات غير الحكومية ونقصان المساعدات المقدمة من الأطراف العربية والتضامنية، مما أدى إلى خلق هرمية جديدة بين المنظمات حسب المعايير التي فرضها المانحون، وهذا أدى إلى تنافس حاد بين المنظمات للحصول على التمويل، فنشأت نخبة جديدة تختلف عن النخب القديمة (القائمين على الجمعيات الخيرية التطوعية) وتفوقت عليها من ناحية الحصول على التمويل، حيث عكست هذه النخب المرحلة الجديدة التي تمر بها الضفة الغربية وقطاع غزة في إطار عملية التفاوض والمساعدات

¹ هلال، جميل، الطبقة الوسطى الفلسطينية، بحث في فوضى الهوية والمرجعية والثقافية، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2006، ص ص 69-70.

الخارجية الهادفة للانتقال إلى مرحلة الدولة الفلسطينية المستقبلية ضمن السياسات التمويلية الجديدة التي تحقق مصالح خارجية في الدرجة الأولى.¹

وعند الحديث عن سمات وصفات النخبة الفلسطينية المعولمة، يمكن استخلاص المميزات الرئيسية التالية:²

أ- تستمد هذه النخبة شرعيتها من علاقتها مع العالمي، فهم على معرفة دقيقة حول البرامج (الأجندات) العالمية، ويتحركون ضمن المساحة التي يرسمها الممولون والمنظمات غير الحكومية الدولية، ويحضرون المؤتمرات والندوات العالمية، ويكُونون علاقاتهم الخاصة مع المؤسسات الدولية، لكنهم لا يشاركون في عملية تصنيع البرنامج (الأجندة) العالمية. أي أن تلك النخب هي معولمة وتابعة وليست عالمية حيث أن سماتها ترجع لمعرفتها وارتباطها بعلاقات مع العالمي، لكن دون المشاركة في عملية اتخاذ القرار والمشاركة في وضع البرنامج (الأجندة) ورسم التوصيات.

ب- مساندتها لعملية التفاوض مع إسرائيل، حيث تساهم في دعم عملية التفاوض وبث ثقافته الداعمة للديمقراطية وحقوق الإنسان ومكانة المرأة -وفق المعايير الغربية-، وغيرها من القضايا التنموية الاجتماعية التي تتوافق مع البرامج العالمية التي تهدف إلى بث القيم التحررية (الليبرالية)، مع ضرورة توقف العنف والصراع المسلح (المقاومة).

ت- تتمركز النخب المعولمة في المدن الكبيرة وتتخذها مقراً لها، حيث تركز معظم مساعدات الجهات المانحة في القدس ورام الله والبيرة وغيرها من المدن الكبرى على حساب المدن الأخرى المهمشة مثل طولكرم وجنين والخليل، مما أدى إلى بروز نخبة حضرية ذات توجه غربي.

¹ حنفي، ساري، طبر، ليندا، بروز النخبة الفلسطينية المعولمة الماتحون، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية المحلية، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2006، 252.

² المرجع السابق، ص 253.

ث- النخب المعولمة هم فئة من المهنيين (التكنوقراط) من خريجي الجامعات، وبعضهم نشطاء سياسيون، وبعضهم ليس له علاقة بأنشطة الحركة الوطنية، وعلى الرغم من ذلك فهم يمتلكون مهارات مالية وإدارية ويتحدثون اللغة الإنجليزية ويميلون لتبني الثقافة التحررية الغربية.

ومن الجدير ذكره، أن شرط دعم عملية التفاوض لم يعد شرطاً مهماً، حيث أن الشرط الأكثر أهمية وأولوية على الساحة السياسية الآن هو نبذ الإرهاب، حيث أنه أصبح شرطاً ضرورياً تضعه بعض الدول كأمریکا للحصول على التمويل، فقد حرصت المنظمات الدولية وخاصة الأمريكية على ضرورة التوقيع على وثيقة نبذ الإرهاب مقابل الحصول على التمويل، لذلك فهناك العديد من المنظمات غير الحكومية الممثلة بمدراتها والعاملين فيها على التوقيع على تلك الوثيقة. وهذا بالتأكيد تغيير في ثقافة وسلوك تلك النخبة من أبناء الوطن الذين تم التأثير عليهم بأموال غربية مقابل بث قيم وثقافة بعيدة عن ثقافة وقيم الشعب الفلسطيني، وهي بالتأكيد قيم وثقافة الممول الخارجي التي في النهاية تصب في مصلحة الدول الغربية وإسرائيل وخاصة في مجال بث الثقافة الاستهلاكية لضمان دوران الآلة الصناعية للدول الغربية وخاصة الأمريكية والصهيونية، وكذلك الأمر بالنسبة للقيم السياسية والاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الإنسان ومكانة المرأة وفق المعايير الغربية، التي في النهاية تصب في حماية أمن إسرائيل.

إن مصطلح النخب المعولمة يسرى أيضاً على المثقفين الفلسطينيين الذين يعملون في الجامعات أو في القطاع الحكومي وفي القطاع الخاص. ولكن الأكثر أهمية هو المثقفون المتعلمون الذين تم التأثير عليهم وإغرائهم بالأموال، لأنهم يقومون بتقديم معلومات عن الوطن مقابل حفنة من المال، هم ليسوا غرباء عن فلسطين، بل هم من أبناء الشعب الفلسطيني، لذلك فهم أكثر دراية ومعرفة بالمجتمع الفلسطيني ويستطيعون القيام بأبحاثهم بكل سهولة، فهم يتلقون الأموال وينفقونها على الدورات والندوات التثقيفية والمحاضرات والأبحاث، وذلك لتحقيق هدفين: أولهما، إعادة صياغة التفكير الفلسطيني بما يتلاءم مع عملية التفاوض ونبذ الإرهاب

(المقاومة)، والثاني؛ تقديم معلومات وفيرة لأهل الغرب وخاصة أمريكا وبريطانيا ليكونوا أكثر قدرة على صياغة وتصميم السياسات التي تجعلهم أكثر قدرة على اختراق المجتمع الفلسطيني وتطويعه، وبذلك أصبح المثقف الفلسطيني وسيلة من وسائل الاختراق الثقافي التي تساهم في صياغة ثقافة فلسطينية جديدة تقوم على أسس فكرية تحررية (ليبرالية) منتمية للغرب وخاصة أمريكا.¹

يقود هؤلاء المثقفين الفلسطينيين عملية التطبيع مع إسرائيل ولهم نظرتهم وتفكيرهم الخاص فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وهم يقومون بالكثير من النشاطات بمشاركة إسرائيليين وصهاينة، كما أنهم يتمتعون بنفوذ وسمعة جيدة من خلال المنظمات غير الحكومية، ومن خلال وسائل الإعلام التي تروج لهم لتصنع منهم قادة وزعماء، فهم الذين يتواجدون في المحافل الدولية وفي المؤتمرات وفي المطارات وغيرها، كما أنهم أكثر ذكاءً من القيادة الفلسطينية في تمرير المشاريع الغربية والهيمنة الإسرائيلية في الضفة الغربية.

لذلك نجد أن للنخب المعولمة والتي تعمل في المنظمات غير الحكومية والتي تشمل المثقفين وأساتذة الجامعات والكتاب والمفكرين والأدباء الفلسطينيين، تأثيراً كبيراً على المواطن الفلسطيني، حيث أخذت تلك الأفكار والمبادئ التي تنتشرها النخب المعولمة من خلال الجامعات والأبحاث والدورات والندوات طريقها في الوصول إلى عقل وتفكير وثقافة المواطن الفلسطيني وتغيير الكثير من آرائه، حيث تم ملاحظة الكثير من المواقف التي تغيرت في الضفة الغربية وقطاع غزة خاصة في الضفة الغربية والتي تعد من الثوابت الفلسطينية وهي:²

أولاً: قضية المقاومة ضد الاحتلال التي تقوم بها الفصائل الفلسطينية، هنا نشأت ثقافة لدى بعض المواطنين الفلسطينيين أن العمليات الاستشهادية وإطلاق الصواريخ على إسرائيل تعد عمليات استفزازية تبرر الهجوم الصهيوني على الفلسطينيين، وأن تلك الأعمال لا تتماشى مع المصلحة الوطنية الفلسطينية التي تؤيد عملية التفاوض، لذلك نشأت ثقافة تتماشى مع الرواية الإسرائيلية

¹ قاسم، عبد الستار، قبور المثقفين العرب، مرجع سابق، ص 17.

² المرجع السابق، ص ص 20-22.

وتؤيد موقفها. فكثيرون مثلاً من يضعون اللوم على المقاومة الفلسطينية في كل عملية استشهادية أو إطلاق الصواريخ...تقوم بها ضد أهداف صهيونية، فهم يبررون لإسرائيل عملياتها العسكرية ولا يجدون مبرراً للمقاومين المجاهدين. كما ويسمع المرء الكثير من أبناء الضفة الغربية وهم يكيلون التهم والشتائم للاستشهاديين الفدائيين الذين يقدموا أرواحهم رخيصة فدا فلسطين.

ثانياً: في مجال حق عودة اللاجئين إلى فلسطين، لذلك نرى أن الكثير من المواطنين يرون أنه لم يعد بالإمكان الحديث عن حق العودة لأنه في الأساس ضد عملية السلام. فمن السهل أن يلاقي شخص يدافع عن حق اللاجئين في العودة من آخرين الزجر والاستهزاء والاتهام بأنه لا يريد السلام. فهؤلاء يتبنون الموقف الإسرائيلي ويدافعون عنه وفق الشرعية الإسرائيلية والأمريكية لا وفق الشرعية الدولية والممثلة في قرار الأمم المتحدة 194 والذي ينص على عودة اللاجئين.

ثالثاً: سلخ المواطن الفلسطيني عن ماضيه وتاريخه، فالمثقف الفلسطيني المعولم والذي يتلقى أموالاً كثيرة من الأمريكيين والأوروبيين يُطلب منه أن ينسى الماضي ويتخلى عنه، وأن يركز فقط على الحاضر وعلى الواقع القائم. ويقوم المثقفون المعولمون بتدريب صغار وشباب فلسطين وخاصة في الضفة الغربية للتطبيع مع شباب إسرائيليين، بمعنى أن إسرائيل دولة قائمة فعلياً وأنها جزء من المنطقة العربية والإقليمية ولا مفر من هذا الواقع، وأن فلسطين لم تعد تلك التي كانت، وأن عليهم ألا يدرسوا التاريخ الفلسطيني بخاصة تاريخ الانتداب والنكبة والنكسة وغيرها، بل عليهم التفكير بالحاضر من أجل إحلال السلام الذي يضمن حماية أمن إسرائيل بالدرجة الأولى، وهذا ما تتم ملاحظته بين أوساط الطلبة الجامعيين الذين لا يعرفون المعلومات البسيطة حول تاريخ فلسطين أو أن بريطانيا هي السبب في كل المآسي التي يعاني منها الشعب الفلسطيني، وهنا ينسلخ المواطن الفلسطيني عن تاريخه وينحصر تفكيره في مجارة الواقع والتطور بمعزل عن الماضي بما يتوافق مع السياسة الأمريكية والصهيونية.

ومن جهة أخرى، إن توجه الممولين الحاصل في الأراضي الفلسطينية هو توجه تحرري جديد (نيوليبرالية)، أي تمكين الفرد على حساب المجموعة والتعامل مع الفرد بصورة مفصولة

عن جماعته، والدليل على ذلك أن النخب المعولمة هي من يرتبط اسمها بالمول، حيث أن المنظمات غير الحكومية تعرف من خلال مديرها والمشرف عليها، وهنا تمكين النخب المعولمة الفلسطينية على حساب القضايا الوطنية.

المطلب الثاني: الديمقراطية*

المقصود بالدمقرطة هو التحول الديمقراطي لدول العالم وخاصة الدول النامية ومن ضمنها فلسطين وذلك على الخط المعمول به في الدول الغربية بخاصة أمريكا، وقد عملت هذه الدول على عولمة فكرها وثقافتها الديمقراطية من خلال وسائل الإعلام المختلفة والإنترنت والمنظمات غير الحكومية، ولكن في اتجاهين متناقضين: الأول، تعميم نماذج الديمقراطية الشكلية في جميع أنحاء العالم، حيث لا يمكن تطور العولمة من دون فتح الأسواق والنظم السياسية معاً؛ والثاني، تفاقم التفاوت في شروط المعيشة المادية والمعرفية بين الأفراد والجماعات معاً. فبنشأ عن هذين الاتجاهين تراجع شروط تحول الديمقراطية الشكلية إلى ديمقراطية حقيقية، فضلاً عن تهديد تحول الديمقراطيات النشطة إلى ديمقراطيات شكلية، وهذا ما تتم ملاحظته في الدول الصناعية اليوم سواء تحت الضغوط الأمنية الحقيقية أو المصطنعة التي تنتزع بمكافحة الإرهاب الدولي والحد من الهجرة غير الشرعية من الدول الفقيرة إلى الدول الصناعية المتقدمة أو بسبب الخوف من الاضطرابات الشعبية الناتجة عن تدهور شروط معيشة بعض الجماعات الفقيرة الهامشية، فالعولمة تشكل عاملاً قوياً في إجهاض الديمقراطية الحقيقية لصالح الديمقراطية الشكلية، وفي تحويل هذه الديمقراطية الشكلية إلى نموذج عالمي شرعي ومشروع باسم التحررية (الليبرالية). فالتحررية الجديدة تسعى إلى إلحاق السياسة بالاقتصاد وإخضاع السلطة لمنطق السوق والاستثمار الرأسماليين، فتفقد لا محالة من إجهاض عملية التحول الديمقراطي الحقيقي، وتستبدله بمظاهر تعددية تخضع لأصحاب المال والنفوذ ولا تسمح لأي مشاركة شعبية حقيقية.¹

* لن يتم هنا دراسة هل هناك تحول ديمقراطي في فلسطين أم لا؟ لأن هذا الموضوع يحتاج إلى العديد من الدراسات والأبحاث، ولكن سيتم الاعتماد على العديد من الأدبيات السابقة المتعلقة بالتحول الديمقراطي في فلسطين، من أجل دعم محور دراستنا (العولمة الثقافية).

¹ غليون، برهان، "الديمقراطية والليبرالية والعولمة"، الحوار المتمدن، ع 1803، 2007/1/22،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86592>

بناءً على ذلك، فإن العولمة ساهمت في شيوع الديمقراطية المعولمة في جميع أنحاء العالم وبالأخص الدول النامية ومن ضمنها فلسطين، كما أشار محمود الوندي إلى أن الديمقراطية المعولمة التي تجتاح جميع دول العالم أجمع من خلال وسائل الإعلام والنخب والمنظمات غير الحكومية تشبه وباء الإنفلونزا الذي ينتشر في جميع دول العالم مع العلم أنه أخطر من أنفلونزا الطيور وأن الولايات المتحدة الأمريكية وراء هذا الداء.¹

أما على الصعيد الفلسطيني، فإن الديمقراطية تعتبر شكلية حيث أن وسائل العولمة الثقافية مثل وسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية والإنترنت بالإضافة إلى النخب المعولمة ساهمت في إشاعة الديمقراطية المجردة، حيث أشارت دراسة محمود المعياري أن غالبية الجمهور الفلسطيني يتحلى بتوجهات ديمقراطية مجردة تتمثل في تأييد عدد من القيم والمبادئ الديمقراطية مثل: حرية الرأي، حرية الصحافة، البرلمان المنتخب، والانتخابات الدورية، ويتحلى أيضاً بتوجهات ديمقراطية فعلية تتمثل في معارضة قيام السلطة بممارسات غير ديمقراطية. ولكن بشكل عام فإن الثقافة السياسية الفلسطينية أقرب إلى الديمقراطية منها إلى غير الديمقراطية، وهي بذلك ثقافة شبه ديمقراطية.²

من جهة أخرى، لا يمكن الحديث عن ديمقراطية حقيقية يمكن أن تتجسد على الساحة الفلسطينية في ظل ارتباط بقائها بالتمويل الخارجي وخاصة الأمريكي، وبالتالي لا يمكن أن تتجاوز السقف المرسوم لها دولياً، فهي ديمقراطية مرتبطة بمدى رضا الممول الخارجي (الأمريكي) عنها، ومدى استجابتها للاستحقاقات الواجبة عليها، وهذا ما تم ملاحظته عند إجراء الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية عام 2006*، التي أسماها بعضهم عرساً ديمقراطياً، وهي ما أشادت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي بنزاهتها وشفافيتها، ومع ذلك رفضت التعامل مع نتائجها، كونها جلبت إلى الساحة الفلسطينية قوة حزبية إسلامية وهي حركة المقاومة

¹ الوندي، محمود، "أنفلونزا الديمقراطية أخطر من أنفلونزا الطيور"، الحوار المتمدن، ع1377، 13/11/2005، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=50329>

² معياري، محمود، الثقافة السياسية في فلسطين "دراسة ميدانية"، تعقيب: على الجرباوي و باسم الزبيدي، جامعة بيرزيت: معهد ابراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، 2003، ص ص 63-68.

* الانتخابات معيار أو مؤشر من مؤشرات الديمقراطية.

الإسلامية "حماس" تطرح برنامجاً لا يتوافق مع الرغبات الأمريكية. فهي-حماس- لا ترغب بتلبية استحقاقات مشاركتها بالنظام السياسي الفلسطيني، وإن التعامل معها مرهون بمدى موافقتها بالاعتراف بالاتفاقيات الموقعة مع الكيان الصهيوني، وكذلك بمدى قدرتها على التكيف مع اللعبة السياسية الدولية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية.¹

من هنا، فإن الإصلاح الديمقراطي في الشرق الأوسط وخاصة فلسطين حسب الرؤية الأمريكية، هو الإصلاح الذي يتناغم مع رؤيتها وسياستها، فالانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية قد تمت بموافقة أو بالأصح بضغط أمريكي كجزء من استحقاق خريطة الطريق، حيث تم ربط التقدم بعملية السلام بضرورة إصلاح ديمقراطي داخل النظام السياسي الفلسطيني، في ظل عدم وجود تجربة ديمقراطية فلسطينية حقيقية، لذلك فإن الانتخابات كانت في أحد وجوهها لعبة أمريكية إسرائيلية لإطالة أمد الفترة الانتقالية وتثبيت وضع السلطة الفلسطينية كسلطة حكم ذاتي -دون تحقيق دولة فلسطينية مستقلة-، لذلك فهي جزء من اللعبة السياسية الأمريكية لخلط الأوراق ضمن سياسة "الفوضى البناءة أو الخالقة" في الساحة الفلسطينية من أجل إرباك الساحة الفلسطينية وإغراقها في سجال داخلي يدخل القضية الفلسطينية وما يُعرف بالمشروع الوطني في أزمة داخلية، ودليل ذلك الانقسام الفلسطيني- الفلسطيني، وما ترتب عليه من اقتسام الأراضي المحتلة بين حكومتين في الضفة والقطاع وضياع القضية الفلسطينية في هموم الانقسام.²

إضافة إلى ما سبق، ربطت الولايات المتحدة الأمريكية المساعدات الدولية بمدى تجاوب السلطة مع مطلب الإصلاح واقتصار الجزء الأكبر منها على مشاريع تستهدف المنظمات غير الحكومية وعملية التحول الديمقراطي، وبناءً عليه، فإن الانتخابات كانت استجابة لمطلب سياسي خارجي أكثر من كونها تعبيراً عن تحول ديمقراطي حقيقي في الساحة السياسية الفلسطينية. فالتحول الديمقراطي الحقيقي يتطلب تحول الديمقراطية من ثقافة إلى سلوك، فالمشهد الفلسطيني

¹ صافي، خالد محمد، "أزمة التحول الديمقراطي في فلسطين"، دنيا الرأي، 26/11/2007، <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2007/11/26/112315.html>

² المرجع السابق.

الذي يشهد انقساماً فلسطينياً يعكس مأزق التحول الديمقراطي الفلسطيني على صعيد الفكر والممارسة.

لذلك فإن الديمقراطية في فلسطين بخاصة في الضفة الغربية يمكن النظر إليها بأنها ديمقراطية شكلية معولمة تسير وفق الرؤية الأمريكية، فهي ديمقراطية محكومة بقيود داخلية بنويوية ومرتبطة ببرنامج إقليمي ودولي يتحكم بها تمويلياً وسياسياً، من خلال تعزيز دور المنظمات غير الحكومية في القرار السياسي الفلسطيني وبتها لقيم الاعتدال في التوجهات السياسية الفلسطينية متمثلة بخلق حالة من التحول الثقافي داخل المجتمع الفلسطيني نحو اللاعنف في التعاطي مع الصراع الفلسطيني مع إسرائيل، والتحول إلى مجتمع يتقبل الوجود الإسرائيلي، ومتجاوب بشكل كبير مع المبادرات التي تطرحها الإدارة الأمريكية لحل الصراع مع إسرائيل،¹ حيث بلغت نسبة المنظمات غير الحكومية الفلسطينية التي تهتم بالديمقراطية والحكم الرشيد معاً حوالي 10.2% عام 2007 بواقع 142 برنامجاً، أما عام 2000 فقد كانت نسبتها حوالي 5.7% بواقع 50 برنامجاً، وتتلقى هذه المنظمات ما نسبته 83.2% من نسبة التمويل الخارجي.² وهذا يأتي ضمن استراتيجيه أمريكية تسمى "القوة الناعمة"، من أجل نشر الثقافة الأمريكية (الأمركة) والتغلب على الثقافة السائدة في المجتمع الفلسطيني، لذلك فقد عهدت الأمر إلى المنظمات غير الحكومية ذات التمويل الغربي وخاصة الأمريكي إلى خلق قيادات شبابية فلسطينية معتدلة تتماشى مع السياسة الأمريكية ونهجها، وتساهم في تحقيق مصالحها في المنطقة، وما يخالف هذا النهج فهو متطرف وإرهابي.³

¹ حامد، قصي أحمد حسن، دور الولايات المتحدة الأمريكية في إحداث تحول ديمقراطي في فلسطين (ولاية الرئيس جورج بوش الابن 2001-2006)، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 2008، ص ص 129-133.

² المالكي، مجدي، شلبي، ياسر، لدادة، حسن، تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة 2007، مرجع سابق، ص 43، ص 102.

³ حامد، قصي أحمد حسن، دور الولايات المتحدة الأمريكية في إحداث تحول ديمقراطي في فلسطين (ولاية الرئيس جورج بوش الابن 2001-2006)، مرجع سابق، ص ص 129-133.

المطلب الثالث: النسوية

تعرف النسوية بأنها: "منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن حقوق ومصالح النساء وداعية إلى توسيع حقوقهن"،¹ وتعرف أيضاً بأنها تلك "الفلسفة الراضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل، وإعطاء فلسفة وتصور عن الأشياء من خلال وجهة نظر المرأة"،² ومصطلح النسوية يشير إلى "أي حركة ترفض بشكلٍ واسع أنماط التفكير والممارسات التي تنشئ تمييزاً قائماً على أساس النوع الاجتماعي "الجندر"، وتنشط وتعمل لإسقاط الظلم القائم على الجنس".³ فالنسوية تحتوي كل الأفكار والحركات والتجمعات والمنظمات التي تتخذ شعار تحرير المرأة هدفاً لها، كما أنها تعبر عن مضمون فلسفي وفكري يدعو إلى نقد وتعديل المنظومة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تجعل من الرجل المحور، ومن المرأة جنساً ثانوياً يدور في فلك الرجل، ولذلك فهي ترفض التمييز النوعي بين الذكر والأنثى الناتج عن المنظومة الذكورية التسلطية التي تجعل المرأة كائناً أدنى من الرجل.

ووجدت النسوية كحركة تنادي بضرورة تحرير المرأة لسببين:⁴ أولهما، صورة المرأة في التراث اليهودي والمسيحي، فالمرأة في هذا التراث هي أصل الخطيئة، لأنها أغرت آدم بالخطيئة عندما أكلت من الشجرة كما ورد في الكتب الدينية لديهم، وعليه أقر الرب بسيادة وهيمنة الرجل على المرأة نهائياً، وفيما بعد ترتب على هذا الموقف أحكاماً وأوصافاً كثيرة للمرأة في هذا التراث مثل الشيطان واللعنة، وغياب الفضيلة.

وثانياً: وجود الكثير من الفلاسفة والمفكرين الغربيين الذين يتبنون مواقف معادية تجاه المرأة مثل: أفلاطون الذي يصنف المرأة ضمن العبيد والأشرار والمخبولين والمرضى،

¹ حمادي، إلهام مكّي، "تحولات مفهوم النسوية"، جريدة الصباح، 2011/7/26، <http://www.alsabaah.com/ArticleShow.aspx?ID=11115>

² ناصر، إبراهيم، "الحركة النسوية الغربية ومحاولات العولمة"، صيد الفوائد، <http://www.saaaid.net/female/064.htm>

³ جاد، إصلاح، نساء على تقاطع طرق - الحركات النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الإسلامية، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2008، ص 103.

⁴ ناصر، إبراهيم، "الحركة النسوية الغربية ومحاولات العولمة"، مرجع سابق.

وديكرت في فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة: فيربط العقل بالذكر، والمادة بالأنثى، أي أن المرأة هنا بلا عقل ولا تقدر على التفكير، ويتفق معه كانط الذي يصف المرأة بأنها ضعيفة في كافة الاتجاهات وخاصة القدرات العقلية. بالإضافة إلى جان جاك رسو الذي رأى أن المرأة وجدت للجنس والإنجاب فقط، وأما فرويد فيصف المرأة بالجنس الناقص، ولا يمكن أن تصل إلى الرجل أو أن تكون قريبة من مستواه.

هذا الموقف التراثي الديني اليهودي والمسيحي المتحد مع رأي الفلاسفة والمفكرين الغربيين، يشكلان سببين هاميين لظهور الحركة النسوية المنادية بتحرير المرأة. ودعاة النسوية يتخذون من هذه الأفكار منطلقاً لنشر الثقافة المضادة عن المرأة التي شكلت مفاهيم وقيم ومبادئ الحركة النسوية الغربية، ثم يهدفون أن تكون حركة نسوية عالمية، على الرغم من أن النسوية ليست واحدة. فالنسوية في فرنسا وأوروبا تختلف عنها في أمريكا وهي بدورها مختلفة عن النسوية في دول العالم النامية، حيث لكل دولة في العالم ثقافة خاصة تميزها عن الأخرى وتلقي بظلالها على ظروف وسلوك وشخصية المرأة.¹

وعليه، فإن النسوية هي حركة غربية عرفت بحركة تحرير المرأة، ثم انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي من خلال الغزو العسكري والتأثير الثقافي لكنها اليوم تخترق كافة حدود الدول وجدران البيوت من خلال العولمة وأبعادها المختلفة وخاصة من خلال بعدها الثقافي بوسائله المختلفة، لتكون آلية من آليات السيطرة والهيمنة لفرض ثقافة واحدة على شعوب العالم أجمع، لذلك فهي لا تستثني المرأة من هذه الهيمنة. وعليه، يمكن تعريف النسوية في ظل العولمة بأنها محاولة عولمة الفكر النسوي الجديد في الدول النامية وخاصة العربية منها، من خلال طرح أفكار الحركة النسوية التحررية (الليبرالية) القائمة على المساواة التماثلية بين الرجل والمرأة، والحرية شبه المطلقة للمرأة، وذلك عبر الاتفاقيات الدولية والمؤتمرات ومن أهمها:²

¹ حمادي، إلهام مكي، "تحولات مفهوم النسوية"، مرجع سابق.

² ناصر، إبراهيم، "الحركة النسوية الغربية ومحاولات العولمة"، مرجع سابق.

- الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان عام (1948) الذي يؤكد على عدم التمييز على أساس الجنس، وعلى تحقيق المساواة التماثلية بين الرجل والمرأة، وحرية الزواج.

- اتفاقية سيداو (cedaw) أو اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة عام (1979) وتتكون من (30) مادة، والست عشر مادة الأولى تؤكد على عدم التمييز وتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة وتشجيع الاختلاط بين الجنسين، والمساواة في الزواج والطلاق.

وعليه، عقدت العديد من المؤتمرات التي تخص المرأة والأسرة والسكان مثل: مؤتمر السكان في القاهرة عام (1994م)، ومؤتمر المرأة في بكين عام (1995م) وغيرها، في سبيل نشر وعولمة الأفكار النسوية المقننة عبر الاتفاقيات الدولية السابقة، والتي أصبح التوقيع عليها بمثابة الامتثال للبرامج (الأجندات) الخارجية التي تعتبر أولوية من أولويات الدخول في النظام العالمي الجديد.

وبناءً عليه، فقد برزت العديد من الشعارات والمصطلحات النسوية مثل: "تمكين المرأة"، والنوع الاجتماعي "الجندر"، في المحافل النسائية العالمية والعربية والإسلامية، كنتيجة طبيعية للضغوط الكبيرة من قبل الهيئات الدولية والدول العظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي نحو اعتماد الدول النامية مجموعة من البرامج والاتفاقيات الدولية ذات العلاقة بالمرأة، وتجسدت تلك الضغوط في مبادرات اتخذت مسمى "التنمية المستدامة" من أجل تحقيق الأهداف الإستراتيجية السياسية للدول العظمى، وهي السيطرة على شعوب العالم أجمع عبر بث ثقافة واحدة مستهدفةً بذلك المرأة عبر بث قيم ومصطلحات نسوية جديدة تأتي في مقدمتها "تمكين المرأة" و"الجندر"، بهدف خلع المرأة-العربية والإسلامية- عن جذورها وثقافتها وتفتيتها من خلال إنشاء الصراع بين الرجل والمرأة وتفتيت الأسرة الواحدة عبر إشاعة الفوضى والفاحشة.¹

¹ نوار، رانيا، "تمكين المرأة...بين التفسيرات الغربية وثقافتنا الإسلامية"، موقع لها أون لاين، 5/يناير/2010،

<http://www.lahaonline.com/articles/view/17539.htm>

ويعد مدخل تمكين المرأة من أهم الآليات المستخدمة لإدماج المرأة بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص في التنمية، حيث أطلقت الأمم المتحدة في العقد الأخيرين مفهوم "التنمية المستدامة" شعاراً لخططها وتمويلها في الدول النامية ومن ضمنها فلسطين. وتمكين المرأة مصطلح نسوي يعني: أن تمكّن المرأة في المجتمع كالرجل تماماً في كل مجالات الحياة المختلفة، وهو يعبر عن عملية فردية تأخذ فيها المرأة المسؤولية والسيطرة على حياتها ووضعها، ولذلك فرضت تطبيق سياسة النوع الاجتماعي "الجندر"، وسيلة لتحقيق التنمية في الدول النامية. وتتمثل تطبيقات "الجندر" في تحقيق التماثل التام بين الرجل والمرأة في الأدوار والموارد، بحيث يتم تقليص أدوار المرأة الإيجابية والتربوية داخل الأسرة، في مقابل زيادة أدوارها الإنتاجية والتنظيمية في المجتمع، وذلك بحصولها على فرص متكافئة للرجل في سوق العمل وفي تقلد المناصب القيادية والسياسية.¹

بناءً على ما سبق، فإن مصطلح "تمكين المرأة" هو مصطلح مراوغ يقصد به هدم بنية الأسرة العربية والمسلمة من خلال العمل على عولمة نمط الحياة الغربية على العالم كله بقوة ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، والسعي لأن تستبدل شعوب العالم أجمع ثقافتها المتعددة بثقافة واحدة فقط قائمة على الصراع بين الرجل والمرأة من خلال تغيير الأدوار داخل الأسرة والمجتمع.

أما على الصعيد الفلسطيني، فقد تم إدراج المصطلحات النسوية العالمية بخاصة "تمكين المرأة" والنوع الاجتماعي "الجندر" وغيرها عبر الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية، كما لعبت المنظمات غير الحكومية الفلسطينية ذات التمويل الغربي والإعلام دوراً في إدراج تلك المصطلحات ضمن قضايا المرأة الفلسطينية وجعلها على سلم أولوياتها.

فبعد قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية برز مجتمع فلسطيني جديد غير ميسر ذات توجهات اجتماعية عالمية للمطالبة بإرساء الديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة، في حين خسر دوره الأساسي في تنظيم وتجنيد مختلف المجموعات لمقاومة الاحتلال والتعبئة للكفاح

¹ نوار، رانيا، "تمكين المرأة... بين التفسيرات الغربية وثقافتنا الإسلامية"، مرجع سابق.

الوطني، وبالأخص مجموعات النساء الهادفة إلى مقاومة الاحتلال والكفاح، وهذا الوضع خلف آثاراً عميقة على الأشكال المختلفة للنشاط النسائي (الخيرى، الإغاثى، الوطنى...)، مما أنشأ التغير ضغطاً على الحركات النسائية لنقل برامج عملها من الجمع بين الكفاح الوطنى وتحرير المرأة إلى استهداف السلطة للمطالبة بحقوق المرأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث تحولت العديد من المنظمات النسائية الجماهيرية الناجحة إلى منظمات غير حكومية نسوية تعمل ضمن إطار الحركة النسوية الليبرالية العالمية المنادية بشعارات "تمكين المرأة" ضمن برامج التنمية المستدامة بواسطة تفعيل آلية النوع الاجتماعى "الجندر"، متزامناً مع تدفق التمويل الأجنبى على فلسطين وخاصة على المنظمات غير الحكومية المهنية. وبذلك أصبح لتلك المنظمات النسوية الفلسطينية أهداف إستراتيجية (المطالبة بتمكين المرأة وإدماج النوع الاجتماعى فى جميع مناحى الحياة)-تتماشى مع رؤية الممول الخارجى وخاصة الأجنبى- لها أولوية على تلك الأهداف العملية (الخدمائية والإغاثية والوطنية) التى وجدت من أجلها.¹

المطلب الرابع: البرامج التعليمية

يعتبر التعليم حق أساسى من حقوق الإنسان كفلته القوانين الدولية، كما كفله القانون الأساسى الفلسطينى الذى جاء به فى المادة الرابعة والعشرين أن "التعليم حق لكل مواطن، وإلزامى حتى نهاية المرحلة الأساسية على الأقل، ومجانى فى المدارس والمعاهد والمؤسسات العامة".² للتعليم أهمية عالمية ومحلية لما له دور فى نمو وتنمية وتطور الدول، كما أن مستوى التعليم ونوعه يعتبر مؤشراً لمقياس مدى تطور وتقدم الدول، كما له دور فى بناء وصقل شخصية الفرد وبناء هويته الوطنية والقومية.

ولهذه الأهمية فإن التعليم فى الدول العربية يتعرض فى ظل العولمة -وخاصة فى بعدها الثقافى- لهجمة شرسة من قبل الدول الغربية وخاصة الأمريكية، بهدف إفراغ الهوية الوطنية

¹ حنفى، سارى، طبر، ليندا، بروز النخبة الفلسطينية المعولمة المتاحون، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية المحلية، مرجع سابق، صص 110-111. بالإضافة إلى: إصلاح جاد، نساء على تقاطع طرق - الحركات النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الإسلامية، مرجع سبق ذكره، صص 12-13.

² السلطة الوطنية الفلسطينية، القانون الأساسى المعدل لسنة 2003، رام الله: 2003.

والقومية للفرد وتحويله إلى مجرد مستهلك لكل ما يستقبله من الدول الغربية، من خلال التدخل في المناهج التعليمية العربية وفرض السياسات والنظريات الفلسفية التعليمية الغربية التي لا تتناسب مع البيئة التعليمية والثقافية العربية.¹

أما على الصعيد الفلسطيني، فإن التعليم يواجه وضعاً مريباً؛ فهو يعاني من ضغوط العولمة والتغيرات السياسية والثقافية والاقتصادية والتقنية في العالم، إضافة إلى الاحتلال الإسرائيلي الذي يتدخل في كل صغيرة وكبيرة تمس الحياة الفلسطينية في ظل تعاون دولي غربي. وعليه، فسيتم بيان نوعية التعليم في الضفة الغربية كنموذج عن المجتمع الفلسطيني، وخاصة المنهاج المدرسي الفلسطيني، وطبيعة البرامج في جامعات الضفة الغربية، وهل هي تتناسب مع الثقافة والهوية الوطنية الفلسطينية والقومية العربية أم لا؟

أ- المنهاج المدرسي الفلسطيني

يعتبر المنهاج المدرسي حجر الأساس الذي يشكل وعي الإنسان وتفكيره، وتهتم الدول والمجتمعات في إعداد مناهجها المدرسية كونها الأولوية الأولى التي تشكل وتصقل شخصية الفرد وتنمية. أما على الصعيد الفلسطيني، فإن الخروج بمنهاج وطني فلسطيني يعتبر محطة تاريخية على الصعيد الوطني الفلسطيني، إلا أنه بشكل عام يعترضه أوجه القصور والتبعية، كونه جاء على خلفية التوقيع على اتفاقيات السلام مع إسرائيل من جهة، ومن جهة أخرى فإن المنهاج أُنتج بأموالٍ غربية وأجنبية بموافقة إسرائيلية، الأمر الذي انعكس على مضمون المناهج.²

لذلك فإن المنهاج الفلسطيني-الخاص بقضايا التاريخ والوطن والدين والمجتمع- يعتبر منتج لقوى خارجية هدفها حماية المشروع الصهيوني في المنطقة من أي خطر يمكن أن يهدده، دون النظر إلى بناء منهاج فلسطيني يعبر عن احتياجات الطلاب الفلسطينيين، ومتطلبات مجتمعهم، لذلك فإن المناهج المدرسية الفلسطينية كانت عرضة للتدخل وللتدقيق الشديد من قبل

¹ الفتلاوي، سهيل حسين، العولمة وآثارها في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 394.

² التميمي، باسم، "مشروع المدرسة في الجامعة- المنهج والرؤيا"، في: المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، عبد الرحيم الشيخ (محرراً)، رام الله: مواطن (المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية)، 2008، ص 233.

العديد من مراكز الأبحاث العالمية والصهيونية مثل: مركز "فلسطين-إسرائيل للبحث والمعلومات" و "معهد هاري ترومان" لأبحاث تعزيز السلام، وغيرها، وذلك من أجل التأكد أن تلك المناهج خالية من أي محتوى تحريضي ضد إسرائيل، وأنه منهاج سلمي ولا يحرض على الكراهية أو العنف ضد إسرائيل أو اليهودية أو الصهيونية، كما أنه خالٍ من أي تحريض ضد القيم والتقاليد الغربية المسيحية-اليهودية.¹

وتعتبر الدول الممولة أن الهدف الأساسي من وراء التدقيق في المناهج الفلسطينية هو الحفاظ على الكيان الصهيوني وعدم خلق "ثقافة معادية" له، كذلك ربط الفلسطيني بالنظام العولمي من خلال التركيز على القيم التحررية "الليبرالية" كاللاعنف، والحريات الفردية، والمساواة، الحوار، والمشاركة، حقوق المرأة، والديمقراطية...، كما تم التركيز في المناهج على المواد العلمية والتقنية، وخاصة تلك التي تتعلق بمستحدثات الاتصالات وارتداد الفضاء والانترنت وثورة المعلومات، مع إغفال أهم مستحدثات البيئة والطاقة والهندسة الوراثية والعلوم الزراعية التي تتناسب ومتطلبات المجتمع الفلسطيني، لذلك فإن تلك المناهج لا ترتبط بالواقع الفلسطيني،² بل تدعو إلى الانبهار بالغرب وتوجه الطالب إلى منتجات التقنية الحديثة دون أن توجهه إلى الطريق الصحيح لاكتساب تلك التقنية من خلال توطين العلم والتقنية من أجل امتلاكها وتصنيعها محلياً.³

وللإطلاع على مضمون المنهاج الفلسطيني لا بد من تتبع النقاط التالية:⁴

أ- غياب العديد من القضايا الوطنية المهمة في تشكيل الوعي الوطني الفلسطيني للفرد، كغياب الحديث عن القضية الفلسطينية، والنكبة، النكسة، المخيم، اللاجئين، ودون توضيح المسؤول عن هذه القضايا هو الاحتلال الإسرائيلي.

¹ حمدان، آيات، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، مرجع سابق، ص 65.

² الزر، عصام، "المنهاج الفلسطيني- المرجعية والإطار النظري/ المناهج الوطنية الفلسطينية: مراجعات فلسطينية"، في: المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، عبد الرحيم الشيخ (محرراً)، مرجع سابق، ص 271.

³ جبر، يحيى، "مستقبل العلاقة بين الحضارات في ضوء الثوابت والمتغيرات توصيات لمنهاج لغات رديف"، في: المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، عبد الرحيم الشيخ (محرراً)، مرجع سابق، ص 383.

⁴ الشيخ، عبد الرحيم (محرراً)، المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، مرجع سابق.

- ب- اختصار حدود فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة (مناطق سلطة الحكم الذاتي التي جاءت بناءً على اتفاقية أوسلو)، والحديث عن سهل غزة وسهل جنين، وأن الساحل الفلسطيني هو ساحل غزة وغيرها من المناطق الجغرافية المغيبة.
- ت- بعض الكتب-بخاصة كتب المرحلة الابتدائية- تم فيها الحديث عن فلسطين التاريخية من مدن وسهول وجبال وبحيرات والتغني بها وكأن شيئاً لم يكن، ولم تطأها قدم ولا يوجد احتلال ولا شيء من هذا القبيل.
- ث- غياب مفاهيم ومصطلحات الجهاد، والاستشهاد، والمقاومة، وحذف كلمة عربي أو مسلم.
- ج- التركيز على موانيق السلام مثل: اتفاقية أوسلو وبيان بنودها وشروطها كالاعتراف بإسرائيل، وكأن الاتفاق عصا سحرية ستنجي المنطقة من كارثة غير معلومة، في المقابل تجاهل الحديث عن الحروب العربية الإسرائيلية أو الإسرائيلية الفلسطينية.
- ح- غياب قضية اللاجئين عن المنهاج الفلسطيني، على الرغم من التطرق للاجئين من خلال الصور التي تظهر الشتات وتظهر بعض الأفراد وهم يتلقون المساعدات التي تقدمها الدول المانحة.
- خ- احتواء المنهاج الفلسطيني على المفاهيم التحررية (الليبرالية) كالديمقراطية، حقوق الإنسان، حقوق المرأة، السلام، اللاعنف، المشاركة، الحوار، التعددية....
- د- المنهاج الفلسطيني خالٍ من عبارات التحريض ضد إسرائيل أو الصهيونية أو اليهودية، ولا حتى ضد القيم والتقاليد الغربية المسيحية- اليهودية، لذلك فهو يعبر عن ثقافة السلام وفق الرؤية الغربية ولا يحمل ثقافة معادية لإسرائيل.
- ذ- إن "الأخر" في المنهاج الفلسطيني لم يقدم على أنه العدو الإسرائيلي، بل تم تقديمه على أنه الإنسان المتحضر والراقي، والذي يستخدم البحث العلمي والتكنولوجي.

ر - احتواء المنهاج على الكم الهائل من المعلومات والمعارف التي تثقل كاهل الطالب والأهالي، بالإضافة إلى أن طريقة التدريس ما زالت كما كانت قديماً تعتمد على التلقين وحشو الأدمغة فقط.

ز - احتواء المنهاج على الكثير من المواد العلمية والتقنية: كالانترنت، ارتياد الفضاء، ثورة المعلومات....

وبناءً على ما سبق، فإن المنهاج الفلسطيني لا يساهم أولاً: في بناء الشخصية والهوية الوطنية الفلسطينية في بعديها الوطني والقومي، كما أنه في بعض الأحيان يساهم في سلخ الإنسان الفلسطيني عن هويته الفلسطينية والعربية، بالإضافة إلى أنها تشجع على التسامح مع الآخرين ولا سيما الإسرائيليين من أجل بث "ثقافة السلام". والجدير ذكره هنا، أن المنهاج الفلسطيني أنتج تزامناً مع بداية انتفاضة الأقصى، وبالتالي فإن الطالب لمس تناقضاً بين ما يبثه المنهاج من الثقافة القائمة على السلام، واللاعنف، والحوار، والتعددية...، وما يمارسه الاحتلال الإسرائيلي من أعمال همجية ووحشية من قتل وهدم وتشريد واعتقال تجاه أبناء الشعب الفلسطيني.¹

ثانياً: يدعو المنهاج إلى الدفع باتجاه العولمة الثقافية داخل المجتمع الفلسطيني من خلال تبنيه لقيم غربية مثل: الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والسلام، والتعايش مع الأديان....، بالإضافة إلى دفع الطالب بالانبهار بالغرب وبمنجزاتهم العلمية والتقنية، وتشجيع الثقافة الاستهلاكية التي تعتمد على استهلاك تلك المنجزات، فضلاً عن شعور (الطالب) الفلسطيني بالاغتراب عن ثقافته، وحصوله على معارف ومهارات لا تتناسب مع التركيبة القيمية للمجتمع الفلسطيني وواقعه، لذلك فإن المنهاج الفلسطيني ينشئ أجيالاً مستهلكة للمعرفة لا منتجتها لها.²

¹ عنابي، أمين، "مشروع المدرسة في الجامعة- الخلاصات والتوصيات"، في: المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، عبد الرحيم الشيخ (محرراً)، مرجع سابق، ص 345.

² قبح، أمير، "المنهاج الفلسطيني- المرجعية والإطار النظري/ المناهج الفلسطينية: نهج الإقصاء"، في: المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، عبد الرحيم الشيخ (محرراً)، مرجع سابق، ص 253.

ثالثاً: تأثير الدول المانحة يبدو واضحاً في إنتاج منهاج فلسطيني يعكس هوية جديدة للفلسطينيين وفقاً لمتطلبات الضغوط الخارجية التي تصب في خدمة البرامج الإسرائيلية في محاولة طمس الهوية والثقافة الفلسطينية من خلال فصل الضفة الغربية وقطاع غزة عن باقي مناطق فلسطين الانتدابية.¹

وفي المحصلة، فإن المنهاج الفلسطيني لم ينبع من احتياجات ومتطلبات المجتمع الفلسطيني في سبيل النهوض والتقدم وبناء الدولة المستقلة، وإنما جاء منسجماً مع متطلبات الضغوط والإملاءات الخارجية التي تصب في مصلحة البرنامج الإسرائيلي من أجل طمس الهوية والثقافة الوطنية الفلسطينية لتحل مكانها ثقافة جديدة تختزل فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي مناطق الحكم الذاتي للسلطة الوطنية الفلسطينية التي جاءت بناءً على اتفاقية أوسلو عام 1993م. والقبول بوجود إسرائيل على حساب الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بخاصة حق العودة.

ب- برامج التعليم العالي

يُعتبر التعليم العالي مكوناً أساسياً من مكونات الوجود الفلسطيني، فهناك حوالي (34) مؤسسة تعليم عالي في الضفة الغربية موزعة كالتالي: (8) جامعات تقليدية، و(10) كليات جامعية، و(15) كلية مجتمع متوسطة. أما بالنسبة للتعليم المفتوح فيوجد جامعة واحدة (جامعة القدس المفتوحة) موزعة على (17) مركزاً في الضفة الغربية. تمنح هذه المؤسسات التعليمية شهادات علمية وأكاديمية مختلفة تشمل درجة الدبلوم والبيكالوريوس والماجستير.² وقد جاء تأسيس معظمها خلال سبعينات القرن الماضي ضمن مبادرات شخصية ومجتمعية، من أجل

¹ الزر، عصام، "المنهاج الفلسطيني- المرجعية والإطار النظري/ المناهج الوطنية الفلسطينية: مراجعات فلسطينية"، في: **المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة**، عبد الرحيم الشيخ (محرراً)، مرجع سابق، ص 263-264.

² وزارة التربية والتعليم العالي/السلطة الوطنية الفلسطينية، **الدليل الإحصائي السنوي لمؤسسات التعليم العالي الفلسطينية**

تعزيز الهوية والنضال الفلسطيني تحت الاحتلال. والحديث عن التعليم العالي هو حديث عن رواية المقاومة والمواجهة الفلسطينية ضد المحتل على مدار السنين.¹

ولقد لعب التعليم العالي في فلسطين -قبل التوقيع على اتفاقية أوسلو وخاصة قبل قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية- دوراً في مواجهة الاحتلال، فالأدب استخدم لكتابة القصة والرواية والشعر المقاوم، واللغة الإنجليزية وُظفت لإيصال الصوت الفلسطيني إلى العالم، أما الاقتصاد فقد استخدم لإيجاد اقتصاد منزلي وصناعي وزراعي يهدف إلى الخلاص من التبعية للاحتلال. لذلك فقد كان التعليم العالي بجميع تخصصاته وبرامجه يهدف بشكل أساسي إلى تقوية صمود الشعب الفلسطيني والمساهمة في بناء حركة التحرر الوطني، بالإضافة إلى دوره في تخريج قيادات سياسية وثقافية واجتماعية قادرة على إحداث التغيير، ويعمل على بناء برامج ورؤى تنموية تعزز من صمود الشعب الفلسطيني.²

وعليه، فقد كان الهدف الأساسي من وجود مؤسسات التعليم العالي في فلسطين هو إنتاج المعرفة ولم يكن لها هدفاً اقتصادياً وتحقيق الأرباح، وإنما سعت الجامعات الفلسطينية إلى بناء نظام معرفي وإنتاجي مغاير يهدف إلى تعزيز صمود الشعب الفلسطيني وبقائه وحقه في الوجود.³

أما بعد توقيع اتفاقية أوسلو و قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية عام 1994، التي عملت على بناء المؤسسات السيادية التي تشرف على جميع القطاعات الحيوية للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكان التعليم على رأس تلك القطاعات، من أجل الاستعداد لبناء الدولة الفلسطينية المستقبلية. وعليه قامت السلطة الوطنية الفلسطينية بإعداد الخطط والرؤى التنموية بما يتلاءم مع الوضع الراهن في ظل توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل، والتزامات مع القوى الإقليمية والعالمية من أجل تحقيق تنمية مستدامة في فلسطين.

¹ سلامة، رامي، تسليح التعليم العالي في سوق محاصر، رام الله: مركز بيسان للبحوث والإنماء، http://ar.bisan.org/sites/default/files/ltlym_lly.pdf

² المرجع السابق.

³ المرجع السابق.

لذلك كان الهدف الأساسي من وراء التعليم في تلك الفترة (الفترة الانتقالية لبناء الدولة الفلسطينية) هو تخريج الطلبة الفلسطينيين القادرين على تحقيق التنمية بما يتلاءم مع احتياجات ومتطلبات السوق والمجتمع الفلسطيني، هذا بالإضافة إلى التوجه لمواكبة التطور التقني والعلمي الذي بفضلُه أصبح العالم قرية صغيرة تسيطر عليه قوى العولمة بأبعادها المختلفة.

بناءً على ما سبق، فالتعليم العالي الفلسطيني يوصف بأنه يعمل على تخريج آلاف الشباب والشابات القادرين على تطبيق توجهات النظام التنموية، وباستطاعتهم اللحاق بركب التقدم التقني والعولمة، أي أن الهدف هو تكوين شريحة من التكنوقراط الطليعيين القادرين على العمل في جميع المؤسسات التنموية،¹ إضافة إلى أن الجامعات الفلسطينية أضافت برامج تعليمية جديدة تتناسب مع ثقافة السلام - تتناسب مع مرحلة السلام بين فلسطين وإسرائيل - وخاصة تلك البرامج التي تهتم بالديمقراطية وحقوق الإنسان ودراسات المرأة، مما يؤهل الخريج من العمل في المنظمات غير الحكومية القادرة على اجتذاب الممولين الأجانب.

وفي الدراسة التي أعدها رامي سلامة والتي كانت بعنوان "تسليع التعليم العالي في سوق محاصر"، تم الاعتماد على خطط التنمية الوطنية (2011-2013)، والخطة الخمسية التطويرية الإستراتيجية (2008-2012)، والإستراتيجية القطاعية وغير القطاعية للتعليم (2011-2013)، وقد توصل الباحث من خلال تحليله النقدي لتلك الخطط التنموية أن "الرؤى المطروحة، والخطط المراد تنفيذها، إضافة إلى التوجهات النيوليبرالية المتضمنة في هذه السياسات، تُنذر بتحويل التعليم العالي الفلسطيني إلى مجرد سلعة للتداول في السوق الرأسمالي، سواء أكانت هذه السلع معرفية أو بشرية".²

ويرى رامي سلامة، أن هذا التوجه نحو السوق الرأسمالي في التعليم العالي لن يقود إلى تحقيق تنمية مستدامة، بل سيحوّل المجتمع الفلسطيني إلى مجتمع مدين بنكيّاً، ومجتمع

¹ حمدان، آيات، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، مرجع سابق، ص 66.

² سلامة، رامي، تسليع التعليم العالي في سوق محاصر، مرجع سابق، ص 1.

استهلاكي، مما ينعكس على شخصية الفلسطيني وثقافته ووجوده المقاوم.¹ فالرؤية التنموية التي تُطرح من قبل السلطة الفلسطينية ضمن خططها التنموية الرئيسية والخطط التخصصية، تشير إلى نقل التعليم المدرسي والعالي إلى حالة- مغايرة عما كان عليه في السابق- تعليم من أجل السوق والاقتصاد في الأساس. وبناءً عليه، يترتب إهمال للتخصصات الجامعية غير المنتجة وخاصة في السوق الرأسمالي، وهي العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ كونها لا تحقق أرباحاً في السوق الرأسمالي، مقابل التركيز على تخصصات إنتاجية وسوقية، قابلة للتداول في السوق الرأسمالية، وهي تخصصات غير منتجة معرفياً بقدر ما هي منتجة سلعياً، لذلك سيتم التركيز فلسطينياً أكثر على التخصصات المهنية والتقنية، بالإضافة إلى التخصصات العلمية: كالرياضيات والفيزياء والعلوم الطبية.²

وعليه، سيصبح التعليم العالي موجهاً لخدمة سياسة اقتصاد السوق التي تهدف لتحقيق الربح وليس تحقيق التنمية المستدامة، وتكمن الخطورة هنا على المدى البعيد في تهميش دور القطاع العام والعمل على خصصته، مما سيحوّل الحكومة الفلسطينية إلى حكومة تعمل على حماية القطاع الخاص، مما يؤدي إلى تحكّم القطاع الخاص ليس في السياسات الاقتصادية فقط وإنما التحكّم أيضاً في السياسات الوطنية للدولة على نحو يضمن عدم تعارض السياسات العامة للسلطة مع المنفعة الاقتصادية وتضاربها.³

وفي المحصلة، تغيّر الهدف المرجو من مؤسسات التعليم العالي في فلسطين تبعاً للظروف والمراحل التاريخية التي يمر بها الشعب الفلسطيني، ففي مرحلة النضال والكفاح المسلح ضد إسرائيل كانت الجامعة تلعب دوراً في مواجهة الاحتلال ومقاومته من خلال تضافر البرامج التعليمية من أجل تعزيز صمود الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى تخريج قيادات سياسية وثقافية واجتماعية قادرة على إحداث التغيير وبناء حركة تحرر وطني. أما بعد توقيع اتفاقيات السلام بين فلسطين وإسرائيل، فإن دور الجامعة اختلف بطريقة تتلاءم مع مرحلة السلام من

¹ سلامة، رامي، تسليع التعليم العالي في سوق محاصر، مرجع سابق، ص 1.

² المرجع السابق، ص 8-10.

³ المرجع السابق، ص 7.

خلال دعم برامج الديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة من جهة، ودعم برامج التنمية وبرامج مواكبة التطور العلمي والتقني من جهة أخرى مما يشكل طبقة من التكنوقراط المعولمين. أما حديثاً وفي ظل الخطط التنموية التي أعدتها السلطة لتحقيق وبناء الدولة المستقبلية، فإن دور الجامعة سيكون هدفاً لتحقيق الربح فقط، أي دعم القطاعات المهنية والتقنية والعلمية من أجل مواكبة السوق والاقتصاد الرأسمالي، وهنا سيتحول التعليم العالي الفلسطيني إلى مجرد سلعة معرفية كانت أم بشرية.

بالإضافة إلى ما سبق، تعتبر الجامعات الفلسطينية اليوم مؤسسات استهلاكية للبرامج والمناهج الغربية، دون أن تكون هناك عملية موازنة مع احتياجات ومتطلبات المناخ التنموي المطلوب فلسطينياً، أي أن بعض البرامج التي تطرح في الجامعات الفلسطينية اليوم (كبرامج الديمقراطية وحقوق الإنسان، دراسات المرأة...) لم تنبع في الأساس من احتياجات المجتمع الفلسطيني، وإنما جاءت عبر توجهات و ضغوطات خارجية تتلاءم مع المتطلبات الأيدولوجية للسوق والاقتصاد الرأسمالي وفي النهاية تتحول (الجامعة) في ظل العولمة إلى "مجرد مركز رأسمالي آخر للاقتصاد المعولم من خلال خصصته وأنجزه دوائر الجامعة"¹ دون الاهتمام بالبرامج التي تتلاءم مع فلسفة المجتمع الفلسطيني كالزراعة والهندسة الوراثية مثلاً.

فعلى الجامعة الفلسطينية التمسك بدور التحرر الوطني ومقاومة الاحتلال بجانب الدور التنموي المطلوب من أجل بناء الدولة تحت ظروف التطور والتقدم والعولمة، النابع من احتياجات ومتطلبات المجتمع الفلسطيني وليس لما تمليه القوى الاقتصادية الكبرى.

¹ الشيخ، عبد الرحيم، "الجامعة الفلسطينية وسباق المسافات الطويلة في مقاومة الاستعمار"، جريدة الأيام، 16 تشرين الأول

2010، <http://www.al-ayyam.com/article.aspx?did=150968&date=10/16/2010>

المبحث الثاني

تقنيات العولمة الثقافية

تقنيات العولمة الثقافية كثيرة ومتنوعة وتزداد يوماً بعد يوم في العالم، ولكن فإن هذه الدراسة ستوجه الأنظار حول أكثرها تأثيراً في المجتمع الفلسطيني وخاصة في الضفة الغربية، كشبكة الإنترنت، والهاتف المحمول، محطات التلفزة والإذاعة المحلية، كونها تعتبر من أكثر وسائل الاتصال الجماهيري توفراً في جميع الطبقات الاجتماعية ومستوياتها المعيشية.

المطلب الأول: شبكة الإنترنت

تعتبر شبكة الإنترنت أداة ووسيلة مهمة من أدوات ووسائل التقنية والمعلوماتية في العالم، كونها الوسيلة الأكثر فعالية في تداول المعلومات والمعرفة والدراسات والأبحاث، من أي مكان وفي أي زمان، لذلك فإن الإنترنت حول العالم إلى قرية صغيرة، واخترق كل بيت ومؤسسة، وأصبح العالم موجوداً في شاشة صغيرة داخل غرفة واحدة.

وعليه، أصبح الإنترنت يمثل أهم أداة من أدوات العولمة الثقافية التي تهدف إلى إحلال ثقافة مجتمع ما - وخاصة الثقافة الأمريكية - محل الثقافات الوطنية المتعددة والمتنوعة في شتى دول العالم، فمجرد الدخول على شبكة الإنترنت يمكن للشخص أن يصل إلى أي مكان في العالم دون حسيب أو رقيب، وهنا تبرز نقطتان؛ فالإنترنت سلاح ذو حدين: يتمثل السلاح الأول، في زيادة الحصيلة المعرفية والعلمية في كافة المجالات، لذلك فهو يصف بالحد الإيجابي. أما السلاح الآخر، فيتمثل في إهدار الوقت لقتل الملل، من خلال تصفح المواقع المختلفة بدون هدف مفيد، أو لمجرد الاستماع إلى الأغاني، أو للدخول لمواقع الدردشة ومواقع التواصل الاجتماعي مثل: الفيس بوك، أو النفاذ للمواقع الإباحية والصور الجنسية ويوصف هذا الحد بالسلب.

أما على الصعيد الفلسطيني، فقد ازدادت وتزداد ظاهرة ارتياد الشباب إلى مقاهي الإنترنت المعروفة بـ(كوفي نت)، أو زيادة عدد مشتركين الإنترنت لتمضية الوقت، على الرغم من أن شبكة الإنترنت ليست سيئة بحد ذاتها - كما أسلفنا سابقاً - وإنما الشخص الجالس أمام

الكمبيوتر والذي يتصفح الشبكة هو من يقرر الجيد أو الرديء من مواقع الإنترنت، لذلك يظهر هنا أهمية وجود رقابة لدى الشخص يغذيها وينميها توجيه الأسرة والمدرسة والمجتمع.

يرى صلاح عبد العاطي أن علاقة الشباب الفلسطيني مع مظاهر العولمة اقتصر على التعامل مع الوسائل الاتصالية والإعلامية لهذه الظاهرة، ويأتي في مقدمتها ارتياد مقاهي الإنترنت واشتراك المنازل والمكاتب بها، والذي زاد في آخر عامين بصورة ملحوظة بسبب تسهيل الاشتراك من قبل شركة الاتصالات الفلسطينية.¹ فقد كان عدد مشتركى الإنترنت في الضفة الغربية وقطاع غزة عام 2009 حوالي 114,720 مشترك، بواقع 81,667 في الضفة الغربية و 33,053 في قطاع غزة.² وفي عام 2010 أصبح عدد المشتركين بوساطة الرقم المجاني حوالي 11,523 مشترك، منهم 8,354 في الضفة الغربية و 3,169 في قطاع غزة، في حين بلغ عدد خطوط الاتصال السريع ADSL 107,965 خط، منها 74,666 خط في الضفة الغربية و 33,299 في قطاع غزة.³

في عام 2011، بلغت نسبة الأسر التي لديها جهاز حاسوب في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي 50.9% من عدد الأسر الكلي، بواقع 53.2% في الضفة الغربية و 46.5% في قطاع غزة. أما نسبة الأسر التي لديها خدمة إنترنت في البيت فقد بلغت 30.4%، بواقع 30.6% في الضفة الغربية و 30% في قطاع غزة.⁴ والجدول التالي يبين التطور المتزايد في نسبة الأسر التي لديها خدمة إنترنت في البيت في الضفة الغربية وقطاع غزة:

¹ عبد العاطي، صلاح، " العولمة الثقافية وتداعياتها على الشباب في فلسطين"، مرجع سابق.

² الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فلسطين في أرقام 2010، رام الله، أيار/مايو 2011.

³ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الاتصالات والمواصلات، مؤشرات رئيسية، 2011/7/26

<http://www.pcbs.gov.ps/DesktopModules/Articles/ArticlesView.aspx?tabID=0&lang=ar-JO&ItemID=1307&mid=11588>

⁴ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، رام الله، كانون الأول/ديسمبر 2011،

2011	2009	2008	2006	2004	
50.9	49.2	32.8	32.8	26.4	نسبة الأسر التي تمتلك جهاز حاسوب
30.4	28.5	15.9	15.9	9.2	نسبة الأسر التي لديها خدمة إنترنت
	32.3	18.1	18.4	11.9	نسبة الأفراد (10 سنوات فأكثر) ويستخدمون الإنترنت

تعكس النسب والأرقام السابقة الاهتمام المتزايد بهذه الظاهرة فلسطينياً، وخاصة فئة الشباب من الذكور والإناث، وأصبحت تمثل المنفذ الرئيسي لوعي هؤلاء الشباب، في ظل قيم وعادات وتقاليد مجتمعية لا تتماشى مع متطلبات العصر وتقنياته التي يشهدها العالم، كما أن مصادر التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، الجامعة، الدولة) لم تعد تملك إجابات مقنعة لهؤلاء الشباب مما يفقدون هويتهم تدريجياً ويرتبون بالعولمة.¹ وفي ظل غياب الوعي الكافي بطريقة استخدام الإنترنت والهدف الأساسي المرجو لخدمة البشرية، لتسهيل عملية الاتصال والتواصل وتوفير الوقت والجهد، وتقريب المسافات، كون الإنترنت تقنية مستوردة من الغرب دون وجود المعلومة والفكرة، فقد تزايد أعداد الشباب الذين يستخدمون هذه التقنية لأهداف وجوانب سلبية لساعات طويلة، سواء في التسلية أو الدردشة، أو للنفاد للمواقع الجنسية... مما يساهم في إهدار الوقت وانعكاس ذلك على التحصيل العلمي أو على العلاقات الاجتماعية أو تماسك الأسرة.

وفقاً للمسوح التي يجريها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني حول مجتمع المعلومات في الضفة الغربية وقطاع غزة وخاصة مؤشرات الإنترنت والهدف أو الغرض من الاستخدام، تبين أنه مع مرور الوقت يتغير هدف المستخدم لتلك التقنية من الجوانب الإيجابية إلى الجوانب السلبية مما ينعكس على شتى الأمور الحياتية للمستخدم، والجدول التالي يبين ذلك بين عامي 2004 و2006:²

¹ عبد العاطي، صلاح، "العولمة الثقافية وتداعياتها على الشباب في فلسطين"، مرجع سابق.
² الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، إحصاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأراضي الفلسطينية، آذار/مارس 2007، ص 78. http://www.pcbs.gov.ps/Portals/_PCBS/Downloads/book1331.pdf

الأفراد (10سنوات فأكثر) حسب الغرض الرئيس لاستخدام الانترنت	2004 %	2006 %	نسبة التغير
للدراصة	19.8	19.3	-2.8
للتسلية والترفيه	11.2	16.5	32.1
للإطلاع والمعرفة	27.5	15	-83.3
للعمل	10.9	9.3	-17.2
للمراسلات	17	9.1	-86.8

ومن جهة أخرى، فإن هناك إحصاءات تشير إلى أن 31% ممن يستخدمون الإنترنت يستخدمونه للبحث عن عمل، و 77% للاتصال بالأصدقاء والأقارب، و 75% للتسلية، و 43% لإنجاز الأعمال.¹ أما بالنسبة لإحصاءات موقع Alexa، تبين أن موقع الـ facebook يحتل المرتبة الأولى من بين 500 موقع يدخل إليه الفلسطينيون، ثم يأتي موقع الـ youtube رقم 3، موقع معاً الإخباري رقم 6، وموقع دنيا الوطن رقم 8، وموقع كورة رقم 9، وموقع شبكة فلسطين للحوار رقم 17، بينما يحتل الموقع الجنسي xnxx المرتبة رقم 18، و ثم موقع twitter رقم 19، وموقع جامعة القدس المفتوحة رقم 20، وموقع جامعة النجاح الوطنية رقم 23.²

تبين مما سبق أن معظم من يستخدمون الإنترنت سواء في الضفة الغربية أو في الضفة الغربية وقطاع غزة ككل، يستخدمونه لأغراض التسلية والترفيه وخاصة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي (facebook و twitte) وغيرها، بالإضافة إلى النفاذ إلى المواقع الجنسية التي تؤثر بشكل كبير على الأفراد في مختلف النواحي الصحية والاجتماعية والاقتصادية، مما يتسبب في انتشار الزنا والجريمة، فضلاً عن انتشار ثقافة الشذوذ الجنسي لكلا الجنسين (اللواط والسحاق)، ولحساسية الموضوع هناك صعوبة في وجود إحصاءات ونسب في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولكن هناك إحصاءات تشير إلى استخدام الإنترنت في جوانب إيجابية على الرغم من انخفاض نسبتها مقارنة مع الدول الإقليمية والمتقدمة، فبلغت نسبة المنشآت التي تستخدم الإنترنت

¹ عبد العاطي، صلاح، "العولمة الثقافية وتدابيرها على الشباب في فلسطين"، مرجع سابق.

² موقع إيكسا: <http://www.alexa.com/topsites/countries/PS>

في الأراضي الفلسطينية عام 2007 حوالي 12.7%، و 20.2% عام 2009. أما نسبة المنشآت التي أقامت معاملات تجارية إلكترونياً حوالي 2.3% عام 2007 و 4.2% عام 2009. ونسبة المنشآت التي قامت بمعاملات تجارية عبر الشبكات حوالي 0.4% عام 2007 و 0.5% عام 2009.¹

من ناحية أخرى، فإن معدل الإنفاق الشهري لدى الأسر الفلسطينية على الخدمات التقنية والمعلومات والاتصالات عام 2006 كانت حوالي 55.3 شيقل إسرائيلي، بواقع 50.8 شيقل في الضفة الغربية وحوالي 64.7 شيقل في قطاع غزة،² كما أن المجموع السنوي لما ينفقه الشباب الفلسطيني على التقنية (التكنولوجيا) بلغ 166 مليون شيقل لعام 2006،³ بينما بلغ إجمالي الإنفاق على مشاريع البحث والتطوير في الضفة الغربية وقطاع غزة 35 مليون دولار أمريكي.⁴

في المحصلة، شبكة الإنترنت ليس تقنية سلبية بحد ذاتها، وإنما طريقة الاستخدام هي التي تحدد ذلك، فأغفال الآثار والاستخدامات التي تفيد وتخدم البشرية، والتي ساهمت في تقليل المسافات وإزالة الحواجز بين الدول، وتوفير الجهد والوقت على كافة المجالات؛ حيث تم توظيف الإنترنت في التجارة الإلكترونية وفي الأبحاث العلمية والطبية، وإثراء المعلومات والمعرفة الشخصية، بالإضافة إلى استخدام الإنترنت في الدعوة إلى الإسلام. وحالياً يستخدم في التحضير والدعوة للمظاهرات السلمية- كما حدث في الثورة المصرية-، كما لعب الإنترنت دوراً في الإعلام وفي استطلاعات الرأي العام في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وبالرغم من كل ذلك، فقد اتجه بعضهم إلى استخدامه بالطريقة السلبية، مما ساهم في تفاقم الأزمات التي يمر بها الشباب ولا سيما في الضفة الغربية وقطاع غزة، فهو يعاني من الاحتلال الإسرائيلي وما تبعه من تأثيرات على مختلف النواحي، والأزمات المعرفية والعلمية والتقنية التي تعاني منها الأمة العربية والإسلامية، بالإضافة إلى التأثيرات الناجمة عن الإنترنت،

¹ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، مرجع سابق، ص 102.
² الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، إحصاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأراضي الفلسطينية، مرجع سابق، ص 83.

³ عبد العاطي، صلاح، "العولمة الثقافية وتدابيرها على الشباب في فلسطين"، مرجع سابق.

⁴ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، مرجع سابق، ص 103.

التي تعكس ثقافة ومفاهيم مجتمعات غربية، تتحدث عن الرفاهية المتزايدة، وعن العلاقات الجنسية التي لا تحكمها قيم أو قوانين اجتماعية، إضافة إلى الصور والأفلام الإباحية... مما يهدد وقوع الشباب في الدول النامية ومن ضمنها فلسطين بخطر العولمة الثقافية. فتظهر انعكاسات نفسية واجتماعية بين أوساط المستخدمين تتمثل في العزلة الاجتماعية والانغلاق على النفس، بالإضافة إلى شعور الفرد بالاغتراب في وطنه، مما ينعكس على الهوية الوطنية والقومية. لذلك لا بد من توعية الشباب والمراهقين حول حُسن استخدام الإنترنت والاستفادة منه.

المطلب الثاني: الهاتف المحمول (النقال)

الهاتف المحمول هو أحد أشكال الاتصال اللاسلكي والذي ساهم في زيادة الاتصال والتواصل بين الناس في شتى أنحاء العالم، ويتزايد يوماً بعد يوم عدد المستخدمين له في العالم ومن شتى الطبقات المتوسطة والغنية. فهو وسيلة ترافق الأفراد في سفرهم وترحالهم وفي كل جزئية من جزئيات حياتهم اليومية، كما يشعر الفرد من خلاله بالخصوصية والتميّز. وعلى الرغم من ذلك هناك من يستخدمه في التسلية وفي إهدار الوقت لقتل الملل، كاللعب أو تبادل الرسائل العاطفية، أو تصوير المقاطع والبحث عن أحدث النغمات والأشكال والصور الحركية الجديدة للجهاز. وفي ظل التقدم العلمي والتقني، أصبح للمحمول استخدامات كثيرة ومتعددة؛ فهو جهاز كمبيوتر جيبى صغير تمكّن الشخص من القيام بمجموعة من العمليات المتعددة (كالدخول إلى شبكة الإنترنت، والتلفاز).

وقد أشارت إحصاءات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن عدد المشتركين في الهاتف المحمول الفلسطيني عام 2010 في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي 2.6 مليون مشترك يستخدمون نظام الدفع المسبق (الكارت) ونظام الفاتورة.¹ وأن نسبة الأسر في الضفة الغربية وقطاع غزة التي تمتلك هاتف محمول في تزايد مستمر، وهي كالاتي:²

¹ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الاتصالات والمواصلات، مؤشرات رئيسية، مرجع سابق.

² الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، مرجع سابق، ص 100. بالإضافة إلى: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فلسطين في أرقام 2010، مرجع سابق، ص 48.

2011	2009	2008	2006	2004	2003	2002	2000	نسبة الأسر التي لديها هواتف محمول
95.0	92.4	81.0	81.0	72.8	66.1	60.4	43.7	الضفة الغربية وقطاع غزة
95.1			82.1	77.6	70.9	66.9	51.0	الضفة الغربية
94.7			78.6	64.1	56.6	48.4	29.8	قطاع غزة

فالهاتف المحمول أصبح وسيلة للتباهي والتفاخر بين الأقران وخاصة بين فئة الشباب ذكوراً وإناثاً، فهناك من يتدافع نحو اقتناء أحدث أنواع الهواتف المحمولة في العالم، في الوقت الذي يعاني فيه الشعب الفلسطيني من الفقر والبطالة، فبلغ معدل الإنفاق الشهري للأفراد (10 سنوات فأكثر) على الهاتف النقال الفلسطيني (جوال) عام 2006 في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي 86.0 شيقل إسرائيلي، بواقع 97.8 شيقل في الضفة الغربية و 72.2 شيقل في قطاع غزة.¹ كما أن الأرباح السنوية التي تحققها شركات الهواتف النقالة في فلسطين (جوال ووطنية) تقدر بعشرات المليارات من الدولارات تدل على سعة استهلاك واستخدام الهاتف المحمول في المجتمع.

المطلب الثالث: محطات التلفزة والإذاعة المحلية

يعد التلفاز واحداً من أهم الوسائل الإعلامية في العصر الحالي، كونه الوسيلة الأكثر انتشاراً وشعبية بين كافة وسائل الاتصال والإعلام الجماهيري على مستوى العالم، فهو وسيلة ترفيه وتسلية وتنقيف علمية وسياسية واقتصادية، كما أنه الوسيلة الأكثر تأثيراً على الرأي العام باختلاف الطبقات والمستويات الاجتماعية في كافة دول العالم، وذلك بفضل رسائله السهلة التي تتسلل إلى وعي المتلقي وتؤثر على تفكيره مما ينعكس على سلوكه اليومي.

ولا توجد أسرة لا تمتلك جهاز تلفاز مهما كان مستواها المعيشي إلا ما ندر، وتشير إحصاءات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، أن نسبة الأسر في الضفة الغربية وقطاع غزة

¹ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، إحصاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأراضي الفلسطينية، مرجع سابق، ص 83.

التي تمتلك جهاز تلفاز تتزايد عاماً بعد عام، فبلغت عام 2011 حوالي 96.7% بواقع 97.6% في الضفة الغربية و 95.1% في قطاع غزة، والجدول التالي يُبين ذلك:¹

نسبة الأسر التي يتوفر لديها جهاز تلفاز	2000	2002	2003	2004	2006	2009	2011
الأراضي الفلسطينية	89.7	93.0	91.9	93.4	95.3	95.7	96.7
الضفة الغربية	90.6	95.1	93.2	94.6	96.3	97.0	97.6
قطاع غزة	87.9	89.2	89.4	91.2	93.4	93.2	95.1

ولقد شهدت الساحة الفلسطينية انتشاراً واسعاً لمحطات التلفزة والإذاعة المحلية المتنوعة والمختلفة، ويطلق عليها أيضاً اسم "المحطات الخاصة" أو "الأهلية" من حيث الملكية، وذلك للتفريق بينها وبين المحطات العامة الرسمية أو الحكومية، كونها تتبع لأشخاص أفراد أو شركات خاصة أو منظمات غير حكومية،² ويعزى سبب ظهور هذه المحطات وانتشارها بسرعة قياسية؛ إلى قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية وتشجيع وزارة الإعلام على إنشاء محطات تلفزة خاصة ومحلية مستقلة غير حكومية، بالإضافة إلى الحاجة إلى وجود محطات محلية على مستوى المحافظات لمخاطبة الرأي العام المحلي، كما أن أصحاب المحطات وجدوا فيها هدفاً لتحقيق الربح من خلال الإعلانات التجارية والدعايات الانتخابية، كما أن المؤسسات الأهلية وجدت الفرصة لامتلاك حصص في محطات تلفزة تستطيع من خلالها توصيل رسالتها الإعلامية أو التربوية أو الفكرية أو الحزبية.³ وبلغ عدد المحطات الإذاعية والتلفزيونية المحلية في الضفة الغربية عام 2010، حوالي 45 محطة عاملة تتوزع على محافظات الضفة الغربية باستثناء

¹ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، مرجع سابق، ص 100. بالإضافة إلى: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فلسطين في أرقام 2010، مرجع سابق، ص 48. بالإضافة إلى: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، إحصاءات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الأراضي الفلسطينية، مرجع سابق، ص 79.

² أبو عيَّاش، رضوان ابراهيم، أثر التطور الاجتماعي والتحدي السياسي على أداء الإعلام الفلسطيني، رسالة دكتوراة منشورة، جامعة عين شمس 2008، مطبعة المنار الحديثة، 2009، ص 148.

³ سقف الحيط، ساهر، "محطات الإذاعة والتلفزيون الخاصة في فلسطين"، دنيا الرأي، 2006/4/9، <http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/04/09/41919.html>

طوباس وسلفيت والقدس. و 56% من المحطات المحلية في الضفة الغربية إذاعية، و 38% من المحطات تلفزيونية، وهناك 6% من المحطات إذاعية وتلفزيونية معاً.¹

ومن جهة أخرى، أجازت وزارة الإعلام لمحطات التلفزة المحلية والبالغ عددها 26 محطة -6 فقط مرخصة- ببث 40% من معدل ما تعرضه من الإنتاج المحلي، إلا أن معظم ما تبثه هذه المحطات مجرد نشرات إخبارية وبرامج وأفلام ومسلسلات وقطع (كليببات) غنائية منقولة عن القنوات الفضائية،² وذلك يعود لعدم وجود إنتاج تلفزيوني محلي يكفي احتياجات ساعات البث ويغطي النسبة المطلوبة من قبل وزارة الإعلام، لغياب الدعم المالي ولعدم وجود طواقم فنية مدربة قادرة على إنتاج مميز، ولصعوبة تنقل الطواقم الصحفية والفنية بسبب الحواجز والإغلاقات الإسرائيلية، والأهم من ذلك انتشار لواقط المحطات الفضائية بشكل كبير في الضفة الغربية وقطاع غزة،³ حيث بلغت نسبة الأسر التي تمتلك لاقط فضائي حوالي 93.9% بواقع 95.9% في الضفة الغربية و 90.1% في قطاع غزة.⁴ ونتيجةً لما سبق وفي ظل حاجة الجمهور للمشاهدة اضطرت المحطات المحلية إلى زيادة البرامج الجاذبة للجمهور وفي نفس الوقت عديمة التكلفة، وذلك عن طريق النقل عن القنوات الفضائية العربية والعالمية بدون إذن مسبق إلا ما ندر.

وبذلك فإن محطات التلفزة المحلية المنتشرة في كل محافظات الضفة الغربية تساهم بشكل أو بآخر في نشر ثقافة وقيم مجتمعات الدول العربية والغربية خاصة والتي لا تتناسب بالضرورة مع ثقافية قيم وتقاليد المجتمع الفلسطيني وقد تكون بعيدة عن قضاياها، حيث كثرت في الآونة الأخيرة بث المسلسلات التركية التي تعكس قضايا ومشاكل بعيدة كل البعد عن المنظومة

¹ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، "واقع المؤسسات الثقافية في الأراضي الفلسطينية لعام 2010"، صادر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2010/3/13، http://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/2011/Stat_Pal_Cultural_Institutions_3-11.pdf

² عبد الكريم، عبير، "التلفزيونات المحلية..برامج محلية أم سرقات فضائية"، وفا: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، 2012/2/22، <http://www.wafa.ps/humanity/atemplate.php?id=124639>

³ سقف الحيط، ساهر، "محطات الإذاعة والتلفزيون الخاصة في فلسطين"، مرجع سابق.

⁴ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، مرجع سابق، ص 100.

الاجتماعية العربية والفلسطينية، كالمسلسلات التي تتمحور حول الحب أو العنف والانتقام، والتي تسببت في الكثير من حالات الطلاق والمشاكل الأسرية، فضلاً عن بثها لمباريات المصارعة وكرة القدم، والتي تساهم في نشر العنف والتعصب الرياضي لدرجة التشاجر والتقاتل بين المشجعين . كما أن بعضها (محطات التلفزة المحلية) يساهم في نشر القيم التحررية (الليبرالية) مثل: الديمقراطية (الشكلية)، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة وبرامجها، كما أنها تشجع القيم الاستهلاكية عبر الإعلانات والدعايات التجارية. وتم استغلال تلك المحطات على التحريض السياسي "الردح" والذي وصل حد اشتعال الساحة الفلسطينية وتهديد أركان السلم الأهلي الذي تكرر بالانقسام الفلسطيني.¹

وكذلك الأمر بالنسبة للإذاعات المحلية والتي غالباً ما تعمل في ظل غياب إستراتيجية واضحة وواقعية تتناسب مع بناء الثقافة المجتمعية والوطنية، مما انعكس ذلك على ثقافة المستمعين وخاصة فئة الشباب (فئة البناء) وقيمهم الثقافية، أبرزها غياب الهوية الوطنية في طبيعة البرامج التي تقدمها تلك الإذاعات والتي تركز على النمط المفتوح، بحيث تعتمد على مداخلات المشاركين، والتي كثيراً ما تكون سطحية خالية من المضمون، كما أنها تركز على الأغاني وإرسال التهاني والتي تدخل ضمن المجاملات الاجتماعية والشخصية، إلا ما ندر منها وهي قليلة جداً.²

وفي هذا الإطار أشار د. أبو عيَّاش إلى أن برامج هذه المحطات (التلفزيونية والمحلية) متنوعة في غالبها فهي تتراوح بين الموسيقى والأغاني والمنوعات والبرامج الثقافية والاتصالات مع الجمهور، في حين يبيث بعضها نشرات إخبارية ثابتة مثل تلفزيون وطن ورايو أمواج وأجيال في رام الله.³

ومن جهةٍ أخرى، فإن الدراسة التي أجراها د.أبو عيَّاش على عينة عشوائية مكونة من (400) مبحوث في الضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزة في شتاء عام 2002، وجد أن

¹ عبد العاطي، صلاح، "العولمة الثقافية وتداعياتها على الشباب في فلسطين"، مرجع سابق.

² المرجع السابق.

³ أبو عيَّاش، رضوان ابراهيم، أثر التطور الاجتماعي والتحدي السياسي على أداء الإعلام الفلسطيني، مرجع سابق، ص

محطة الجزيرة الفضائية القطرية تحظى بأعلى نسبة مشاهدة بين المبحوثين حوالي 28.3%، كما أن 40.8% من المشاهدين لا يشاهدون المحطات المحلية الخاصة، وأن نسبة 49.7% من المبحوثين لا يشاهدون المحطات الأرضية الرسمية مثل تلفزيون: فلسطين، الأردن، سوريا، مصر. ويعزي د. أبو عيَّاش سبب تلك النسب هو الاتجاه إلى مشاهدة الفضائيات أو ربما لوسائل إعلامية أخرى. أما بالنسبة إلى اهتمام المشاهد الفلسطيني بالبرامج التي تعرض على محطات التلفزيون أكثر من غيرها، فقد تبين أن الأخبار تتصدر القائمة بنسبة 37.3%، وذلك لأن المجتمع الفلسطيني هو مجتمع ميسر تحتم عليه الأحداث على أرضه متابعة الأخبار والبرامج الحوارية الإخبارية، يلي ذلك برامج التسلية والأفلام كونها تقدم تخفيفاً للضغوط اليومية والنفسية التي تواجه المشاهد قيد الدراسة.¹

تُبين الدراسة السابقة رأي المشاهد الفلسطيني في ظل انتفاضة الأقصى، بحيث أثرت على مجمل الدراسة، فهي لم توضح رأي المشاهد الفلسطيني في ظل الحياة المستقرة، فقد كانت الأمور السياسية والإخبارية هي التي تحظى باهتمام بالغ في طبيعة البرامج الأكثر مشاهدة في المحطات المحلية (تلفاز وإذاعة) والقنوات الرسمية والفضائيات العربية وخاصة الإخبارية منها. وعلى الرغم من كل ذلك، فقد أشار د. أبو عيَّاش في نتائج دراسته أن "المجتمع الفلسطيني كبقية المجتمعات العربية يتعرض لغزو ثقافي فكري واسع وهو بالتالي بحاجة إلى أدوات إعلامية فاعله وخطاب إعلامي واضح".²

في المُحصّلة، المطلوب هو كما أشار إليه محمود خليفة مدير عام وزارة الإعلام، أن تعمل محطات التلفزة المحلية على بث برامج تساهم في تنمية المجتمع الفلسطيني بكافة مستوياته، وأن تبين مواقع الإصابة والخطأ.³ كما لا بد من تفعيل دور أكبر في تعزيز صمود المواطن الفلسطيني ووجوده المقاوم، من خلال بث روح الهوية الوطنية الفلسطينية في نفوس المواطنين.

¹ أبو عيَّاش، رضوان ابراهيم، أثر التطور الاجتماعي والتحدي السياسي على أداء الإعلام الفلسطيني، مرجع سابق، ص 281-293.

² المرجع السابق، ص 334.

³ عبد الكريم، عبير، "التلفزيونات المحلية...برامج محلية أم سرقات فضائية"، مرجع سابق.

المبحث الثالث

انعكاسات العولمة الثقافية على مجتمع الضفة الغربية

العولمة بأبعادها المختلفة وخاصة بعدها الثقافي وما تحمله من أفكار تحريرية وفردية ورأسمالية غربية، لا تخدم سوى المجتمعات الرأسمالية التي تهدف في المقام الأول تحقيق الربح بصرف النظر عن البعد الأخلاقي والإنساني. لذلك ظهرت في المجتمعات النامية ومنها فلسطين - الضفة الغربية - الكثير من المشكلات المتنوعة، نتيجةً للتطور العلمي والمعرفي والتقني الذي رافق العولمة وساهم على انتشار أفكارها ومبادئها وأهدافها بسرعة هائلة، مما أدى إلى فقدان التوازن السليم بين التقنيات الحديثة والحياة الاجتماعية، فأصبح الفرد غير قادر على التكيف أمام هذا الكم الهائل من وسائل التقنية والاتصالية بكل ما تحمله من أفكار ومبادئ غربية، مما انعكس على جوانب المجتمع المختلفة.

ظهرت عادات وتقاليد وسلوكيات خطيرة في المجتمع ومخالفة للدين الإسلامي، من خلال ما تبثه الفضائيات من أفلام وبرامج التسلية والأغاني بطريقة الفيديو كليب، كطقوس الأفراح وتكاليفها الباهظة، والأعياد المستحدثة مثل: عيد الحب، عيد العمال، عيد الميلاد، عيد الزواج....

أضف إلى ما سبق، أن برامج الواقع الذي تبثه الفضائيات كستار أكاديمي ومسابقة ملكات الجمال وغيرها، ساهم في التأثير على العادات والتقاليد، كونها برامج غربية بحله عربية ولكن بمضامين وثقافة غربية تساهم في نشر القيم والعلاقات غير الشرعية بين الجنسين وغيرها، ومع ذلك لاقت مشاهدة ومتابعة واسعتين من جميع الدول العربية وفلسطين، مما شجّع الكثير من الشباب في الضفة الغربية على المشاركة فيها أو حتى تقليدها، حتى وصل الأمر إلى إعداد مسابقة ملكة جمال فلسطين من قبل شركة "تريب فاشن"، وتقدمت للمشاركة فيها 200 فتاة من مدن الضفة الغربية ومناطق الـ48، وتم اختيار 58 فتاة بواقع 32 من الضفة الغربية بخاصة من مدينة رام الله ومن مدن الشمال والجنوب، و 26 من مناطق الـ48. وأشارت سلوى يوسف مديرة الشركة المنظمة للمسابقة أن المتقدمات في سن (18-22) عام خضعن لاختبارات من قبل

مختصين، وأن الفائزة باللقب ستحصل على سيارة موديل 2009، ورحلة عشرة أيام إلى تركيا، ومبلغ 2700 دولار.¹ وتعد هذه المسابقة مخالفة للعادات والتقاليد وللتقافة الفلسطينية المحافظة، كما أن مجرد التفكير في تنظيم المسابقة ومشاركة الفتيات الفلسطينيات فيها يُعد خرقاً للمنظومة الأخلاقية الفلسطينية وامتهاناً لجسد وكرامة المرأة الفلسطينية ونضالها التاريخي، حيث وقفت وما زالت تقف إلى جانب الرجل في سبيل تحرير الأرض المغتصبة. لذلك فإن المجتمع الفلسطيني تم اختراقه ثقافياً عبر وسائل مختلفة أشرنا إليها سابقاً، والهدف من ذلك هو إفراغ المجتمع من هويته وثقافته الوطنية.

ومن جهةٍ أخرى، "الموضة" لم تعد فناً وذوقاً فقط، وإنما أصبحت إنتاجاً وصناعة للأزياء وحتى للفتيات عارضات الأزياء، فالأزياء و"الموضة" تسيطر عليها شركات كبرى تدور في فلك العولمة، وبذلك أصبحت "الموضة" إجبارية وليست اختيارية، ومن لا يجارها يعتبر متخلفاً. كما أن "الموضة" لا تقتصر على الأزياء فقط وإنما تشمل قصّات الشعر ومساحيق التجميل، وغيرها من الكماليات الأخرى.² وعليه انتشرت مظاهر اللباس الغربي لدى الرجل والمرأة مثل الجينز والتنانير والسرراويل والفساتين وغيرها، فالزّي يعكس ثقافة الإنسان ويُعبّر عن هويته، ولكن الجينز لا يُعبّر عن الثقافة المحلية وإنما يُعبّر عن ثقافة معولمة.³ وفي تقرير أعده تلفزيون روسيا اليوم تبين أن المرأة الفلسطينية كغيرها من نساء العالم تواكب الموضة وتلاحق آخر صيحاتها بالرغم من الوضع الاقتصادي والسياسي الفلسطيني السيئ. ففي ظل شكاوي الفلسطينيين من سوء الأحوال الاقتصادية واعتماد الحكومة على المساعدات الدولية إلا أن الضفة الغربية تبدو مع ذلك سوقاً خصبة للسلع ذات العلامات التجارية العالمية والأسعار الخيالية، وفيها نساء لا تختلف عن باقي نساء العالم من حيث الرغبة في التميّز على الرغم من

¹ القدس، "شركة فلسطينية تعلن عن مسابقة لاختيار ملكة جمال فلسطين"، 7 كانون الأول 2009، <http://www.alquds.com/news/article/view/id/139432>

² الجزيرة، برنامج للنساء فقط، "المرأة والموضة في المجتمعات العربية"، <http://www.aljazeera.net/programs/pages/1e52fff6-6b3d-4a11-b79b-c07a9db6c0a6>

³ المرجع السابق.

الواقع المرير، وأن بعض النساء وخاصة الموظفات، ينفقن أكثر من ثلثي الراتب على الأزياء والموضة لطبيعة عملهن.¹

ووفقاً لنتائج استطلاع الرأي بين الشباب الفلسطيني الذي أعده مركز العالم العربي للبحوث والتنمية على عينة مكونة من 1200 شاب/ة فلسطيني/ة في الضفة الغربية وقطاع غزة من الفئة العمرية (18-30) عاماً، أنه "قيماً يتعلق بطبيعة اللباس، فقد صرحت (10%) فقط من الشابات بأنهن يرتدين اللباس العصري، ويظهر الفارق المناطقي جلياً في أن نسبة الشابات اللواتي يرتدين اللباس العصري في الضفة الغربية (13%) أكثر من الشابات اللواتي يلبسن نفس اللباس في قطاع غزة (3%). كما ترتدي (36%) من الشابات غطاءً للرأس ولكن ليس جلباباً كاملاً من بينهن (43%) في الضفة الغربية و(25%) في قطاع غزة. وترتدي (50%) من الشابات ضمن العينة المستطلعة الحجاب الكامل [اللباس الشرعي] بما في ذلك الجلباب منهن (44%) في الضفة الغربية و (62%) في قطاع غزة. كما أظهر الاستطلاع أن نسبة تقارب (4%) من كافة المستطلعات الشابات يرتدين النقاب، إلا أن نسبة مرتديات النقاب في غزة بلغت (10%) مقارنة مع أقل من (1%) بين شابات الضفة الغربية".²

كما أن الرجل لم يفلت من قبضة "الموضة"، فهو يلاحقها كالمراة تماماً، فالشباب اليوم يلبس القميص والجينز الضيق الساحل الذي يكشف الملابس الداخلية بل أحياناً يكشف جزءاً من عورته بطريقة منافية للدين والأخلاق والقيم التي تربي عليها الشعب الفلسطيني، ويصف شعره بطريقة (السبايكي)، ويتابع قصّات الشعر الحديثة والغريبة، وينفق أموالاً كثيرة على الاهتمام بمظهره. والجدير ذكره أن الجينز الساحل ليس سوى صناعة أمريكية، للتشبه بالمجرمين والشواذ، وهي مقدمة لممارسة الشذوذ الجنسي وفاحشة قوم لوط. كانت هذه سراويل تستخدم في السجون خوفاً من الانتحار، فهي سراويل لا تحتاج إلى حزام، ولا يمسكها على الجسم إلا

¹ روسيا اليوم، "المراة الفلسطينية...اهتمام بأخر صيحات الموضة"، http://arabic.rt.com/news_all_news/news/29672

² مركز العالم العربي للبحوث والتنمية، "نتائج استطلاع الرأي بين الشباب الفلسطيني"، الحراك الشبابي - التوجه السياسي - الوضع الداخلي الانتخابات - المفاوضات - الربيع العربي - الاحتياجات والأولويات، 1 شباط 2012. [http://www.awrad.org/pdfs/Youth%20Press%20release%20Arabic%20ffr%20\(2012\).doc](http://www.awrad.org/pdfs/Youth%20Press%20release%20Arabic%20ffr%20(2012).doc)

عظمتي الورك وهذه الرواية الأولى، أما الرواية الثانية: إن إدارة السجون الأمريكية حاولت التقليل من فاحشة قوم لوط، فصنعت سراويل تستر العورة، لكن ما كان من السجناء إلا أن أنزلوا البناطيل لدرجة إظهار العورة كنوع من الإغراء وكذلك تحدي لإدارة السجون.¹ ومن الملاحظ أن الهدف من صناعتها جاء لحفظ السجنين من الانتحار، ولكنها سرعان ما تحولت إلى "موضة" عالمية تهدف إلى إظهار العورة ومقدمة لممارسة الشذوذ الجنسي.

وعليه، فإن هناك انتشاراً واسعاً للملابس الغربية في الضفة الغربية للسجنين، وهذا بسبب غزو الثقافة الغربية عبر الفضائيات والإنترنت...، للثقافة الوطنية والمحلية للمجتمع الفلسطيني. وبفضل أصحاب المحال التجارية الذين يستوردون ما تصنعه الآلة الغربية -بما لا يتلاءم مع الثقافة المحلية الفلسطينية.

كما ويمكن ملاحظة التغيير في أصناف الطعام والوجبات الغذائية في الضفة الغربية، فأصبح متداولاً نظام الوجبات السريعة من كنتاكي، هامبرغر، شنتسل، بيتزا وغيرها، بالإضافة إلى مشروب الببسي والكوكا كولا، كما توجد هناك أنواع جديدة وافدة مثل المعكرونة الإيطالية (السبغتي)، وهذا بفضل الانفتاح الكبير على العالم من خلال الفضائيات والإنترنت وغيرها. وعليه، أصبح الشباب يفضلون الوجبات السريعة التي لا تأخذ الوقت تماشياً مع عصر السرعة، مما يساهم على المدى البعيد بآثار سلبية على الصحة، وفي المقابل فالطبخات الفلسطينية التقليدية كالمسخن والمفتول والدوالي... أصبحت معروفة على المستوى العالمي والإقليمي.

أما بالنسبة لانعكاس العولمة الثقافية على السلوك في الضفة الغربية فيمكن إجمالها بالمظاهر التالية:

¹ الصواف، مصطفى، "الموضة لا تعني منفاة الأخلاق والذوق العام"، فلسطين الآن، 27 كانون الثاني 2012.

<http://paldf.net/forum/showthread.php?p=12599128>

المطلب الأول: التغريب والاعتراب

يُعرف التغريب بأنه سيادة النزعة الغربية، أو الاحتذاء بالغرب (أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية). ومن جهة أخرى يُعرف بالاستيلاء أو الاعتراب؛ أي خلق هوة بين المرء وواقعه، حين تُغلف الذات بمشاعر الغربة والوحشة والانخلاع والانسلاخ واللا انتماء بعد ذلك.¹

ففي ظل العولمة التي تحاول جعل العالم قرية صغيرة بفعل تطور قطاع الاتصالات والتقنية الحديثة، أصبح المجتمع العربي ولا سيما الفلسطيني يعيش أحداث المجتمعات الغربية وكأنها تحدث في مجتمعه، عبر وسائل وتقنيات العولمة الثقافية كالفضائيات والإنترنت والهاتف المحمول والمنظمات غير الحكومية والنخب المعولمة والمال السياسي والتدخل في المناهج التعليمية على مستوى المدارس والجامعات...، التي تهدف إلى غزو المجتمعات ثقافياً من خلال تغريب الأفراد عن عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وقيمهم وآدابهم، واقتلاعها من نفوس أصحابها. لذلك فإن التغريب هو التغيير الذي يحدث في مجتمع غير غربي في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية...، تحت تأثير وسائل وتقنيات العولمة الثقافية، فيتأثر بها أو بجزء منها المجتمع الفلسطيني. وفي ظل تغريب الفرد عن عاداته وتقاليد وقيمته...، يصبح هناك هوة بين المرء المغترب وواقعه، فيحدث الاعتراب.

أما على الصعيد الفلسطيني، فإن ما تم ذكره من وسائل وأدوات وتقنيات العولمة الثقافية وتأثيرها على المجتمع في الضفة الغربية، تُبين أن هناك عادات وتقاليد وقيماً وأعرافاً قد تغيرت وتبدلت وحلت مكانها أفكار وقيم وثقافة غربية، كما أن الطروحات الجارية على صعيد حل القضية الفلسطينية تحت ما يسمى "عملية السلام"، تهدف بشكل عام إلى تحويل الكل الفلسطيني إلى حالة اغترابية، بحيث ينفصل المواطن الفلسطيني عن تاريخه وواقعه وقيمته ومصالحه الوطنية ويتحول في أحسن الأحوال إلى مجرد مستهلك للسلع والمفاهيم الامبريالية الصهيونية،

¹ أبو هيف، عبد الله، "الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به"، مجلة النبأ، ع 63، تشرين الثاني 2001،

<http://annabaa.org/nba63/qazo.htm>

وفي ظل التمويل والدعم الأمريكي للسلطة وللمنظمات غير الحكومية فإنها تسعى إلى إيجاد ما يسمى "اللسطيني الجديد"، البعيد كل البعد عن قضاياهم وهموم شعبه ومصالحه الوطنية.¹

بالإضافة إلى ما سبق، فإن تقنية الإنترنت من خلال ما توفره من مواقع التواصل الاجتماعي عبر العالم الافتراضي، تساهم في زيادة درجة اغتراب الشباب عن الواقع الفلسطيني والحياة الاجتماعية، وبمجرد أن يعود الفرد إلى متطلبات الحياة اليومية يصطدم بالواقع المرير المتمثل بالبطالة وجرائم الاحتلال والحوازر والطرق الالتفافية، والانقسام الفلسطيني...، وعندها ينشأ لدى الفرد شعور بالغربة عن وطنه وهو داخله وعلى أرضه، فتفتقت الروح الوطنية ويضعف الانتماء والولاء للوطن.

ومن مظاهر تغريب الفرد الفلسطيني في الضفة الغربية هو شيوع مبادئ وقيم التحررية والرأسمالية مثل الثقافة الاستهلاكية والفردية والمادية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة وصهينة المفاهيم وغيرها، في ظل تغييب المصالح والقضايا الوطنية، كالحودد واللاجئين والقدس والاستيطان والمصالحة، بالإضافة إلى غياب قضايا الشباب وهمومهم كالبطالة. وعليه، تنشأ ردود فعل كثيرة كالاكتفاء بالغرب وتقليده بكل شيء والانفتاح عليه وهذا ما يتم ملاحظته من خلال تقليد الغرب باللباس والأكل والشرب والعادات والتقاليد، أو الهجرة للخارج بدافع تحسين الظروف المعيشية وهرباً من الأوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، أو التطرف والانغلاق على الذات، وضعف الانتماء والولاء للوطن.

المطلب الثاني: انتشار المدارس والجامعات الأجنبية

تحتوي الدول العربية والإسلامية على العديد من المدارس والجامعات الأجنبية ولا سيما الأمريكية، وتعتبر بؤر تغريب واستعمار ثقافي، تساهم في غرس القيم الأمريكية مثل العنف والفساد... في جميع المراحل والترويج للثقافة وأسلوب الحياة الأمريكية، فضلاً عن انتشار

¹ حمدان، آيات، المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، مرجع سابق، ص 31.

تعاطي المخدرات بكافة أشكالها، بالإضافة إلى انتشار الحديث الجنسي بين الطلاب والطالبات بشكل صريح ومألوف.¹

أما على الصعيد الفلسطيني، فقد انتشرت في الآونة الأخيرة المدارس والجامعات الأجنبية وخاصة الأمريكية في الضفة الغربية، في ظل ازدياد الإقبال للالتحاق بتلك المدارس والجامعات رغم ارتفاع أفساطها الدراسية بشكل كبير جداً، وترجع نادية أبو زاهر* سبب ذلك إلى ما يلي: أولاً، تراجع التعليم الحكومي الفلسطيني الذي يعتبره غالبية سكان الضفة أنه ينشئ أجيالاً متدنيين في مستواهم التعليمي. ثانياً، عدم اهتمام وزارة التربية والتعليم بالبنى التحتية للمدارس الحكومية وخاصة في القرى والأرياف. ثالثاً، مزايا المدارس الخاصة وخاصة في تركيزها على اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية، حيث بات إتقانها شرطاً أساسياً للعمل، بينما في الجانب الحكومي لا يتم الاهتمام باللغة الإنجليزية بالدرجة المطلوبة. فضلاً عن مزايا وأساليب التعليم والتدريس المتقدمة في المدارس الخاصة والتي تفقر إليها المدارس الحكومية.²

ووصفت نادية أبو زاهر التعليم في الضفة الغربية بمثابة نوع جديد من الاستعمار الثقافي بعد أن عجز الاستعمار العسكري عن سلخ الفلسطينيين عن ذاكرتهم ووطنهم، فالمدارس الأجنبية تخرج أجيالاً فلسطينية بعيدة كل البعد عن ثقافتها وتاريخها وانتمائها لفلسطين، بسبب المناهج التي تدس من خلالها أفكار معينة دون أن يدرك الطلبة أو الأهل خطورتها.³

بناءً على ما سبق، فإن المدارس والجامعات الأجنبية ولا سيما الأمريكية في الدول العربية والإسلامية ومن ضمنها فلسطين، ليست سوى سلاح سري أمريكي أيديولوجي لأمركة المجتمعات العربية والإسلامية، فهي تساهم في نشر قيم ومبادئ الرأسمالية والتحررية وترسخ

¹ فتح الله، محمد، "المدارس والجامعات الأجنبية غزو ثقافي أم ضرورة عصرية؟!"، البيان، <http://www.albayan.co.uk/article.aspx?id=1720>

* نادية أبو زاهر: باحثة وكاتبة فلسطينية من مواليد نابلس، وناشطة في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان، نشرت لها العديد من الأبحاث والدراسات، ولها العديد من النشاطات الحقوقية.

² ابراهيم، ماهر، "مدارس اللغات في فلسطين نموذج للعولمة والاستعمار الثقافي"، دنيا الوطن، 2009/9/11. <http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/09/11/141514.html>

³ المرجع السابق.

ضرورة فصل الدين عن الدولة، وتكرس فكرة الدولة العلمانية هي الحل. لذلك فهي تستهدف تغريب وسلخ الأفراد (الطلاب) عن دينهم ولغتهم وتاريخهم، وفي المقابل هناك من يرى فيها بديلاً عن التعليم الحكومي الفاشل وأنه لن يكون هناك تواصل مع التقدم العلمي بدونها في ظل العولمة.¹

المطلب الثالث: انتشار المشاكل الاجتماعية والأخلاقية

للأسرة مكانة عظيمة وأهمية كبيرة في تربية الأجيال وتخريج الرجال والمواطنين الصالحين، وأن بصلاحتها-الأسرة- يصلح المجتمع وبفسادها يفسد، فإذا كانت حصينة ومتينة ومتماسكة ومترابطة يصعب اختراقها، وبالمقابل فإن الأسر المفككة والمنهارة والمتخلخة والمتآكلة من الداخل تساهم بشكل كبير في إفساد أخلاق أفرادها وسوء تربيتهم وتشكل سبباً للأمراض الاجتماعية وأخلاقية كثيرة.

من جهة أخرى، ساهمت العولمة الثقافية بأدواتها ووسائلها ومؤسساتها بشكل أو بآخر بتفكك الأسر وتآكل مستقبل وحدثها، من خلال شاشة صغيرة في غرفة المعيشة، فأصبحت تلك الوسائل من فضائيات وإنترنت وغيرها تمارس دور الأسرة التربوي وتقوم بإشباع رغبات الأفراد المختلفة من قيم وعادات وتقاليد وثقافة ومبادئ بعيدة عن واقعهم. لذلك فقد ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر بجانب تردّي الأوضاع الاقتصادية والسياسية وعوامل أخرى في ظهور مشاكل اجتماعية وأخلاقية لم تُعهد من قبل، أو ساهمت في انتشار بعضها لتصبح كظواهر ملموسة مثل: الزواج العرفي، الدعارة والبغاء، الشذوذ الجنسي، والمخدرات....

أما على الصعيد الفلسطيني، يؤكد الباحثون المختصون في الضفة الغربية أن الزواج العرفي لم يصل إلى حد الظاهرة، ولكن تعالت التحذيرات من خطر انتشاره خاصة في الجامعات. ويرجع السبب في انتشار الزواج العرفي إلى عدة أمور منها: تردّي الوضع الاقتصادي وغلاء المهور -حيث بلغ أعلى مهر 35 ألف دينار أردني وأقلها ديناران، انحسار

¹ إبراهيم، ماهر، "مدارس اللغات في فلسطين نموذج للعولمة والاستعمار الثقافي"، مرجع سابق.

القيم الدينية والاجتماعية، دور وسائل الإعلام في عرض الأفلام والمسلسلات والأغاني الإباحية والمثيرة والتي تستهدف فئة الشباب بالإضافة إلى عدم الوعي بمفهوم الزواج العرفي وخاصة الفتيات.¹

ويشكل الزواج العرفي في الضفة الغربية تمرداً حقيقياً على العادات والتقاليد والأحكام الشرعية، وفيه النفاق واضح على القوانين والشرائع، ويشكل ثوره سلبية على التربية الأسرية، إضافةً إلى كونه يمتن كرامة المرأة ويهدر حقوقها، فهو زواج غير موثق بالمحكمة الشرعية بوجود أو عدم وجود شهود ولا يوجد وليّ أمر، لذلك فهو حرام شرعاً ولا يوجد فرق بين الزواج العرفي والزنا.² على الرغم من ذلك فإن علماء الشرع يرون أن الزواج العرفي السليم من الناحية الشرعية كان متعارفاً عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم؛ فهو يتم بإيجاب وقبول الطرفين وولي الأمر وحضور شاهدي عدل يوقعان على عقد الزواج مع إعلان وإشهار الزواج وعلم الناس به، ولم يكن موثقاً. فالفارق الدقيق بين الزواج العرفي السليم الشرعي والزواج الشرعي السائد حالياً هو التوثيق. أما بالنسبة للزواج العرفي السائد حالياً فهو ليس زواجاً عرفياً بل زواجاً سرياً لأنه يفتقد بعض أو معظم شروط صحة الزواج. وقد ذهب بعض العلماء -مثل: محمد سيد طنطاوي، ويوسف القرضاوي، ومحمد متولي شعراوي- أن ما يتم بين طلاب الجامعات تحت مسمى الزواج العرفي هو زناً، وأنه ليس زواجاً على الإطلاق لا شرعي ولا رسمي ولا عرفي.³

أما بالنسبة للدعارة والبغاء فقد كشف تقرير بعنوان "الاتجار بالنساء والفتيات الفلسطينيات والبغاء القسري: نماذج لعبودية العصر"، أعدته مؤسسة فلسطينية غير حكومية تدعى "سوا" ومدعومة من صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة "يونيفيم". واستعرضت

¹ إبراهيم، ماهر، "الزواج العرفي في الأراضي الفلسطينية"، دنيا الوطن، 2009/7/10. <http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/07/10/139468.html>

² المرجع السابق.

³ عبد الله، معتز سيد، يوسف، جمعة سيد، الزواج العرفي واقعه وآثاره النفسية والاجتماعية، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية- كلية الآداب، 2004، صص 54-55.

http://mgohary.net/Images/Publication/File_254.pdf

دراسات حالة اثنتان منها لأبوين باعا بناتهما، وثلاث حالات لممارسي الاتجار، وحالة لامرأة تعمل في البغاء، مع التركيز على مسارات الاتجار المحتملة: من إسرائيل إلى الضفة الغربية، ومن الضفة الغربية إلى إسرائيل والقدس الشرقية، وداخل الضفة الغربية، ومن قطاع غزة إلى إسرائيل. وحسب دراسات الحالة في التقرير فإن غالبية الضحايا في أوائل العشرين من العمر، وطالبات جامعات، وأن معظمهن سبق وأن تعرضن لإساءة وعنف وترك التعليم مبكراً في ظل مشاكل أسرية، بالإضافة إلى أن غياب الأمن الاقتصادي وارتفاع مستويات البطالة والفقر تلعب دوراً رئيسياً في دفع الفتيات والنساء لممارسة البغاء والدعارة أو جعلهن معرضات بشدة للاستغلال.¹

ويعد هذا التقرير بما يحتويه من دراسات الحالة الست خروجاً عن المألوف، ولا يوجد دراسات سابقة تناقش هذا الموضوع وتدعمه بوثائق وروايات موثوقة، فهذه القضايا تعد حساسة بالنسبة للمجتمع الفلسطيني ولا توجد إحصاءات ونسب عن عدد بيوت الدعارة والفتيات والنساء التي تعمل بهذا المجال. وكذلك الحال حول دراسة حالات الشذوذ الجنسي، فلا يوجد دراسات أو نسب وإحصاءات حول هذه القضية، ولكن طبيعة المجتمع الفلسطيني المحافظ تحد من وجود دراسات من هذا النوع.

أما بالنسبة لظاهرة انتشار المخدرات فقد أشار الباحثون والمختصون بأنها أصبحت تشكل آفة في المجتمع الفلسطيني وليست مجرد ظاهرة، فانتشار تعاطي وإدمان المخدرات في مدينة القدس يعتبر من أعلى النسب عالمياً. وأوضح حسني شاهين الأمين العام للهيئة الوطنية العليا لمكافحة المخدرات أن نحو 2.4% من إجمالي سكان مدينة القدس يتعاطون المخدرات، وأشار إلى وجود نحو عشرة آلاف مدمن، و60 ألف متعاطٍ للمخدرات في الضفة الغربية نصفهم من سكان مدينة القدس وضواحيها.²

¹ جمعية "سوا" - كل النساء معاً اليوم وغداً، الاتجار بالنساء والفتيات الفلسطينيات والبغاء القسري: نماذج لعبودية العصر، بدعم من صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة "يونيفيم"، حزيران/يونيو 2008. <http://samanews.com/uploads/091210070318cd4w.pdf>

² بني عودة، غازي، "مختصون: تعاطي المخدرات في القدس يفوق معظم النسب العالمية والاحتلال هو المسؤول الأول عن تفشي الظاهرة، خلال يوم علمي في "النجاح" حول مكافحة المخدرات، د.ت. - <http://www.al-ayyam.com/printpreview.aspx?did=38555>

ويرجع الباحثون السبب في ازدياد انتشار تعاطي وإدمان المخدرات في المجتمع الفلسطيني إلى دور الاحتلال الإسرائيلي في نشر وترويج المخدرات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وخاصة في المدن المختلطة أو التي يختلط سكانها على نطاق واسع بالإسرائيليين. وتعتبر المدن القريبة من الخط الأخضر الأكثر معاناة من انتشار المخدرات كمدن: قلقيلية، طولكرم، جنين، القدس،¹ وأن الهدف الإسرائيلي الرئيسي من وراء انتشار المخدرات بين أوساط المجتمع الفلسطيني هو ضرب الإنسان الفلسطيني في الصميم من أجل أن يسقط في شرك العمالة للعدو، بالإضافة إلى دور تعاطي وإدمان المخدرات في تفكيك النسيج الاجتماعي بأسره. وبالتالي فهي ظاهرة تسهل مهمة إسرائيل في التعامل مع سكان ضائعين وتائهين وحيارى، مما يساهم في تشكيل مواطن فلسطيني بعيد كل البعد عن القضايا الوطنية، لذلك فإنها لم تعد قضية اجتماعية تهدد الأخلاق والقيم بحسب، بل أصبحت هماً وطنياً شاملاً.² إسرائيل تتبع خطة ممنهجة ومدروسة تسعى من خلالها إلى تحويل أبناء المجتمع الفلسطيني وخاصة في القدس إلى أفراد فاقدى الانتماء والولاء لأسرهم أو وطنهم، وفاقدى القيم الإنسانية والأخلاقية والثوابت الاجتماعية التي تؤلف بين الناس، مما يساهم في إهدار طاقات المجتمع الفلسطيني بين مدمن ومتعاطٍ ومروجٍ ومهربٍ ومدمرٍ نفسي.³

¹ بني عودة، غازي، "مختصون: تعاطي المخدرات في القدس يفوق معظم النسب العالمية والاحتلال هو المسؤول الأول عن تفشي الظاهرة، مرجع سابق.

² أبو النجا، جبر، "الخطر الاجتماعي الذي يهدد مدينة القدس"، وكالة أسوار برس الإخبارية، 2010/6/6.

<http://www.aswarpress.com/ar/news.php?maa=View&id=8390>

³ المرجع السابق.

المبحث الرابع

آثار العولمة الثقافية في الضفة الغربية

العولمة الثقافية خليط من الإيجابيات والسلبيات لكونها تحمل في طياتها نموذجين: الأول، موضوعي لا مفر للإنسان من التعامل بمنجزاتها حيث أصبح من الضروري اقتناؤها مثل: الإنترنت، الهاتف المحمول، الفضائيات وغيرها. أما النموذج الثاني وهو الذاتي (الأمركة) والذي يهدف إلى إحلال ثقافة وفكر الولايات المتحدة الأمريكية محل الثقافة العالمية المتنوعة من خلال العديد من الوسائل والأدوات والمؤسسات والسلع الثقافية (النموذج الموضوعي).

المطلب الأول: الآثار الإيجابية

- أ- إحداث تغييرات نوعية في أنماط ومستويات الخدمة الإخبارية التي تقدمها وسائل الاتصال عبر الأقمار الصناعية والإعلام الإلكتروني، مما يساهم في عرض القضية الفلسطينية على العالم بشكل واضح مع إظهار الحق في العودة إلى الأرض والوطن.
- ب- تفتح العولمة الثقافية بكافة وسائلها ومنجزاتها قنوات اتصال قوية بين دول العالم تشكل في مجملها انسياب المعارف والمعلومات وتبادلها بين الدول.
- ت- مواكبة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، لذلك فهي تساعد المواطن على التحرر من قيود الإعلام الرسمي المحدودة وانفتاحه على عدد هائل من القنوات الفضائية العالمية، مما يساهم في تنمية المعارف والمدارك للفرد وتطوير وعيه.
- ث- تساهم في نشر الدين الإسلامي في كافة دول العالم من خلال التلفاز والقنوات الفضائية والإنترنت.*

* هناك بعض القنوات الفضائية الدينية الإسلامية تعاني من فوضى الفتاوى والبدع والخرافات التي تساهم في إحداث بلبلة فكرية للفرد المسلم وتزج به في مصافي الانعزال والتطرف والتعقيد.

ج- كشفت منجزات العولمة الثقافية الوجه الحقيقي للدول الرأسمالية والاستعمارية في سبيل السيطرة على الدول النامية وثرواتها.

المطلب الثاني: الآثار السلبية

أ- الثقافة الاستهلاكية

بناءً على إحصاءات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني فقد بلغ متوسط استهلاك الفرد الشهري من السلع والخدمات التي تستخدم لأغراض المعيشة في الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي 155.2 ديناراً أردنياً، بواقع 183.1 ديناراً أردنياً في الضفة الغربية مقابل 108.7 ديناراً أردنياً في قطاع غزة. وقد بلغ متوسط استهلاك الفرد من الطعام 55.3 ديناراً أردنياً بواقع 61.8 ديناراً أردنياً في الضفة الغربية مقابل 44.4 ديناراً أردنياً في قطاع غزة، أما متوسط استهلاك الفرد من غير الطعام 99.9 ديناراً أردنياً، بواقع 121.3 ديناراً أردنياً في الضفة الغربية مقابل 64.4 ديناراً أردنياً في قطاع غزة.¹ كما أن كثرة المطاعم والمراكز والمحلات التجارية التي تملأ الأسواق الفلسطينية تدل على نمو الثقافة الاستهلاكية بين أوساط المجتمع الفلسطيني.

ب- انتشار القيم والعادات الغربية

هناك انتشار واسع للقيم والعادات الغربية الرأسمالية والتحررية القائمة على المادية والفردية مثل: الأنانية والثقافة الاستهلاكية، والعنف والجرائم والمخدرات والشذوذ الجنسي والعلاقات الجنسية غير الشرعية.

ت- ازدياد معدلات الهجرة

بيّنت نتائج مسح الهجرة الأول في الضفة الغربية وقطاع غزة الذي أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن أكثر من 7 آلاف مهاجر للخارج سنوياً، وأوضحت نتائج

¹ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، مرجع سابق، ص 111.

المسح أن حوالي 32 ألف هاجروا للإقامة خارج الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة 2005-2009، علماً أن هذا العدد لا يشمل الأسر التي هاجرت بالكامل، كما بينت النتائج أن الشباب هم أكثر هجرة للخارج مقارنة بغيرهم من السكان، وأوضح المسح أن من كل 100 مهاجر هاجر منهم 24 إلى الأردن، ونحو 20 هاجروا إلى دول الخليج العربي، مقارنة بنحو 22 مهاجراً هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أما بالنسبة للدوافع الرئيسية للهجرة فقد تبين أن حوالي ثلث المهاجرين هاجروا بهدف الدراسة، في حين كان الدافع الرئيسي لنحو 15% من المهاجرين هو تحسين مستوى المعيشة، ونحو 14% هاجروا لعدم توفر فرص العمل. ومن جهة أخرى بينت النتائج أن أكثر من ثلث إجمالي المهاجرين تحصيلهم العلمي بكالوريوس فأعلى، كما أن أكثر من ثلث المهاجرين حاصلين على شهادة الثانوية العامة، حين لم تتجاوز نسبة المهاجرين ممن لا يحملون أي مؤهل علمي 1% من إجمالي المهاجرين.¹

ث- إضعاف مشروع الدولة الفلسطينية المستقبلية

تساهم المنظمات غير الحكومية ذات التمويل الغربي الممثلة بالنخب الفلسطينية المعولمة التي تعتبر أداة ووكيلة عن الجهات الممولة الخارجية، ببث ثقافة الممول الغربي بين مختلف أوساط وشرائح المجتمع الفلسطيني من خلال طرح أفكار وثقافة عالمية مرتبطة بالواقع المحلي، حيث أنه لا يوجد أجنداث عالمية مفصولة عن الأجندة الوطنية، والأجندة التي طبقت في فلسطين هي بالنصف بين أجندة عالمية وأجندة وطنية وذلك من أجل تمكين المنظمات غير الحكومية على حساب الدولة، بمعنى إضعاف الدولة وتقوية المنظمات الأهلية، فدم قطاعات الصحة والديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة، تعتبر قطاعات اهتم بها المانحون وفي نفس الوقت هي قطاعات ضرورية للشعب الفلسطيني، ولكن من أجل إضعاف دور مشروع الدولة الفلسطينية المستقبلية، والدليل على ذلك، دعم المنظمات غير الحكومية التي تعنى بالمجال الزراعي

¹ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، نتائج مسح الهجرة الأول في الأراضي الفلسطينية 2010، 2010/12/27، <http://www.pcbs.gov.ps/DesktopModules/Articles/ArticlesView.aspx?tabID=0&lang=ar-JO&ItemID=1601&mid=12236>

بميزانية تفوق الميزانية المُعدة لوزارة الزراعة.¹ فالمنظمات غير الحكومية والنخب المعولمة تقوم بالتدخل بالقرارات السياسية الفلسطينية كالانتخابات الرئاسية والتشريعية، وخوض عملية التفاوض مع الكيان الصهيوني، وتشكيل الحكومة الفلسطينية...، لتنسجم مع الرؤية الأمريكية والصهيونية في تنفيذ مخططاتها بخاصة حماية أمن إسرائيل وجعلها جزءاً لا يتجزأ من المنطقة الإسلامية والعربية، وتحول دون إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف.

ج- صهيونية وأمركة المفاهيم الوطنية الفلسطينية

قامت وسائل وأدوات ومؤسسات وتقنيات العولمة الثقافية بأمركة وصهيونية المفاهيم الوطنية الفلسطينية، فهدفت إلى تزييف الوعي وقلب الحقائق لصالح الكيان الصهيوني، لذلك فقد كان لوسائل الإعلام العالمية والعربية الأثر الأكبر في الترويج لمفاهيم صهيونية وأمريكية لتحل محل المفاهيم والمصطلحات الوطنية الفلسطينية لتشتيت الرأي العام العالمي والتستر على جرائم الاحتلال الصهيوني وممارساته ضد الفلسطينيين. وقد تم الترويج لمفهوم عملية انتحارية أو تخريبية أو إرهابية مقابل عملية استشهادية، وبعض وسائل الإعلام أطلقت مفهوم القتل مقابل الشهيد، ومقتل أو مصرع مقابل استشهاد، بالإضافة إلى استبدال عملية التفاوض بعملية السلام، وفلسطين استبدلت بالضفة الغربية وقطاع غزة، واستبدل حق العودة بقضية اللاجئين، وحل مصطلح المستوطنات مكان المستعمرات، والطرق الالتفافية مقابل طرق المستعمرات، والمخصوم مقابل الحاجز. كما هدفت إلى إسقاط حق الشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه من خلال استهداف المقاومة والترويج بأنها إرهاب حسب المعايير الدولية.

ح- محاربة اللغة العربية

اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية ولغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وكانت ولا تزال لغة العقيدة والدين الإسلامي لأكثر من مليار مسلم، وهي اللغة الرسمية في كل دول العالم العربي، فهي عنوان الأمة العربية. وقد تنبه الاحتلال الإسرائيلي ومن قبله الاستعمار

¹ حنفي، ساري، طبر، ليندا، بروز النخبة الفلسطينية المعولمة الماتحون، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية المحلية، مرجع سابق، ص ص 207-221.

الغربي، لأهمية اللغة العربية فعمد جاهداً منذ اليوم الأول لاحتلاله الضفة الغربية عام 1967م بشكل عام والقدس بشكل خاص محاربة اللغة العربية، فاتخذ الكثير من الإجراءات على المستوى العلمي أو الاقتصادي من أجل تعلم الفلسطينيين للغة العبرية.¹ كما أن اللغة العربية في الضفة الغربية لم تفلت من العولمة الثقافية ووسائلها وتقنياتها التي ساهمت بشكل أو بآخر بطمس بعض ملامحها وانتشار الحديث باللغة العربية يتخلله بعض الكلمات أو الجمل باللغة الإنجليزية أو عبري أو فرنسي وغيرها على أساس الحداثة والعصرنة ومواكبة التطورات التقنية والعلمية. بالإضافة إلى تحوّل السوق التجاري الفلسطيني إلى سوق غربي تملأه لوحات الإعلانات ذات اللغة الإنجليزية، فضلاً عن احتواء المطاعم والفنادق على لوحات طعام مكتوبة باللغة الإنجليزية، واحتوائها على الموسيقى الغربية الصاخبة. لذلك فإن اللغة العربية في فلسطين تعاني من خطر طمس معالمها وأصالتها ورقّيها عبر سياسات صهيونية وغربية مبرمجة، ففقدان اللغة يساهم في فقدان الهوية وضياعها في الفضاء العالمي، وعليه يصبح الفرد بلا انتماء لوطنه وأمتة بفقدانه لغته الأصيلة.

¹ حمودة، نبيل، "اللغة العربية في القدس بين الازدهار والاندثار"، جريدة القدس، الأربعاء، 2011/12/14، ص18.

النتائج والتوصيات

نتائج الدراسة

حاولت الدراسة من خلال تناولها وتفحصها للعولمة الثقافية وتأثيرها على مجتمع الضفة الغربية، اشتقاق المخرجات والنتائج الواقعية التي أسفرت عنها العولمة الثقافية بملاحظتها ومظاهرها في الضفة الغربية. لمحاولة دعم فرضيتي الدراسة والتي تدعي بأن "العولمة الثقافية تعزو الضفة الغربية وتحدث تأثيرات في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع الفلسطيني" وأن "العولمة الثقافية تحل تدريجياً محل الثقافة العربية في الضفة الغربية". هذا وقد نجحت الدراسة في دعم مصداقية الفرضيتان من خلال ما ظهر من استنتاجات ومخرجات، والتي هي كما يلي:

1. يعود تاريخ نشوء مفهوم العولمة لفترة زمنية قديمة تعود لتاريخ الاستعمار، وتطور الأمر إلى أن ظهر الاستعمار الغربي بأشكاله الحديثة الذي أراد السيطرة على الشرق بوسائل جديدة أكثر وعياً وأشد حذراً من السابق. أما مصطلح العولمة فقد ظهر في تسعينيات القرن العشرين، أي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991م وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم.

2. هناك تعريفات كثيرة ومختلفة للعولمة بعدد الباحثين والدارسين الذين تناولوها في بحوثهم ودراساتهم، لذلك لا يوجد تعريف شامل وجامع للعولمة، ولكن القاسم المشترك بينها هو تأكيدها فكرة دمج كل المجالات الحياتية في نسق ونظام عالمي واحد.

3. تسعى العولمة في أبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية إلى رسملة العالم ثم لبرلته ثم علمنته وأخيراً أمركتته من خلال بناء نموذج غربي -تتبناه شعوب العالم أجمع، ويعتمد على نشر قيم تحررية (ليبرالية) رأسمالية- تتحكم به وتقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

4. العولمة الثقافية هي عملية أيولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم وأمركتته، بهدف تعميم النمط الحضاري الثقافي الأمريكي على بلدان العالم أجمع بالاعتماد على المؤسسات الاقتصادية الدولية، والمنجزات التقنية ووسائل الاتصالات والمعلوماتية والإعلامية

بالإضافة إلى دور المنظمات غير الحكومية والشركات عابرة القارات المنتشرة في كافة الدول.

5. تأثرت فلسطين بالعولمة كغيرها من الدول النامية ولكن بشكل مضاعف، وذلك بحكم القيود التي تفرضها الدول الغربية من خلال المال السياسي المتمثل في شبكة المساعدات التي تقدمها للفلسطينيين (سلطةً ومنظمات غير حكومية ومؤسسات وأفراد) لمنح الحريات وإتاحة المجال أمام الديمقراطية وفق المعايير الغربية، بالإضافة إلى القيود التي يفرضها الكيان الصهيوني المرتبط بالمشروع الرأسمالي الإمبريالي الغربي العالمي.

6. تُعرّف العولمة الثقافية فلسطينياً بأنها: مشروع استعماري جديد يهدف إحلال الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية محل الثقافة والهوية الوطنية الفلسطينية والعربية.

7. هناك انخفاضٌ في مستوى الوعي بالحقائق والمفاهيم الحديثة كالعولمة وتجلياتها المختلفة على الرغم من شيوع ملامحها ومظاهرها بين أوساط المجتمع الفلسطيني: كالنخب المعولمة ومظاهر الديمقراطية والنسوية وفق المعايير الغربية، والانفتاح على بعض وسائل التقنية المختلفة مثل الإنترنت والهاتف المحمول والفضائيات....

8. نشأت النخب المعولمة الفلسطينية في أحضان المنظمات غير الحكومية ذات التمويل الغربي، وتؤثر تأثيراً كبيراً على تفكير وثقافة المواطن الفلسطيني وتشكل آرائه بما يتلاءم مع الرؤية الغربية والصهيونية.

9. التعليم الفلسطيني يواجه تحديات مضاعفة ومركبة؛ فهو يعاني من ضغوط العولمة والتغيرات السياسية والاقتصادية والتقنية والثقافية في العالم من جهة، ومن جهةٍ أخرى، سيطرة الاحتلال الإسرائيلي الذي يتدخل في كل جزئية من جزئيات الحياة اليومية الفلسطينية في ظل تعاون دولي غربي.

10. المناهج المدرسية الفلسطينية كانت عرضةً للتدخل والتدقيق الشديدين من قبل العديد من مراكز الأبحاث العالمية والصهيونية لعدم خلق "ثقافة معادية" لإسرائيل بهدف الحفاظ على

الكيان الصهيوني، وربط الفلسطيني بالنظام العولمي من خلال التركيز على القيم التحررية (الليبرالية) كالأعنف، والحريات الفردية، والمساواة، والحوار وحقوق المرأة والديمقراطية... وفق المعايير والمضامين الغربية.

11. تُعتبر الجامعات الفلسطينية اليوم مؤسسات استهلاكية للبرامج والمناهج الغربية دون الموازنة مع احتياجات ومتطلبات المناخ التنموي المطلوب فلسطينياً. فالبرامج الجامعية التي تطرح حالياً جاءت عبر املاءات وضغوطات خارجية تتلاءم مع السوق والاقتصاد الرأسمالي، فنتحول الجامعة في ظل العولمة إلى مجرد مركز رأسمالي يُسوّق للتعليم الموجّه.

12. تُعتبر تقنيات العولمة الثقافية (كالإنترنت، الهاتف المحمول، الفضائيات) جزءاً لا يتجزأ من تفاصيل الحياة اليومية ولا يمكن الاستغناء عنها في مجارة الأحداث المحلية والإقليمية والعالمية، ولكن الاستخدام السلبي لها يعكس تأثيرات ثقافية ونفسية غير مرغوب بها بين أوساط الشباب العربي والفلسطيني بخاصة، كالتأثر بالثقافة الغربية التي تتحدث عن الرفاهية المتريدة، والثقافة الاستهلاكية، وعن العلاقات الجنسية التي لا تحكها قيم أو قوانين اجتماعية مما يوقع أعداد كثيرة من الشباب في مصافي البحث عن اللذات محلياً ودولياً ومن ثم الانغماس في العزلة الاجتماعية-أثناء قضاء الساعات الطويلة أمام التلفاز أو الإنترنت- والانغلاق على النفس، وشعور الفرد بالاغتراب في وطنه مما ينعكس على الهوية الوطنية والقومية.

13. ساهمت وسائل وأدوات وتقنيات العولمة الثقافية في إحداث تغييرات كثيرة في الضفة الغربية، فتبدلت عادات وتقاليد وقيم وأعراف فلسطينية كالعفة والخلق الحسن والكرامة واحترام الوالدين وتماسك الأسرة... وحلّت مكانها أفكار وقيم وثقافة غربية كطقوس الأفراح الباهظة والأعياد المستحدثة كعيد الحب، وانتشار الثقافة الاستهلاكية بين أوساط الشباب الفلسطيني...، تهدف بشكل عام في تحويل الكل الفلسطيني إلى حالة اغترابية، فينفصل المواطن الفلسطيني عن تاريخه وواقعه وقيمه ومصالحه الوطنية ويتحول في أحسن الأحوال إلى مجرد مستهلك للسلع والمفاهيم الإمبريالية الصهيونية في ظل التمويل

والدعم الأمريكي للسلطة وللمنظمات غير الحكومية لإيجاد ما يسمى ب"ال فلسطيني الجديد".

14. ساهمت العولمة الثقافية في هجرة أعداد كبيرة من الشباب الفلسطيني خاصة من حملة المؤهلات العلمية العالية، للبحث عن وسائل معيشية واقتصادية جديدة تؤمن لهم ظروف حياتية تحاكي الحياة الغربية التي رسمتها وسائل العولمة الثقافية.

توصيات الدراسة

بعد التوصل إلى النتائج والمخرجات السابقة والتي تدعم مصداقية فرضيتي الدراسة، توصلت الباحثة إلى التوصيات التالية:

1. ضرورة توفير الحماية للمجتمع الفلسطيني (الأسرة، المدرسة، الجامعة، التنظيمات، المؤسسات...) وتحصينه من مظاهر العولمة الحديثة والتي تتسم بالسلبية، والتي بدأت تنخر المجتمع الفلسطيني وأجياله الناشئة والتأثير عليهم في مختلف مناحي الحياة.
2. ضرورة بث الوعي الوطني والقومي في المجتمع الفلسطيني، من أجل خلق حالة من الرجوع للأساسيات التي تحافظ على الثقافة والهوية وذلك يبدأ باللغة وآدابها والتاريخ وأصوله.
3. ضرورة فرض مزيد من الرقابة على تكوين المنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، والتي تنشأ بأفكار وتمويل خارجي.
4. ضرورة البدء بالعمل على خلق وإيجاد العقل الفلسطيني الجمعي، وهو الوحيد القادر على مواجهة آثار العولمة ثقافية كانت أم سياسية.
5. ضرورة فرض رقابة على مواقع الإنترنت الإباحية والمواقع التي تستهدف التواصل الاجتماعي بغرض جمع معلومات أمنية أو استخباراتية عن الأفراد والتنظيمات والعائلات الفلسطينية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

الرسائل المتبادلة بين الرئيس الراحل ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل اسحق رابين حول اتفاق الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل،
1992/9/9.

السلطة الوطنية الفلسطينية، القانون الأساسي المعدل لسنة 2003، رام الله: 2003.

المادة الثانية والعشرون: من بنود المجلس الوطني الفلسطيني التي صادق المجلس الوطني الفلسطيني في غزة عل إلغائها بحضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في
1994/12/14م، وفقاً لاتفاقية واي بلاتيشن.

المادة الحادية والعشرون: تسوية النزاعات والخلافات، وثيقة الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني
الانتقالي في الضفة الغربية وقطاع غزة، واشنطن، 1995/9/28م.

المراجع

أبو أصبع، صالح وآخرون: العولمة والهوية (أوراق المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب
والفنون)، تحرير: صالح أبو أصبع، عز الدين المناصرة، محمد عبيد الله ، عمان: دار
المجدلاوي للنشر والتوزيع، 2002، ط2.

أبو عيَّاش، رضوان ابراهيم: أثر التطور الاجتماعي والتحدي السياسي على أداء الإعلام
الفلسطيني، رسالة دكتوراة منشورة، جامعة عين شمس 2008، مطبعة المنار الحديثة،
2009.

البشر، بدرية: وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي دبي والرياض أنموذجان، بيروت :
مركز دراسات الوحدة العربية ، أيار / مايو 2008.

بلفزيز، عبد الإله: العولمة والممانعة دراسات في المسألة الثقافية، المعرفة للجميع ، ع4، 1999م.

ثابت، أحمد وآخرون: العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني/يناير 2003.

الجابري، محمد عابد وآخرون: العولمة وأزمة الليبرالية الجديدة ، إشراف: محمد عابد الجابري، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009.

جاد، إصلاح: نساء على تقاطع طرق - الحركات النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الإسلامية، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2008.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فلسطين في أرقام 2010، رام الله، أيار/مايو 2011.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2011، رام الله، كانون الأول/ديسمبر 2011.

حمدان، آيات: المساعدات الخارجية وتشكيل الفضاء الفلسطيني، رام الله: مركز بيسان للبحوث والإنماء، كانون الأول/2010.

حنفي، حسن وصادق جلال العظم: ما العولمة؟، دمشق: دار الفكر، 1999.

حنفي، ساري ليندا طبر: بروز النخبة الفلسطينية المعولمة المانحون، والمنظمات الدولية، والمنظمات غير الحكومية المحلية، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، ومؤسسة الدراسات المقدسية، 2006.

الدليمي، عبد الرزاق محمد: الإعلام والعولمة، عمان: مكتبة الرائد العلمية، 2004.

دودين، محمود موسى عيسى: العولمة بين الوهم والحقيقة، الخليل، 2004.

رجب، مصطفى: العولمة ذلك الخطر القادم أسبابها-تداعياتها الاقتصادية - آثارها التربوية، عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2009.

سمك، نجوى وآخرون: دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة الخبرتان المصرية واليابانية، تحرير: نجوى سمك والسيد صدقي عابدين، القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ جامعة القاهرة، 2002.

السيد، عاطف: العولمة في ميزان الفكر - دراسة تحليلية، الاسكندرية: مطبعة الانتصار، 2001.

الشبيبي، محمد: صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، لبنان: دار العلم للملايين، كانون الثاني/ يناير 2002.

الشلبي، ياسر وآخرون: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، القدس: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، 2001.

الشيخ عبد الرحيم (محرراً): المنهاج الفلسطيني إشكالات الهوية والمواطنة، رام الله: مواطن (المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية)، 2008.

عبد الرحمن، عبد الله محمد والسيد رشاد غنيم، مدخل علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2008.

العربية، تحرير: أسامة أمين الخولي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، نيسان/إبريل 2000.

فارنيي، جان بيير: عولمة الثقافة، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2003.

الفتلاوي، سهيل حسين: العولمة وآثارها في الوطن العربي، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2009.

قابل، محمد صفوت: **الدول النامية والعولمة**، القاهرة: الدار الجامعية، 2004.

قاسم، عبد الستار: **قبور المنقفين العرب**، نابلس: دم، 2006.

كيالي، ماجد: **مشروع الشرق الأوسط الكبير دلالاته وإشكالاته**، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2007.

كينج، أنطوني: **الثقافة والعولمة والنظام العالمي**، ترجمة: شهرت العالم، هالة فؤاد، محمد يحيى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2001.

مارتين، هانس بيتر وهارالد شومان: **فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة وتقديم: عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، الكويت: عالم المعرفة، أغسطس/ 2003.

المالكي، مجدي وياسر شلبي وحسن لدادوة، **تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة 2007**، رام الله: معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينية (ماس)، 2008.

المراشدة، يوسف: **العولمة وأثرها على العالم العربي مشروع الشرق الأوسط الكبير**، أريد: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2007.

معياري، محمود: **الثقافة السياسية في فلسطين "دراسة ميدانية"**، تعقيب: على الجرباوي و باسم الزبيدي، جامعة بيرزيت: معهد ابراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، 2003.

هلال، جميل: **الطبقة الوسطى الفلسطينية، بحث في فوضى الهوية والمرجعية والثقافية**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2006.

يسن، السيد وآخرون: **العرب والعولمة** - بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة

يسن، السيد: العالمية والعولمة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

رسائل ماجستير

حامد، قصي أحمد حسن: دور الولايات المتحدة الأمريكية في إحداث تحول ديمقراطي في فلسطين (ولاية الرئيس جورج بوش الابن 2001-2006)، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح الوطنية/ كلية الدراسات العليا، 2008.

عرفات، حنان ظاهر: أثر اتفاق أوسلو على الوحدة الوطنية وانعكاسه على التنمية، رسالة ماجستير غير منشورة، نابلس: جامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا، 2005.

المواقع الإلكترونية

ابراهيم، ماهر: "الزواج العرفي في الأراضي الفلسطينية"، دنيا الوطن، 2009/7/10.
<http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/07/10/139468.html>

ابراهيم، ماهر: "مدارس اللغات في فلسطين نموذج للعولمة والاستعمار الثقافي"، دنيا الوطن، 2009/9/11.

<http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/09/11/141514.html>

أبو النجا، جبر: "الخطر الاجتماعي الذي يهدد مدينة القدس"، وكالة أسوار برس الإخبارية، 2010/6/6.
<http://www.aswarpress.com/ar/news.php?maa=View&id=8390>

أبو هيف، عبد الله: "الغزو الثقافي والمفاهيم المتصلة به"، مجلة النبأ، ع 63، تشرين الثاني 2001.
<http://annabaa.org/nba63/qazo.htm>

الأسرج، حسين عبد المطلب: سياسات تنمية الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الدول العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: جامعة الزقازيق، د.ت،
http://depot.gdnet.org/newkb/fulltext/Elasrag_fdi_Arab_countries.pdf

إسماعيل، عمر شعبان: "حول التمويل المشروط، التنمية البشرية والاستقلال"، دنيا الوطن،
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2004/09/07/9435.html، 2004/9/7

الأهدل، سامي شرف: "أمريكا ومشروع الشرق الأوسط الجديد...دراسة تحليلية للمشهد"، النبأ
نيوز، 2011/9/3. http://www.nabanews.net/2009/34628.html

أويجا، يوسف: "الخصوصيات الثقافية في مهب العولمة الثقافية- الأمازيغية نموذجاً"، في:
الحوار المتمدد، ع 3170، 2010/10/30.

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233641

البرازي، فائز: "الشرق الأوسط الكبير وقمة الثماني"، الحوار المتمدد، ع 763، 2004/3/4،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=15427

برماوي، أحمد: "حملة جمع توقيعات مليونية على الفيس بوك لحجب المواقع الإباحية"، المصري
اليوم، ع 2529، 2011/5/17، أنظر الرابط: http://www.almasry-

alyoum.com/article2.aspx?ArticleID=297090&IssueID=2138

بلعمري، عادل: "الثقافة والمجتمع"، الحوار المتمدد (ع 2924، 2010/2/21).

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=204612

بني عودة، غازي: "مختصون: تعاطي المخدرات في القدس يفوق معظم النسب العالمية
والاحتلال هو المسؤول الأول عن تفشي الظاهرة، خلال يوم علمي في "النجاح" حول

مكافحة المخدرات، د.ت. http://www.al-

ayyam.com/printpreview.aspx?did=38555

بولس، جريس: "مشروع الشرق الأوسط الكبير أو الجديد"، 2011/11/24،

http://www.panet.co.il/online/articles/63/68/S-479113,63,68.html

حمادي، إلهام مكي: "تحولات مفهوم النسوية"، جريدة الصباح، 2011/7/26،

<http://www.alsabaah.com/ArticleShow.aspx?ID=11115>

حمودة، نبيل: "اللغة العربية في القدس بين الازدهار والاندثار"، جريدة القدس، الأربعاء،

<http://www.alquds.com/pdfs/pdf-docs/2011/12/14> ص18. 2011/12/14

[/page18.pdf](#)

خدام، منذر: "منظمة التجارة العالمية-المخاض الصعب"، الحوار المتمدن، ع 815،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=17379>، 2004/4/25

الداغستاني، رديف شاكري: "منظمات المجتمع المدني والعولمة"، الحوار المتمدن، ع 1589،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=68001>، 2006/6/22

ديفوير، جوزيف وعلاء الترتير: "أوروبا أكبر المانحين للسلطة والمنظمات غير الحكومية

الفالسطينية"، دراسة أعدها مركز تطوير المؤسسات الأهلية الفلسطينية بالتعاون مع معهد

أبحاث السياسات الاقتصادية "مأس"،

http://www.malaf.info/?page=ShowDetails&Id=14697&table=p_a_documents&CatId=31

uments&CatId=31

الربيعي، صاحب: "دور اللغة في التواصل الحضاري"، الحوار المتمدن، ع 1501،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=60544>، 2006/3/26

رحيم، سعد محمد: "الإعلام والعولمة: كيف يحولنا الإعلام؟"، الحوار المتمدن، ع (1395)،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=51935>، 2005/12/10

رحيم، سعد محمد: "العولمة والإعلام...ثقافة الاستهلاك..استثمار الجسد وسلطة الصورة"،

الحوار المتمدن، ع (1275)، 2005/8/3،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=42345>

الرقب، صالح حسين: العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، ص ص 9-10،

<http://www.drsregeb.com/index.php?action=vb&nid=48>

الرقب، صالح: العولمة، الجامعة الإسلامية، 2003، ص ص 18-24.

<http://www.fustat.com/books/alawlama.pdf>

روسيا اليوم، "المرأة الفلسطينية...اهتمام بأخر صيحات الموضة"،

http://arabic.rt.com/news_all_news/news/29672

سابا، ندى: "توقعات باستمرار تفاقم معدلات البطالة حول العالم في 2010"، الأسواق العربية،

21 ديسمبر 2009،

<http://www.alaswaq.net/articles/2009/12/21/30849.html>

سقف الحيط، ساهر: "محطات الإذاعة والتلفزيون الخاصة في فلسطين"، دنيا الرأي، 2006/4/9،

<http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/04/09/41919.html>

السلام، أحمد عبد: "العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية"، الجامعة الإسلامية

العالمية/ماليزيا، -10-02-2009 [http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-](http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36-00/216-m606.html)

[09-36-00/216-m606.html](http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36-00/216-m606.html)

سلامة، رامي: تسليع التعليم العالي في سوق محاصر، رام الله: مركز بيسان للبحوث والإنماء،

http://ar.bisan.org/sites/default/files/ltlym_lly.pdf

سهيلة، براحو ورضا جاو حدو: "تداعيات العولمة الاقتصادية على تغيير الأنماط الاستهلاكية في

الدول العربية"، الجزائر: جامعة باجي مختار، ورقة بحثية قدمت للمؤتمر العلمي الرابع/

الريادة والابداع: استراتيجيات الأعمال في مواجهة تحديات العولمة 15-16/3/2005

جامعة فيلادلفيا، <http://www.jps-dir.com/Forum/uploads/1364/13.pdf>

عبد الحي، محمد: "اللغة العربية بين الخطر الخارجي والتهميش الداخلي"، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/4/23، [http://www.aljazeera.net/NR/exeres/58679E86-](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/58679E86-DBDE-45A6-91E1-5803E93946EB.htm)

[DBDE-45A6-91E1-5803E93946EB.htm](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/58679E86-DBDE-45A6-91E1-5803E93946EB.htm)

عبد العاطي، صلاح: "العولمة الثقافية وتداعياتها على الشباب في فلسطين"، الحوار المتمدن، ع 3282، 2011/2/19. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=246884>

عبد الغفور، سراج الدين: "منظمات المجتمع المدني في ظل العولمة"، منارات افريقية، 2010/10/24، <http://www.islam4africa.net/index.php/manarate/index/18/47>

عبد الكريم، عبير: "التلفزيونات المحلية...برامج محلية أم سرقات فضائية"، وفا: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، 2012/2/22،

<http://www.wafa.ps/humanity/atemplate.php?id=124639>

عبد الله، معتز سيد وجمعة سيد يوسف: الزواج العرفي واقعه وآثاره النفسية والاجتماعية، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية- كلية الآداب، 2004،

http://mgohary.net/Images/Publication/File_254.pdf

عجيل، ابراهيم محسن: الشركات متعددة الجنسية وسيادة الدول، رسالة ماجستير غير منشورة، الدنمارك: الأكاديمية العربية المفتوحة، كلية القانون والسياسة/ 2007-2008،

http://www.ao-academy.org/docs/master_letter_multi_nation_companies_by_ibrahim_muhsin_ajeel_2402009.doc

غليون، برهان: "الديمقراطية والليبرالية والعولمة"، الحوار المتمدن، ع 1803، 2007/1/22، <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86592>

فتح الله، محمد: "المدارس والجامعات الأجنبية غزو ثقافي أم ضرورة عصرية؟!"، البيان،

<http://www.albayan.co.uk/article.aspx?id=1720>

فيشر، مارتينا: " المجتمع المدني ومعالجة النزاعات : التجاذبات والإمكانيات والتحديات"، مركز بحوث برغهوف للإدارة البناءة للنزاعات – النسخة الأولى تشرين الأول/أكتوبر 2006،

http://www.berghof-handbook.net/documents/publications/arabic_fischer_cso.pdf

قاسم، عبد الستار: "العولمة الأميركية تترنح"، 13 نوفمبر 2008،

http://www.islahonline.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=9069:%20%20&Itemid=5

قاسم، عبد الستار: "تجميل صورة الـUSAID"، <http://blogs.najah.edu/staff/emp-> .2092

القدس، "شركة فلسطينية تعلن عن مسابقة لاختيار ملكة جمال فلسطين"، 7 كانون الأول 2009،

<http://www.alquds.com/news/article/view/id/139432>

قرقطي، فيصل: " اللغة...الثقافة...والإنسان"، الحوار المتمدن (ع 1300، 2005/8/28).

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=44115>

قنفذش، علي وهناء بنهاوي: "مطر الفضائيات الأسود يعصف بالقيم"، في عكاظ، ع3676،

11/بوليو/2011

<http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20110711/PrinCon20110711432903.htm>

اللحيدان، عبد الله: "أهمية الصناعات الثقافية"، صحيفة الرياض اليومية، (ع 15173،

<http://www.alriyadh.com/2010/01/08/article487801.html> . (2010/1/8)

محمد غنيم، "الانترنت والعولمة 2"، مركز الدعوة العلمي،

<http://dawacenter.net/download/0010.doc>

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، "واقع المؤسسات الثقافية في الأراضي الفلسطينية لعام 2010"، صادر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2010/3/13،

http://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/2011/Stat_Pal_Cultural_Institutions_3-11.pdf

مركز العالم العربي للبحوث والتنمية، "نتائج استطلاع الرأي بين الشباب الفلسطيني"، الحراك الشبابي - التوجه السياسي - الوضع الداخلي الانتخابات - المفاوضات - الربيع العربي - الاحتياجات والأولويات، 1 شباط 2012.

[http://www.awrad.org/pdfs/Youth%20Press%20release%20Arabic%20offr%20\(2012\).doc](http://www.awrad.org/pdfs/Youth%20Press%20release%20Arabic%20offr%20(2012).doc)

المركز الفلسطيني للإعلام، "السياسات الأمريكية ورهان العاجز"، http://www.palestine-info.info/arabic/analysis/2001/26_9_01.htm، 2011/5/23،

<http://www.alraynews.com/HoroInternational.aspx?id=424326>

مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، العولمة ما لها وما عليها؟!، القسم الثامن، آب 2009، <http://alkashif.org/html/center/17/8.pdf>

مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، العولمة: مالها وما عليها؟!، القسم الثاني، مارس 2009، <http://alkashif.org/html/center/17/2.pdf>

مركز بيسان للبحوث والإنماء، أنظر الرابط: http://ar.bisan.org/sites/default/files/jdwl_rqm1_mwshrt_lfqr_yqblh_nsb_nsyb_lfrd_mn_lmsdt_lkhrjy_2004-2008.pdf

مسلماني، بسام: "هل هناك سر وراء موجة الثورات العربية؟"، في: لها أون لاين، 2/أبريل/2011،

[http://www.lahaonline.com/index2.php?option=content&task=view&i
d=38081§ionid=1&Fprint=1](http://www.lahaonline.com/index2.php?option=content&task=view&i
d=38081§ionid=1&Fprint=1)

المعرفة / الجزيرة : -79901EC5-C0B2-
4307-917F-0A14451E0B9C.htm

المعرفة، "المسار السياسي بين العرب وإسرائيل بعد اتفاقية كامب ديفيد"، 2009/3/25،
[http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B17433C5-B7D2-4EA9-A507-
1A3F4E3CCC39.htm](http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B17433C5-B7D2-4EA9-A507-
1A3F4E3CCC39.htm)

الملكاني، عبد الحميد: " دور الشركات المتعددة الجنسيات في ظل العولمة"، الحوار المتمدن، ع
1076، 2005/1/12

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29704>

المنصوري، كمال: "المنظمات غير الحكومية ودورها في عولمة النشاط الخيري والتطوعي"،
المكتب الدولي للجمعيات الإنسانية والخيرية،

<http://www.humanitarianibh.net/reports/mansori.htm>

المنظمات غير الحكومية وإدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام،

<http://www.un.org/arabic/NGO/brochure.htm>

موسى، سامر أحمد: "اتفاق باريس الاقتصادي...قراءة شاملة في مواده"، الحوار المتمدن،
ع(1998)، 2007/5/11

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=104994>

موقع الوكالة الأمريكية للتنمية (USAID)،

<http://www.usaid.gov/wbg/Arabic/aboutUs.html>

موقع إيكسا: <http://www.alexa.com/topsites/countries/PS>

موقع متخصص بإحصائيات المواقع الإباحية عبر شبكة الانترنت/ أرقام وحقائق:

http://cyber-addiction.com/addiction_stats.php

موقع متخصص في إحصاءات الإنترنت في الشرق الأوسط.

<http://www.internetworldstats.com/stats5.htm>

موقع منظمة التجارة العالمية:

http://www.wtoarab.org/page.aspx?page_key=the_organization_concisesely&lang=ar

ناصر، ابراهيم: "الحركة النسوية الغربية ومحاولات العولمة"، صيد الفوائد،

<http://www.saaaid.net/female/064.htm>

نوار، رانيا: "تمكين المرأة... بين التفسيرات الغربية وثقافتنا الإسلامية"، موقع لها أون لاين،

<http://www.lahaonline.com/articles/view/17539.htm>، 5/يناير/2010،

وزارة التربية والتعليم العالي/السلطة الوطنية الفلسطينية، الدليل الإحصائي السنوي لمؤسسات التعليم العالي الفلسطيني 2010-2011،

<http://www.mohe.gov.ps/ShowArticle.aspx?ID=336>

الوندي، محمود: "أنفلونزا الديمقراطية أخطر من انفلونزا الطيور"، الحوار المتمدن، ع1377،

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=50329>، 2005/11/13،

يحيى، أحمد: "القنوات الدينية الفضائية..بين تصحيح صورة الإسلام وتكريس الفكر الخاطيء"،

جريدة عالم اليوم، ع 1577، السنة السادسة، 2012/3/12.

<http://www.alamalyawm.com/products/1469/24.pdf>

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

The Effect of Cultural Globalization on the Citizens of the West Bank

**By
Diana Ayman Haj Hamad**

**Supervised by
Prof. Abdul Sattar Kassem**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Political Planning & Development , Faculty of
Gradute Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

2012

The Effect of Cultural Globalization on the Citizens of the West Bank

By

Diana Ayman Haj Hamad

Supervised by

Prof. Abdul Sattar Kassem

Abstract

Cultural Globalization is considered one of the important dimensions of globalization as it comprises two models .The first model is objective and unavailable as people have to deal and many others . The second model is "Americanization" which markets the American culture in different ways among of which is the means of the objective methodology.This model , the second one , aims at replacing world different cultures with the American culture and thought through three axes : Democracy , Human rights and woman status . The UAS seeks to create one cultural pattern to dominate the whole world and to build one world society that has the same customs , behavior and taste. Consequently , this will lead to the disappearance of national and local privacy of other communities , specially the developing countries among of which is Palestine where the policy of stick and carrot is noticeably used by America.

Based on the aforementioned , this study is significant as it seeks to show the effect of cultural globalization on the different life aspects of the West Bank citizens specially the social and cultural textures.

To highlight the effect on the people of the West Bank the descriptive methodology was emphasized to illustrate concepts such as globalization and cultural globalization as well as their philosophy and

aims. Besides , the analytical methodology was used to show the instruments of cultural globalization and its effects on the people of West Bank , thus analyzing them in accordance with the topic of the study. It is worth mentioning that it is not easy to measure the effect of cultural globalization statistically .However , his study highlights the areas where the effects and instruments of cultural globalization in the West Bank are noticed.

The findings of this study showed that the Palestinian citizen in the West bank has been affected by the American culture and thought. This can be observed in different spheres such as the spread of alienation and westernization among individuals , the spread of western customs and traditions like holidays and participation in in reality TV shows on Arab Space Channels, the spread of consumption and se x culture among the youth and finally replacing the national Palestinian concepts with Zionist and American ones. This led many Palestinian youths holding university degrees to travel abroad looking for a better living status. As a result of this, the chapter of this thesis verify the reliability of the hypothesis in this study which is cultural globalization invades the West Bank and leads to many effects in the social and cultural texture of the Palestinian Society.

The researcher recommends that the Palestinian intellect should be developed as it is the only guarantee to face the effects of cultural globalization whether they are cultural or political . This doesn't mean cultural isolation but preserving national privacy while opening to world cultures.